



كتابي

المطالبة من الجنة

حامى مراد

وكتب أخرى

٨ كتب

٨ قروش

المهارية من الجنة

. وكتب أخرى .

كتب للمحرر

الناشر « كتب للجميع »	عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية)
الناشر « البلاغ »	اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومآساته)
الناشر « روايات الهلال »	قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج
الناشر « روايات الهلال »	انا كارنينا لتولستوى
الناشر « روايات الهلال »	رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن
الناشر « روايات الهلال »	ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز
الناشر « كتاب الهلال »	مصطفى كمال (لم ينشر بعد)
الناشر « روايات الهلال »	دافيد كوبرفيلد (لم ينشر بعد) لتشارلس ديكنز
الناشر « روايات آلهلال »	أوجيني جرانديه (لم ينشر بعد) لبلازاك
الناشر « روايات الهلال »	ابن بورتوس (لم ينشر بعد) لالكسندر ديماس
الناشر « روايات الهلال »	كاتالينا (لم ينشر بعد) لسومرست موم

قصص وفصول ثقافية للمحرر

مجموعات مجلات وصحف : الهلال ، المصور ، الاثنين ، الكواكب ، مسامرات الجيب ، البلاغ ، الكتلة ، الرسالة ، الثقافة ، الراديو المصرى ، الحديث (دمشق)

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة - ت ٦٥٦.٨
الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان : ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان :
١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن : ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الثالث : مايو ١٩٥٢

رمز الكتاب :  شعلة الفكر عند الاغريق

عزيزى القارئ

في حديثى اليك في العدد الماضى دعوتك الى ابداء رايك في ((كتابى)) -
او كتابك - كى نمضى به سويا نحو الغاية التى نتطلع اليها من الكمال المرجو..
ويسرنى انك قد استجبت لهذه الدعوة استجابة رائعة ، تجلت في
رسائلك الكريمة التى اغرقنى طوفانها ، منذ اليوم الاول لصدور الكتاب حتى
كتابة هذه السطور .. وقد فكرت في البداية ان اجيبك في هذا الباب على
رسائلك ((العامة)) وحدها - التى تتضمن آراء واقتراحات عملية يستطيع ان
يشاركنا فيها بقية القراء الاعزاء - على ان اتولى اجابتك على رسائل
الآخرى التى ضمنتها تهانئك وتحياتك العطرة ، برسائل خاصة ارسلها اليك
بطريق البريد ، كما تقضى اللياقة على الاقل ..

وشرعت فعلا في هذا السبيل ، فكتبت وارسلت بالبريد عددا من الردود
الخاصة على الرسائل الاولى التى وصلتني في بداية الشهر .. لكنى لم البث
ان تبينت اننى لو واصلت ما شرعت فيه لاعتجزنى ذلك عن التفرغ لاعداد هذا
العدد الجديد من الكتاب واخراجه لك على هذه الصورة التى ترجوها ،
وبالاتقان الذى ابغيه .. الامر الذى اعلم انك لا تحبه ، سواء لنفسك او لى ..
سيما وانى لا احب ان اكون من الذين يوسطون بينهم وبين من يرسلونهم
آلة كتابة صماء او وسيطا آخر غريبا يجيبهم جميعا ببضع عبارات محفوظة ،
مطبوعة او منسوخة ! .. وانما انا اود ان تكون الصلة بيننا على الورق
شخصية بحتة .. كما هى بين القلوب سواء بسواء .. !

لذلك آثرت - مؤقتا - ان اجيبك على رسائلك جميعا على صفحات هذا
الباب من كتابى ، بقدر ما يسمح المقام ، مكتفيا في الرد على رسائل التهنئة
الكريمة ، بشكرى القلبى ، وباقتطاف بضع عبارات من تحياتك الجميلة التى
ستظل تطوق عنقى على الدوام ، لعلنى بذلك اوفيك بعض حقك على من
الامتنان والعرفان بالجميل ...

هاهى مراد

اقرأ في «كتابي» .. قريبا

الابواب الجديدة التالية :

مآسى التاريخ الكبرى

سبايا «بيزنطة» الفاتنات ، ابن نابليون ، «جوانا» ملكة اسبانيا
التي جنت من الحب والغيرة ، لفر الجلاد ، ماساة «تيريوس» حاكم
روما المتوحش ، لعنة «جلنكو» ، غلطة مفاجئة لامير غسقونى (من
قصص العصور الوسطى) ، امبراطورية «اتيلان» ، ماساة «جنيفر» ،
الحانة ذات الفراش القاتل ، لفر مصرع سير ادموند جودفرى .. الخ
لكل رسالة قصة

اشهر الرسائل المتبادلة بين العظماء وقصة الظروف التي احاطت
بكل منها : رسائل لنابليون ، جوته ، ليدى هاملتون ، مدام دى
سيفينييه ، مدام دى بومبادور ، الامبراطورة كاترين ، عشيقه جان جاك
روسو ، لورد بيرون ، بلزاك ، هاينى ، بودلير ، بسمارك ، ميكيافيللى ،
جورج صاند ، دانتي ، تشيكوف ، كبلنج ، لورنس بلاد العرب .. الخ
شهرات النساء

باقة عطرة من سير نساء خلدت اسماءهن وتفوقن على الرجال :
كليوباترة ، ثيودورا ، جان دارك ، ماري ملكة اسكتلندة ، كريستينا ،
مدام دى مانتنون ، شارلوت برونتي ، نل جوين ، «جورج» اليوت ،
اليزابيث باريت براوننج ، فلورنس نايتنجيل ، سارة برنار ، ايزادورا
دنكان ، مدام شيانج كاي تشيك ، هيلين كيلر (زائرة مصر الان .. الخ

اعظم الخطب

خطب شائقة لاعظم خطباء العالم القديم والحديث ، في كل
موضوع : في السياسة والوطنية ، السلم والحرب ، الادب ، والفن ،
والعلم ، والاختراع ، والدين ، والفلسفة ، وتابين العظماء ، والدفاع
عن النفس لنفى تهم ظالمة ، وخطب العظماء المحكوم عليهم بالاعدام ،
على اثر صدور الحكم .. الخ .. الخ

اقرا فيه خطبا لهؤلاء : بركلييس ، سقراط ، ديموستين ، كاتو ،
هانيبال ، شيشرون ، يوليوس قيصر ، مارك انطونى ، كرومويل ،
فردريك الاكبر ، كامى ديمولان ، ميرابو ، دانتون ، مارا ، روبسبير ،
لنكولن ، رابندرانات تاغور ، غاندى ، هتلر .. ومن عظماء مصر :
محمد فريد ، مصطفى كامل ، سعد زغلول .. الخ .. الخ



طامن الغمام من خطاه وهو يتمشى فى أديم السماء وئيدا
رهيبا كأنما يشيع العام ، ملقيا على الأرض فى طريقه ظلالا
كالظلام .. وانطرح منه على المثوى الجميل الهادئ ، ظل
عريض ، اختلط فى الحديقة بظلال الاشجار ، وتطفل من خلال
زجاج النافذة على مخدع الزوجة الشابة ، فأطفأ فيه ما بقى
من ضياء النهار الراحل ، ولم يبق متألقا فى الغرفة غير ..
بريق عينين !

كانت « سعاد » تتمطى فى فراشها الوثير وسنانة ، وقد
غاص رأسها فى الوسادة الناعمة ، وانتثر شعرها الاسود
اللامع على وجهها ، فداعب أهدابها ، ودغدغ أنفها وأذنيها ،
وتبعثرت منه خصلات على رقبتها ، وخصلات توسدت جيدها
العارى واستكانت عليه ..

انها قد أوت الى مخدعها منذ لحظات . أرادت أن تسترخى
قليلا قبل أن تتزين وتخرج الى السهرة الخيرية الصاخبة ،
حيث تشهد مولد العام الجديد ، العتيد أن يتمخض عنه
الزمان بعد ساعات ..

بعد ساعات ؟ .. هكذا سريعا ؟ .. اذن فما أسعدك
يا سعاد ؟ وما أقصر الزمن بينك وبين .. ؟
وتولتها رعدة ! أمن رهبة ؟ .. أو رغبة ؟ .. أو من البرد ؟
وأحست كأن قطرة باردة تترقرق على ظهرها ، فنادت
خادمتها :



- فاطمة ! فاطمة ! هاتى
المدفأة، فالفراش بارد كالثلج ..
وارتد صوتها الى أذنيها -
غريبا !
ودقت ساعة الردهة خمس
دقات !



الخامسة .. فقط ؟ .. لكم
تحس سعاد ان الانتظار يمضها ،
وانها مضناة .. ما للنعاس لا
يطاوعها فيسرقها من وعيها ،
كى يريحها من نفسها .. ولو
لحظات !؟ لكن ، أحقا ان
راحتها فى النعاس ، أم انها
تستمرى، اليقظة كى تفكر فى

أمرها ، وفيما هو آت ؟ .. ان الخواطر لتنتال الى رأسها فى
أشتات من الافكار والصور .. وانها لتستعرض يومها : لقد
تطور الامر سريعا ! .. منذ ساعتين فقط كانت ما تزال تنتظر
مقدم طاهر - زوجها - من مقر عمله فى مستشفى مركز
قريب ، كى يقضى معها عطلة الاسبوع كعادته ، ثم يخرجان
الى السهرة معا ، ككل مرة . واذا التليفون يدق ، واذا هو
يعتذر لها بأن جراحة خطيرة تستلزم بقاءه فى المستشفى ،
ملحا عليها فى أن تحضر الحفلة مع صديقتها «كوثر» ، كى
لا تحرم نفسها من المتعة التى تهيأت لها طويلا .. لكنها
ترددت ، تأثرت للهجته البريئة ، برهة فقط ، حتى ذكرت
كوثر و .. أخاها «رشاد» ! فذاب تردددها ، كأنما من حرارة

الذكرى .. واتصلت بالصديقة تخرج منها أن تنتظرها حتى
تمر عليها في المساء كي تذهب إلى السهرة سويا !!

وقضى الأمر .. تم ذلك كله في لحظات ، دون سابق
تفكير أو تدبير ، فانها لم تبدأ تستوضح نفسها عن مغزاه
ومداه الا بعد أن وضعت سماعة التليفون في المرة الثانية ،
ولاذت بمخدعها تفكر !! تمثل لها رشاد في شريط متتابع
الصور .. رآته يوم أن قدمته إليها أخته منذ شهور ، في إحدى
حفلات الاستقبال ، فضبطت على يدها طويلا وهو يرمقها بنظرة
ما تزال تذكرها ، كلما خلت إلى نفسها !! ثم تراءى لها في
حشد من الرؤى في المقابلات العديدة التالية : في منزل أخته ،
أو منزلها ، أو معها في السينما ، أو الأوبرا ، أو حول مائدة
صغيرة وهم يتسلون بلعب الورق في امسيات الخريف الحلوة ،
وعصاري الشتاء الدافئة ... ودائما كان يرمقها بنفس النظرة
النافذة التي تقول انه .. في الانتظار !

وكم سخرت من انتظاره ، وكم هزأت بجرأة خياله ..
وكم تسخر منها نفسها الآن ، وهي تتبين انها قد أدمنت
- مع الايام - جلسته وحديثه وضحكته .. وانها مسوقة اليه
آخر الأمر ، فان انتظاره قد أثمر .. وضعفها قد غلب !

وانها لتراود الآن تزمتمها ، وانها لتحس أن جديدا سيقع
الليلة ! .. لكم التقوا ثلاثتهم وخرجوا معا من قبل ،
ولكن الليلة غير الليالي !! فان السهرة التي ستجمعهما سوف
تكون صاخبة .. وسيلهوان ، وسيرقصان .. وسيعذرهما
الناس ، فان الخمر تدير الرؤوس !

وستطفأ الانوار يا سعاد ! وسيسود الظلام !! كما هو
سائد الآن !





تنبهت سعاد من غمرة أفكارها،
فاذا المخدع غارق في ظلام أخفى
معالم الاشياء ، الا حيث تتوهج
أسلاك المدفأة في ركن منه .. واذا
هى تتمرغ في فراشها ، ثملة
بالخيال ، استدارت على جنبها ..
فالتقى بصرها بوجه شاحب لا يبين
الا على وهج الاسلاك الحمراء ..
وأجفلت ! انه زوجها ، يطل

عليها من صورة له على منضدة زينتها ، ومن عينيه تهطل نظرة
عتاب حزينة صافية ، وكأنه يسأل فى ضراعة :

« ماذا تبتين لشرفى يا سعاد ؟ »

وأغمضت عينيه . لم تقو على مواجهة عينيه ، أو لعلها
أرادت أن تستعدى عليه شبحا آخر كان فى خيالها له بالمرصاد :
شبح رشاد ! .. واختلطت فى لوحة ذهنها الاشباح والصور ،
شبح يطرد آخر ، وصورة تهتز وتنطفئ فتخلفها أخرى أوضح
وأثبت ... رأت طاهرا فى ثياب الجراحة البيضاء ، لا يبين
منه غير عينيه ، وهو مكب يجرى جراحة لمريض .. وجبينه
يتندى بالعرق فتتلقاه الممرضة بمنشفة ، قبل أن يقطر على
الجسد الدامى ..

وان الصورة لتوشك أن تكتمل وتحتل خيال سعاد ..
واذا بساعة الردهة المجاورة لمخدعها تدق : دقة ... فدقة ..
ست دقائق ! .. السادسة ؟ ترى أين رشاد الآن ؟ ووجدت
نفسها تفكر فيه من جديد ، ها هو يتسهم ويفتح لها ذراعيه ،
وعينه تومضان بهريق خلاب ، وتستجديان الزمن أن يسرع

به اليها ، فان الانتظار يضنيه ، الانتظار .. الانتظار !
ما أثقله من ضريبة ، فلکم هو مشوق الى فاتنته !

ولکم هي مشوقة اليه ! .. وأحست سعاد بحنين طاغ
يشقيها ، انها لم تعد تملك أن تفكر ، وانما هي تحس .. تحس
مزيجا حلوا من المشاعر يتخطفها ويسلمها كل عذب منه الى
ما هو أعذب . لقد فات أوان التراجع .. وانها ستلقاه ..
وسيهوان .. وسيرقصان .. وسيعذرهما الناس .. فان
الخمير تدير الرؤوس !

وستطفأ الانوار يا سعاد ! وسيقرك ضميرك .. فما أنت
مسئولة بحال ، ما أنت الا مسيرة ومسوقة .. مسوقة بارادة
علوية فوق ارادتك .. وهل يملك الانسان من أمر نفسه
خيرا أو ضرا ؟

وراق لسعاد أن تخلد وتستكين الى هذا اليقين الاخير ..
فضحك الشيطان في كفه .. وأحست بنفسها تسكن الى راحة
عذبة ، لكم تود أن تنام قليلا .. ومدت ذراعيها تحت الغطاء
وهي تتمطى وتتشاءب وو ..
وسرق وعيها النعاس !

... ..
... ..

انتشت بالسمع وبالبصر ، وهي تصعد الدرج الرخامي
العريض الى حيث الحفلة الخيرية الصاخبة ، ثم تخطر مختالة
بين ذراعي كوثر و .. رشاد ، نحو الصالة الكبرى ، والنظرات
تتلقفها من كل جانب ، فيأضة باعجاب الرجال .. وحسد

العوانس .. وغيره النساء ! .. وكانت القاعة الفسيحة تموج وتتلاّأ : أنوار .. وأنغام .. وحوور .. وكل ما يغرى جموعا لم تعد تستسيغ الاحسان الا في « برشامة » من رقص وخمر ! واذا الكؤوس تدار ، فاذا الرؤوس تدور .. وها هو الرقص يصطخب فيخاصرها رشاد .. ويضيعان معا في الزحام !

ثم .. ثم كأن الليل قد طفر فجأة ساعات ، فاذا العام قد دنا أجله ، فكاد أن يلفظ آخر أنفاسه على أنغام التانجو الحائرة ، لولا أن أوقفت الرقصة قبل نهايتها ، كي تستبدل برقصة أخرى منتقاة ... وعزفت الموسيقى فالس « الشموع » .. كان اللحن رائعا أخاذا ، فدارت السيقان والابدان ، وماست قدود الغيد ، ولانت خصور الحسان .. وضاع في الاسماع حفيف أثواب السهرة كلما تلاقت وهي تدور في الهواء ... ثم أخذت العيون تعلق بالساعة الكبيرة ، وتنتظر في لهفة تعانق عقريبيها .. وبدأت الموسيقى تخافت من أنغامها ، والشموع تنطفئ شمعة فشمعة ، والظلال تتكاثف وتختلط .. حتى لم يعد يبين غير أشباح تدور ..

ثم تلاقى العقربان أخيرا فساد الظلام ، واذا بسعاد تفلت من مراقصها - امعانا في الدلال - ويروغ خصرها الاملس من يده ، فيلاحقها همسه حلوا :

- « تعالى يا هاربة .. من الجنة ! » .

وتجاوبه ضاحكة : « أجنة هي أم .. » ولا تزيد ، فانه قد لحق بها ، وأدركتها أنفاسه .. وكانت شفتاه دافئتين على رقبتها ونحرها و .. وأحست أنها تختنق تحت قبلاته ،

وترأى لها شعره أشعث ، وعيناه كالدّم .. أين فتنته قد ذهب ؟ أين فتنته يا سعاد ؟



وأفاقت من حلمها مذعورة ، وجبينها يتفصد عرقا ،
وصوت كفحيح الافرعى يملأ أذنيها :

- « ماذا تريقين من شرف الغائب يا غادرة ؟ »

ففتحت عينيها مرتاعة ودار بصرها حولها ، ثم ارتد إلى
جيدها العارى ، فانتفضت .. خيل إليها أن يدا بيضاء آثمة قد
امتدت إلى صدرها .. ثم اطمأنت . انه القمر قد أطل من
بين الغمام ، فلما رآها ، غافله وتسلى من النافذة ، ليرتمى
على بدننها يلثمه .. ووجدت سعاد نفسها تضم قميصها على
صدرها وهى تتنفس الصعداء : « انه حلم فقط .. حلم فقط ..
لم يحدث قط ! »

وضكت سمعها طرقات متكررة على الباب :

- « من ؟ فاطمة ؟ »

- نعم .. أكنت نائمة يا سيدتى .. معذرة ، فان الحلاق
بالتليفون يقول ان الموعد قد فات

- ابلغيه اننى لن أخرج الليلة .. اننى متعبة .. اننى
متعبة ، فقط خذى المدفأة معك ، واغلقى خشب النافذة .. ان
القمر يقلقنى ..

وارتد صوت سعاد الى أذنيها ، كرجع الصدى ، غريبا !



وبينما الخادم ترفع المدفأة ،
أضاء وهجها الاحمر صورة «طاهر»
.. كانت نظرة العتاب قد أخلت
مكانها من عينيه لنظرة أخرى
تقول :

— « شكرا يا سعاد ! »

وغرق المخدع فى الظلام ..
ولمعت فى عينى سعاد دموعتان ،
وندت من صدرها أنه تقول :

— « اطمئن يا طاهر .. اننى باقية .. فى الجنة ..
أنتظر ك »

وصر الشيطان على أسنانه كمدا .. فقد ضاعت ضحكته
هباء !

ودقت ساعة الردهة سبع دقائق .. كأنها معول الزمان ،
يعد نعشا لعام .. ومهدا لعام !



عزيزى القارىء ...

فى العدد الاول من «كتابى» قدمت لك مسرحية من لون «الدراما» هى : «خطايا الحب» او (A Woman of no Importance) . . . وفى العدد الماضى قدمت لك مسرحية من لون آخر - هو لون «التراجيدى» - واعنى بها مسرحية «الآثم» او سلطان الظلام (The Power of Darkness) لتولستوى . .

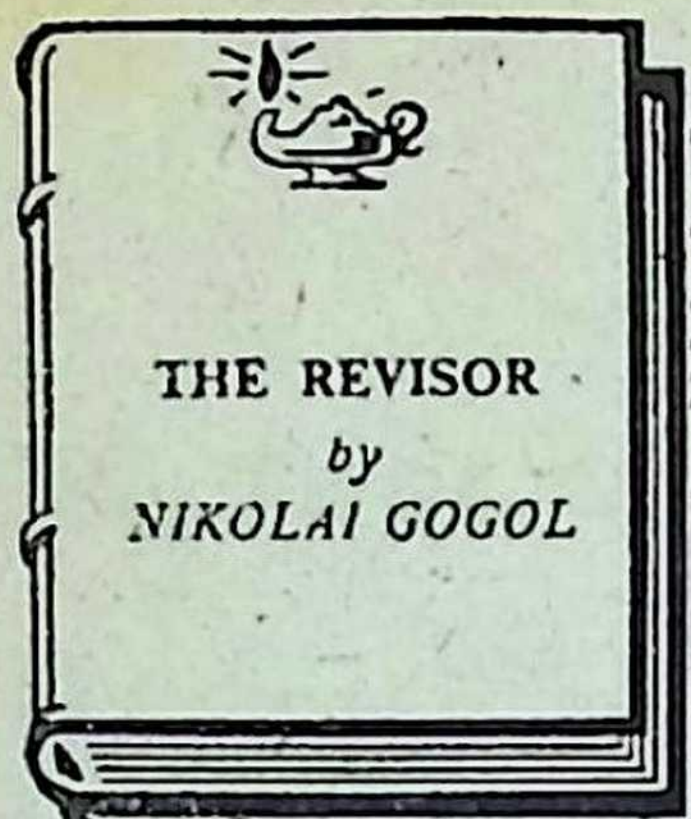
وفى هذا العدد اقدم لك لونا ثالثا من اللون الادب المسرحى هو لون «الكوميديا» الساخرة ، وقد اخترت لك نموذجا له هذه التمثيلية الخالدة التى كتبها الاديب الروسى الكبير جوجول باسم «المفتش العام» ، ثم مثلت على مسرح «دوق اوف يورك» بلندن سنة ١٩٢٠ باسم «مفتش الحكومة» - وقد أثرت ان اسميها «نزاهة الحكم !» - وسترى انها تحفل بروح الدعابة البارة والسخرية المستملحة التى يتفوق فيها جوجول على جميع ادباء الروس ، بما فيهم «تشيكوف» . . !

وفى الاعداد القادمة ستقرا فى هذا الباب بمشيئة الله مجموعة منتقاة من اعظم ما كتب هؤلاء السادة الخالدين من اقطاب المسرح ، القدماء والمحدثين : اوسكار وايلد ، ايسنر ، شيللر ، مولير ، هوجو ، راسين ، برنارد شو ، شكسبير ، بن جونسون ، جوته ، جوجول ، تشيكوف ، تولستوى . . الخ

عندما ترفع الستار ..



روائع المسرح العالمى (التمثيلية .. والغنائى)



نزاهة الحكم!

کومیدیا تمثيلية کبری
لنیکولای جوجول



شخصيات الرواية

Anton Antonovitch	انطون انطونوفيتش : («المأمور» او حاكم بلدة صغيرة)
Anna Andreyevna	أنا اندرييفنا : (زوجته)
Marya	ماريا : (ابنتهما)
Luka	لوقا : (ناظر مدرسة البلدة)
Khlestakov	خليستاكوف : (موظف في العاصمة «سانت بطرسبرج»)
Osip	أوسيب : (خادمه)
Bobchinski Dobchinski	بوشنسكى دوبشنسكى : (سيدان من اهل البلدة)

ثم القاضى .. ومفتش الصحة .. ورئيس جمعية البر ..
وفكيل البريد .. والكونسابل .. وساقى الحانة .. الخ

زمان الرواية : منتصف القرن الماضى
مكان الرواية : بلدة صغيرة فى روسيا

المؤلف



.. هو « نيكولاى فاسيليفتش جوجول » ، ولد في اوكرانيا (القسم الجنوبي من روسيا) يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٩ ، من اصل قوزاقى .. ومنذ صباه ظهرت عليه اعراض التهوس الصوفى المنتشر بين افراد الجنس «السلافي» ..

وبعد ان تلقى علومه في موطنه الاصلى انتقل سنة ١٨٢٨ الى العاصمة « سانت بطرسبرج » - ليننجراد الآن - حيث عمل فترة من الوقت كاتباً صغيراً في احدى وظائف الحكومة .

وفي العام التالى ، وكان فى سن العشرين ، نشر ديوان شعر من

نظمه اطلق عليه « ليالى الريف » .. لكن نقاد الصحف قسوا فى نقده فعمد الى شراء نسخ الكتاب جميعاً من الاسواق واحرقها عن آخرها !! وفى سنة ١٨٣٤ وطد مجده الادبى بنشر مجموعة من القصص باسم « مرجورود » تدور حول الحياة فى اوكرانيا وبلاد القوقاز ، من بينها قصة « تاراس بوليا » التى تعتبر بمثابة حجر الاساس للقصة الروسية الطويلة ! .. فلقبت المجموعة من ترحيب النقاد والقراء ما شجع مؤلفها على التفكير جدياً فى احتراف الادب .

ثم اعلن جوجول عن فكرة مبتكرة لكتابة التاريخ بطريقة جديدة ! ورغم انه لم ينفذ مشروعه فانه تلقى على الفكرة المقترحة درجة « استاذ » فى التاريخ بجامعة بطرسبرج ! .. لكن التجربة اثبتت انه لم يخلق ليكون مدرساً .. ففقد منصبه !

وعاد يواصل انتاجه الادبى ، من الشعر والقصص ، فكتب تحفته الخالدين : « المفتش العام » - وهى المسرحية الكوميدية الساخرة التى اقدمها لك فى هذه الصفحات باسم « نزاهة الحكم » - وقد وضعها سنة ١٨٣٦ .. ثم « ارواح ميتة » ، القصة الطويلة الصوفية التى تعتبر من اشهر ما كتب ، وقد اصدرها سنة ١٨٤٢

وقد عاش جوجول خارج وطنه عشر سنوات (من ١٨٣٦ الى ١٨٤٦) قضى اكثرها فى روما .. وفى سنواته الاخيرة غشيت عقله غمامة من الانقباض والتصوف الدينى جعلته ينظر الى انتاجه الادبى باعتباره « خطيئة » كبرى ، فاتلف مخطوطاته - ومنها الجزء الثانى من « ارواح ميتة » ! - وعاش فى موسكو منهوك الجسم والنفس من فرط افراطه فى الصوم والصلاة ، حتى مات فى ٣ مارس سنة ١٨٥٢

الفصل الاول

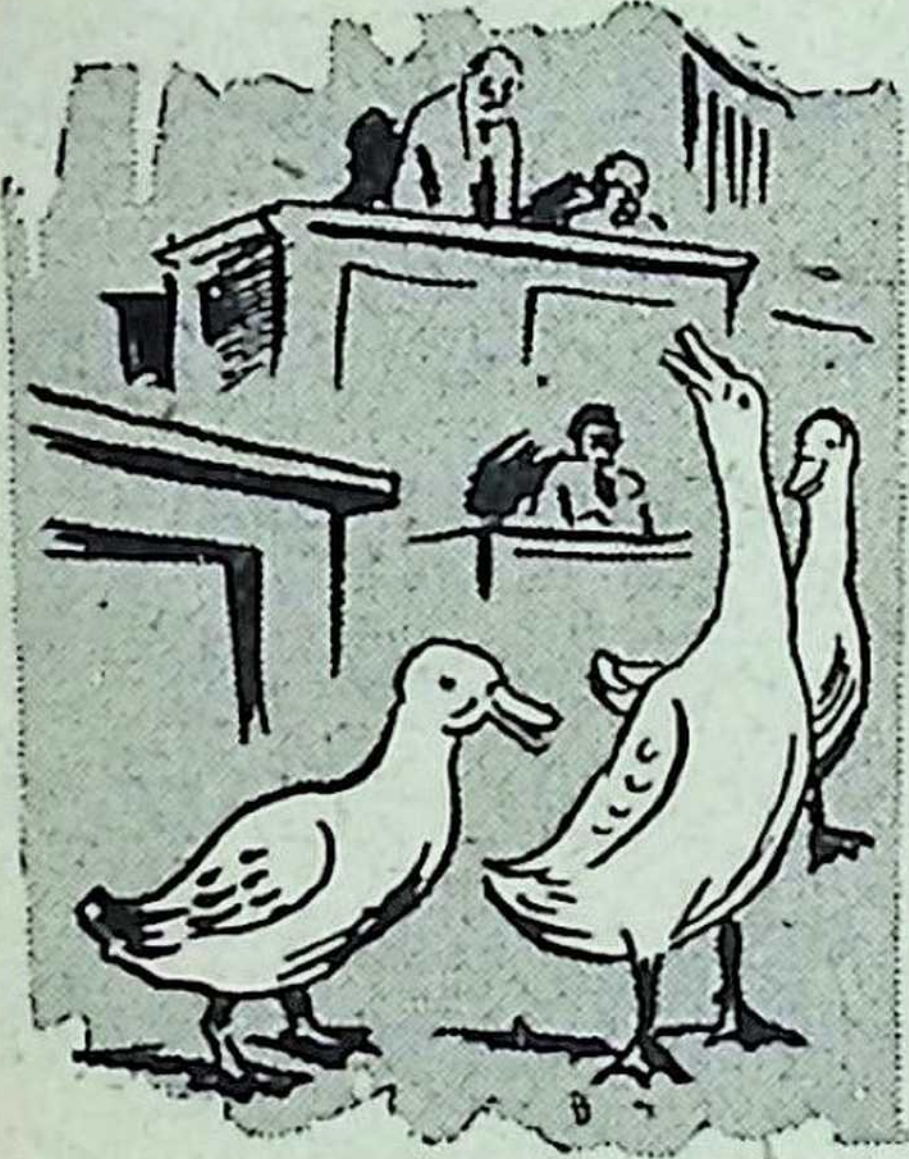
نحن في بلدة صغيرة من بلاد الاقاليم في روسيا القيصرية ،
 يتمثل في كبار موظفيها الرسميين ، وتجارها : فساد الذمم
 .. والغش .. والاحتيال .. والغباء .. والنفاق ! .. فهم
 أشبه بعصابة من الاندال : المأمور والقاضي يرتشيان .. ووكيل
 البريد يتجسس على مكاتبات الناس فيفتح جميع الخطابات ! ..
 ومفتش الصحة يسرق اموال المستشفى ! .. وناظر المدرسة
 يتلاعب بميزانية التعليم ! .. والتجار يفشون في بضائعهم ! ..
 وبالاختصار فان كل شخص في البلدة يحتال على غيره ! ..

وتجرى الحال على هذا المنوال زمنا .. وذات يوم تقذف
 الاقدار فجأة حجرا يحدث اضطرابا في المستنقع الراكد -
 مستنقع هذا الفساد الشامل ! - فان صديقا « للعصابة » يقيم
 في العاصمة (بترسبرج) يخطر افرادها بان الحكومة تعتزم
 ارسال « مفتش » من طرفها كي يتفقد الاحوال في البلدة ..
 وان هذا المفتش سوف ياتي متنكرا !

يا للطامة الكبرى ! .. من يدري ؟ قد يكون المفتش مندسا
 بينهم الآن وهم عنه غافلون !؟

ويجتمع افراد « العصابة » في منزل المأمور ليتدبروا
 الموقف :

المأمور : ايها السادة ، انها مسألة خطيرة للغاية ! .. لكني
 بادرت من جانبي فاتخذت جميع الاحتياطات الكافية لستر



موقفى .. ونصيححتى اليكم
جميعا ان تحذوا حذوى
(يستدير الى مفتش الصحة) :
وبهذه المناسبة لا تنس
يا « ارتيمى فيليبوفتش » ان
تأمر بغسل طواقى الرأس الخاصة
بمرضى المستشفى ، كى لا تبدو
فى قذارة وسواد مكنسة المدفأة!

مفتش الصحة : سأرى ما
يمكن عمله فى هذا الصدد ..

المأمور : ويحسن ان تشتري
بعض الدواء لتدخل فى روع
المفتش انك تحاول شفاء المرضى بدلا من ترك الطبيعة تأخذ
معهم مجراها .. !

مفتش الصحة : اشكر على النصيحة ..

المأمور (موجها كلامه الى القاضى) : وانت يا « ليابكين
تبابكين » ، انقل الاوز والبط من فناء المحكمة ، فقد صارت
رائحة المكان عفنة لا تطاق !

القاضى : حسنا .. سوف انقلها الى المطبخ .

المأمور : وأوص كاتبك بان يتناول « شربة » مطهرة ، فان
رائحة انفاسه كريهة !

القاضى : ساحاول .. لكنى اخشى ان يكون مستعصيا
على التطهير !

المأمور : وانت يا « لوقا لوقتش » ، يجب ان تتخلص من

مدرس التاريخ ، فلست احب الطريقة التى يهرش بها لحيته ،
ويلوى سحنته .. وقد يحسب المفتش انه يسخر منه !

ناظر المدرسة : حسنا جدا .. وسوف اتولى تدريس
التاريخ بدلا منه ..

المأمور : هل لك المام بالتاريخ ؟

ناظر المدرسة : كلا ، لكنى لا اهرش لحيتى ولا ألوى
سحنتى !

المأمور : ان اسوأ ما فى الامر كله ان المفتش يأتى متنكرا ..!
واذن فانه يحتمل ان يفاجئنا فى اية لحظة !

وهنا يدخل اثنان من « اعيان » البلدة يعدوان لاهتى
الانفاس ، هما « بوشننسكى » ، و « دوشننسكى » :

بوشننسكى : انه هنا ، فى هذه البلدة !

دوشننسكى : فى الفندق !

بوشننسكى : لقد رأيته بعينى !

دوشننسكى : كلا ، بل انا الذى رأيته اولا !

المأمور (محتدا) : حسنا ، حسنا .. كلاكما رآه ..
استمرا !

بوشننسكى : انه شاب فى مقتبل العمر ..

دوشننسكى : انيق الهندام ، وسيم الخلقة ..

بوشننسكى : حين رأيته لم املك نفسى فشهقت من فرط
اعجابى به !

دوبشنسكى : بل انا الذى شهقت اعجابا به !
المأمور (يكاد يفقد صبره) : حسنا ، كلا كما شهق اعجابا به .. وماذا حدث بعد ذلك ؟

دوبشنسكى : ناديت صاحب الفندق ..
دوبشنسكى : وسألته : من يكون هذا الشاب ؟
دوبشنسكى : فاجاب : هذا الشاب من كبار موظفى الحكومة ، اسمه « ايفان الكسندروفتش خلستاكوف » ... وهو شاب غريب الاطوار ، لا يدفع فواتير الحساب المطلوبة منه ! انه هنا منذ اسبوعين ، وقد اتى من العاصمة ! ..

المأمور : موظف حكومة ؟ ومن العاصمة ؟ او اه يا الهى !
مفتش الصحة : ماذا عسانا ان نفعل لمواجهة هذا المأزق ؟
 هل نذهب جميعا الى الفندق ؟

المأمور (يسترد ثباته وثقته بنفسه) : كلا ، بل اتركوا الامر لى . ساعجم عود الشاب بطريقتى الخاصة .. وحسبكم انتم ايها السادة ان تعتنوا بالامور الاخرى . احفروا حفرا فى اماكن متفرقة من الشوارع حتى يظن اننا نتولى اصلاح البلدة . واعيدوا المساجين جميعا الى السجن . واوصوا الجنود بالا ينسوا ارتداء سراويلهم حين يخرجون الى الاماكن العامة ..
 واذ يلقى المأمور لسامعيه بهذه « النصيحة » ، يهرع منصرفا .. ليزور مفتش الحكومة فى الفندق !

الفصل الثانى

.. فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة صغيرة من غرف الفندق يشغلها الشاب « خلستاكوف » ، الذى نعلم من

حديث خادمه « اوسيب » مع نفسه انه ليس مفتشا حكوميا منتدبا لتفقد مرافق البلدة ، وانما هو صاحب مكتبة يقضى مدة اجازته متجولا ، وقد انفق كل ما معه من مال ولم يعد يستطيع ان يدفع حساب الفندق ، مما اضطر صاحب الفندق الى ان يهدده بالطرد :

اوسيب (يحدث نفسه وهو راقد على فراش سيده !) :
يا للشيطان ! انى اكاد اموت جوعا . لقد انقضى شهران منذ غادرنا العاصمة ، وقد بدد سیدی كل ماله في الطريق . وها نحن اولاء لا نملك روبية واحدة ! .. ان الاب المسن لا يبخل على ابنه بالمال ، لكن هذا لا يكاد يتلقاه حتى ينفقه عن آخره ثم يضطر لان يرهن ثيابه الى اخر سترة ! .. والان ، هذا هو صاحب الفندق يعلن انه لن يقدم لنا طعاما قبل ان ندفع ثمنه مقدما .. آه ، ها هو سیدی يطرق الباب

(ينهض من الفراش من فوره .. ثم يدخل خلستاكوف) :
خلستاكوف : انزل واطلب لنا طعاما نأكله ..

اوسيب : اوه ، كلا .. لن يسمح لنا صاحب الفندق بأى طعام ، فهو يصفنا باننا نصابون ويهدد بالقائك في السجن !

خلستاكوف : فلتذهب الى الشيطان ! .. استدع صاحب الفندق ! **(يخرج اوسيب)** لكم انا جائع ! .. وقد غشنى ذلك الضابط اللعين اثناء اللعب وتركنى مفلسا ! .. يالها من بلدة تعسة صغيرة . ان حوانيت بقاليتها لا تقرض بالاجل ! **(يدخل احد السقاة)**

الساقى : صاحب الفندق يسأل عما تريد ..
خليستاكوف : ارجو ان تحضر لى غذائى على الفور ، فعندى عمل ينبغى ان انجزه بعد الغداء مباشرة

لكن الساقى يجيب بان صاحب الفندق يرفض امداده
بمزيد من الطعام ، بل ويعتزم ابلاغ الامر الى المأمور ! .. وفيما
هما يتحدثان يدخل خادم آخر حاملا الطعام المطلوب ! .. ثم
يدخل في اثره ((اوسيب)) معلنا لسيدة ان المأمور قد حضر ،
وانه يبغى مقابلته !

خلستاكوف : (محدثا نفسه) : ماذا ؟ اذن فقد وشى
صاحب الفندق بى ؟ .. فلأخذ مظهر الترفع واسأله كيف
جرو ان ..

وهنا يدخل المأمور واجف القلب ، منتفخ الجيب برشوة
دسمة ! .. فيستقبله الشاب واجف القلب بدوره ، ظنا منه
ان المأمور قد جاء ليلقى القبض عليه بسبب عجزه عن دفع دينه
للفندق !

المأمور (فى خضوع وتذلل) : ارجو ان تكون بخير
يا سيدى ..

خلستاكوف (فى تهيب) : اشكرك .

المأمور : من واجبى ، بصفتى مأمور البلدة ، ان اطمئن
الى ان زائريها يلقون المعاملة التى يستحقونها .. !

خلستاكوف : (يحمل قول المأمور على محمل آخر) : انى
جد آسف يا سيدى ، ولكن صدقنى انى كنت مجبرا .. هذا
فضلا عن ان الطعام هنا فاسد ، والغرفة تموج بالحشرات ..

المأمور : لعلك اذن تود الانتقال الى مسكن آخر ؟

خلستاكوف (يهمس لنفسه مرتاعا) : لابد انه يقصد
السجن ! (يحاول ان يربح المعركة بالتحدى ، والتظاهر بالغضب)
كيف تجرو يا سيدى ؟ الا تعلم انى موظف رسمى من العاصمة
.. وانى .. وانى ... ؟

المأمور (محدثا نفسه في انزعاج) : يا للسماء ! لكم هو منفعل ! لابد انه قد عرف كل شيء .. يبدو ان اولئك التجار الملاعين قد وشوا بى لديه !؟

ويلحظ الشاب تردد المأمور وانزعاجه فيمضي في ثورته المفتعة مهددا بابلاغ الامر الى وزير الداخلية ! .. وهنا يوقن المأمور ان امره قد افتضح ، فيخر على ركبتيه جاثيا ويهتف مدعورا :



المأمور : اتوسل اليك ان ترحمنى يا سيدى ! اى ضرر فى ان اقبل هدية صغيرة بين حين وآخر ؟ اننى رب اسرة ، ولى اولاد اعولهم ! .. ولا تصدق يا سيدى ما قد يفترية خصومى من انى اظلمهم واجلد نساءهم .. انهم رعاك كاذبون !

خليستاكوف : اى شأن لى بخصومك وبالنساء اللواتى تجلدهن ؟ لا تحاول ان تخدعنى .. والان اصغ الى : انى سوف ادفع حسابى لهذا الفندق ، لكنى فى الوقت الحاضر لا املك المبلغ المطلوب .. وهذا سبب بقائى هنا حتى اليوم .

المأمور (محدثا نفسه) : يا للماكر الخبيث ، انه يسهل مهمتى (يخرج من جيبه كيس نقوده)

خليستاكوف : اتعرض على قرضا ؟

المأمور : اتوسل اليك ياسيدى الا تجد فى ذلك غضاضة ! (فى لباقة) فما دامت نقودك قد نفدت فانى فى خدمتك ! .. كم من المال يلزمك فى الوقت الحاضر ؟

خليستاكوف : ماقولك في مائتى روبية ؟
(يعطيه الأمور المائتى روبية، ويدس له معها مائتين آخرين!)
خليستاكوف : اشكرك .. الان استطيع ان اتخلص من
 صاحب الفندق !

الأمور : نعم ياسيدى .. والواقع ان هذه الغرفة رطبة ،
 وصغيرة ، ومعتمة ! .. فهلا تعطفت على فقبلت ضيافتى فى
 منزلى ، فى غرفة فسيحة مريحة هادئة عذبة الهواء ؟ ارجو
 الا تجد فى ذلك غضاضة !

خليستاكوف : ابدا .. بالمره !

الأمور : ان زوجتى وابنتى سوف ترحبان بهذا الشرف
 العظيم ..

خليستاكوف : زوجتك ؟ وابنتك ؟ .. بالتأكيد ، سوف
 يسرنى ان انتقل الى منزلك !

الفصل الثالث

ويفطن الأمور الى ان « المفتش الحكومى » المزعم
 يفضل مواصلة مهمته متخفيا ! .. فيعتزم ان يبادلها اغضاء
 باغضاء ، ويفرقه فى طوفان من البيانات الكاذبة عن سير الامور
 فى البلدة ! .. وهكذا لا يرى صاحبنا بأسا فى ان يدعو ضيفه
 الى زيارة مختلف المؤسسات والمرافق العامة ، مطمئنا الى
 اغضائه عن كل فساد .. !

وتتم الجولة كمارسم الأمور خطتها .. ثم يستقر
 بالرجلين المقام آخر الامر فى بيت الأمور ، وحولهما بقية رجال
 « العصابة » من كبار الموظفين :

خليستاكوف : يالها من مؤسسات رائعة حقاً ! .. في البلاد الأخرى التى زرتها لم يرني احد شيئاً يماثلها !

المأمور (منتفخ الاوداج) : في البلاد الأخرى لا يفكر المسؤولون الا في مصالحهم الخاصة .. اما هنا فنحن لا نبغى الا ان نظفر بتقدير الحكومة ورضا المواطنين !

خليستاكوف : ان غداء اليوم كان فاخراً ، والسّمك الذى اكلناه كان لذيذا للغاية ! في اية مؤسسة تناولنا غداءنا ؟ الم يكن ذلك في المستشفى ؟ اذكر انى رأيت اكثر سراير المرضى فارغة .. او شفى اغلب المرضى ؟

المأمور : نعم .. فمنذ عينت مأموراً والمرضى يتمثلون للشفاء بسرعة هائلة ، لا بفضل الطب وانما بفضل الأمانة والنظام في التمريض .. شكراً لله ، ان كل شيء هنا يسير على خير وجه وادعاه الى الارتياح ! .. وقد كان اى مأمور غيرى خليقاً بان يهتم بمصالحه الخاصة ، اما انا فصدقني يا سيدى انى حين اضطجع في فراشى لأنام أستهل صلاتى لله مبتهلاً : « اواه يا الهى ، عسى ان تلحظ الحكومة اخلاصى وهمتى في عملى فترضى عنى .. ! » ثم أخلد للنعاس مستريح الضمير ..

خليستاكوف : الا توجد هنا نواد للعب الورق ؟

المأمور : معاذ الله ياسيدى ! .. انك في بلدتنا لا تسمع عن شيء يقال له نوادى القمار ، ولا تقف لها على اثر ! .. بل انى اشمئز من مجرد رؤية ورق اللعب ، ولم تلمسه يداى طيلة عمري ! .. وقد حدث ان بنيت لاولادى ذات يوم بيتاً من ورق اللعب المقوى ، فلبثت الليلة باكملها فريسة للاحلام المزعجة !

لوقا (محدثاً نفسه) ان اللعين قد ربح منى في القمار امس فقط مائة روبية !

القاضي (يدخل مضطرباً) : لى الشرف ان اقدم نفسى اليك يا سيدى . انا قاضى البلدة منذ عشرين عاما ، وقد انعم على بوسام « فلاديمير » من الطبقة الرابعة .

خليستاكوف : وما هذا الذى تحمله فى يدك ؟

القاضي (وقد سقطت من يده بضعة اوراق) (بنكنوت) من فرط اضطرابه) : لا شيء ! .. لا شيء !

خليستاكوف : كيف لا شيء ؟ انى ارى نقودا سقطت منك على الارض ؟!

القاضي (محدثا نفسه وهو يرتجف) : يا للسموات ، لقد ضعت ! .. هأنذا ارى نفسى فى قفص الاتهام ، وعربة السجن فى طريقها الى كى تأخذنى الى المنفى . السحيق !

اما خليستاكوف فيجمع الاوراق المالية المتناثرة على الارض ، مستأذنا القاضي فى ان يأخذها (كقرض) ، فانه قد انفق نقوده التى احضرها معه عن آخرها ! .. ويعده بأن يردها اليه بمجرد عودته الى العاصمة .. لكن القاضي يحتج قائلاً ان شرف اقراض المفتش الكبير يكفيه !

ثم يدخل فى اثره وكيل البريد ، مرتديا سترته الرسمية ، وبعد حديث قصير مع المفتش يرى الاخير ان ((يقترض)) منه بدوره ثلاثمائة روبية .. فيحسبها الوكيل ويسلمها اليه ثم ينسحب .. !

ويتعاقب على دار المأمور بقية افراد ((العصاة)) .. وكلهم يستعطفه كى يغمض عينيه عن مخازيهم ، ويفتح جيبه لرشاواهم ! .. وهو لا يرى بأسا فى اجابتهم الى الالتماسين ! ..

ومع كل قادم يتنصخهم جيب ((المفتش)) اكثر فأكثر ، وتزداد غطرسته شيئا فشيئا . . !

خايس تاكوف (وقد انفرد بنفسه بعد خروج الجميع) :
ما اكثر الحمقى في هذه البلدة . انهم يحسبوننى «مفتش الحكومة» ! . . فلا كتب الى صديقى « تربا بتشكين » فى العاصمة
كى يضحك معى من غفلتهم . . ترى كم بلغ مجموع المال الذى
اقرضته من هؤلاء البلهاء ؟ أوه . . اكثر من الف روبية !!

ويجلس ليكتب الخطاب الى صديقه . . لكن خادمه
الامين ((اوسيب)) يدخل لينبهه الى ان الحيلة تقتضى ان يبادرا
بالاختفاء من البلدة قبل ان يفتضح امرهما ويكتشف الجميع
حقيقة شخصيتيهما ! . . فيقره على رأيه ويوصيه بان يحمل
الخطاب الى دار البريد ثم يحضر عربة ذات جوادين سريعين
كى تقلهما فى رحتهما . .

وفجأة يدخل نفر من تجار البلدة وقد احضروا فى جعبتهم
للمفتش هدايا سخية من النبيذ والكعك واللحم ! . . ويشكون
اليه المأمور الذى يظلمهم ويبتز اموالهم ، طالبين من المفتش ان
يسعى لعزله من منصبه . . فيعدهم هذا بتنفيذ رغبتهم ،
لكنه يرفض هداياهم محتجا بانه لا يقبل رشوة ! . . اما لو
قدموا اليه « قرضا » بثلاثمائة روبية مثلا ، فهذا شئ آخر !!
ويفعلون . . ثم ينصرف كل منهم الى سبيله !

وبينما الرجال يمطرونه هكذا برشاواهم ، تمطره النساء
بقبلاتهن ! . . ولا سيما زوجة المأمور « انا » وابنتها « ماريا » ،
اللتين تحمى المنافسة بينهما وتشتد ! . . اما هو فيوزع
ابتساماته وقبلاته عليهما بالعدل والقسطاس !

وفيما الشاب منهمك في عد نقوده ، تدخل ((ماري)) وقد
بدا عليها الانفعال :

ماريا (مستدركة) : اوه !

الشاب : ما الذى يزعجك ؟

ماريا : لا شيء .. كنت احسب امى هنا . آسفة لكونى
قطعت عليك اعمالك الهامة ..

الشاب : لكن عينيك اجمل من اعمالى الهامة !

ماريا : انك تخاطبنى بلهجة شبان العاصمة !

الشاب : هل تسعديننى فتسمحين لى بان اقدم اليك
مقعدا ؟ ولكن ، كلا .. انك تستحقين «عرشا» ، وليس مقعدا
! .. انى اهبك حبى ، الذى غرسته فى قلبى نظرتك الاولى !

ويطبع قبلة على كتفها ، وحين تهم بالنهوض متظاهرة
بالغضب يركع امامها على ركبتيه مستعطفا .. وفى هذه اللحظة
تدخل امها !

ماريا : لا تؤاخذينى يا اماه ، فنحن انما كنا ..

الام : نعم ، اعلم ذلك .. انما كنتما ...

الشاب : الخطأ كله خطئى انا يا سيدتى ..

الام (فى تهكم) : بلا شك ! .. اخرجى من هنا
يا ماكرة يا ..

(تخرج الابنة ، فيدير الشاب فى الحال دفعة غزله الى الام) :

الشاب : ايتها المرأة العذبة .. دعينى اقبل شفتيك اللتين
تقطران شهدا !

المرأة : كنت احسبك واقعا في هوى ابنتي ؟
 الشاب : كيف امكن ان يجول بخاطر ك شيء كهذا ؟
 المرأة (في دلال) : ولكن ، يا سيدي المفتش . . اننى
 متزوجة كما تعلم !

الشاب : وماذا في ذلك ؟ (يخر جاثيا على ركبتيه) سيدتى ،
 وانا راكع امامك اتوسل اليك ان تمنحيني (يلمح ماريا تدخل
 الغرفة وتقف على عتبها مذهولة ، فيستطرد مصححا) :
 يد ابنتك !

اما الام فتوبخ ابنتها على اقتحامها الغرفة هكذا دون
 استئذان ! . . ثم يدخل المأمور لاهثا يطعن في مسلك تجار
 البلدة المفترين الذين يفتابونه وينسبون اليه اتهامات هو برىء
 منها كل البراءة !

لكن زوجته تقاطعه لتفضي اليه بالنبا السعيد الذى يذهله:
 ان الضيف العظيم قد شرفهم بطلب يد ابنتهم لتكون زوجة له !
 ويفيق المأمور من ذهوله ليجد ((الخطيبين)) متعانقين ،
 فيمنحهما بركته ودعائه . . في الوقت الذى يدخل فيه الخادم
 ((اوسيب)) ليعلم لسيدة ان العربية قد وصلت . . فينبىء
 الضيف مضيفه بانه سيتغيب يوما او يومين كي يزور عما غنيا
 من اعمامه يهمه ان يبارك زواجه ! . .

وبعد ان يوصيهم بالا يلقوا لغيابه ويودع ((خطيبته))
 وداعا حارا تنطلق العربية به وبخادمه بين تهليل افراد الاسرة
 وتحياتهم ، وأطيب تمنياتهم . .

الفصل الرابع

فاذا كان الفصل الرابع فنحن في دار المأمور ايضا ، وقد
 جلس رب البيت وزوجته وابنتهما يتحدثون في معدات الزفاف

المرموق .. ويدخل ضابط بوليس استدعاه الأمور لمقابلاته ،
فيبتدره قائلا :

المأمور : ايفان كاربوفتش ، اريدك ان تحضر الى هنا
اولئك التجار الاندال ! أو يجرؤون على الوشاية بى لدى مفتش
الحكومة ؟ سنرى من الذى يضحك اخيرا ، ومن الذى شرفته
السماء فمنحت ابنته زوجا ليس له بين رجال الدنيا مثيل ! ..
فلتعلن النبأ على رؤوس الاشهاد .. اخطر به كل انسان ،
واذعه باعلى صوت على مسامع الجميع .. بل دق الاجراس
احتفالا به ! .. وليذهب خصومى جميعا الى الشيطان ، فانى
سوف انتصر عليهم .. نعم ، سانتصر !

وينسحب ضابط البوليس .. فيستأنف المأمور وزوجته
حديثهما العذب ، ويهددهان آمالهما فى المستقبل الضاحك الذى
ينتظرهما . انهما لن يبقيا طبعاً فى هذه البلدة الصغيرة المغمورة ،
وانما سينتقلان الى العاصمة ليعيشا مع زوج ابنتهما العظيم ! ..
وفجأة يدخل تجار البلدة ليهنئوا المأمور بخطبة ابنته ،
فيستقبلهم بوابل من عبارات القدح والتوبيخ .. فيعربون له
عن ندمهم ويسألونه الصفح والمغفرة ، واعدن اياه بالتكفير عن
فعلتهم باغداق هداياهم الثمينة عليه وعلى ابنته .. فيوصيهم
بالأ ينسوا ذلك ، اذا طمعوا فى الصفح !

وينسحبون متخاذلين ، بينما تتقاطر افواج متلاحقة من
المهنيين ((والمنافقين)) ، الذين لا يكاد الواحد منهم ينصرف
من البيت حتى يطلق لسانه باقذع الفاظ البغضاء والاحتقار
للمأمور واسرته ، والتنديد بما طرأ على مسلك زوجته من
عجرفة وترفع مفاجئين !

اما فى داخل البيت ، فانت لا تسمع غير عبارات الملق
والمداهنة : ((ياله من عريس محظوظ !)) .. ((وعروس

محظوظة !) . . (اذا فسوف تنتقلون جميعا الى العاصمة ؟) . .
 . . (لا تنس ان تذكرنى بكلمة طيبة حين تقابل القيصر !) . .
 (واذكرنى انا ايضا) . . (وانا !) . . (وانا !) . . (من قال
 ان عصر المعجزات قد انقضى ! ؟) . . ويدخل مفتش الصحة
 فيتساءل : (ولكن . . اين العريس السعيد ؟)

المأمور : لقد انطلق لتوه كى يحصل على بركات عمه
 الغنى بمناسبة الزواج . . وسيعود بعد يوم او اثنين

وكيل البريد (مقاطعا وهو يدخل لاهثا ، ملوحا بكتاب
 مفتوح فى يده) : سيداتى وساداتى . . انه لن يعود ابدا ! . .
 ان ذلك الافاق الذى حسبناه « مفتش الحكومة » ليس مفتشا ،
 ولا موظفا على الاطلاق . . انه نصاب كذاب ونذل مزور ! . .
 لقد اكتشفت هذه الحقيقة من خطاب كتبه الى العاصمة ،
 فخشيت ان يكون فى داخله تقرير عن نقائص اكتشفها فى اعمالنا
 . . فشعرت بدافع لا يقاوم يفرينى بفضه . .

المأمور : او جرؤت على فض خطاب مفتش عظيم مثله ؟

وكيل البريد : انه ليس مفتشا ولا عظيما كما ذكرت لكم .
 واليكم نص خطابه : « ابادر فاقص عليك ايها العزيز ترياتشكين
 اطرف ما وقع لى فى رحلتى . لقد صادفنى فى البداية ضابط
 استدرجنى الى المقامرة ، فخسرت كل ما كان معى من مال ! . .
 وحين عجزت عن دفع اجر الفندق كاد صاحبه يلقي بى فى
 السجن ، لولا ان شاءت المصادفة ان يحسبنى القوم « مفتش
 الحكومة » ! . . فانقلبت الاوضاع ، وصرت موضع ترحيب الجميع
 وتكريمهم ! وهانذا اعيش الان فى بيت المأمور ، مستمتعا
 بمغازلة زوجته وابنته ! . . والجميع هنا يقرضوننى من المال
 ما اشاء ، فالمأمور غبى احمق ، ووكيل البريد مرتش ، ورئيس
 جمعية البر خنزير يرتدى ثياب انسان . . الخ »

المأمور : لقد ضعت .. ضعت .. سحقنى اللعين سحقا .. الحقوا به !

وكيل البريد : وكيف نلحق به ؟ لقد كنت انا الذى اوصيت له بالعربة التى فر بها ، والتى تجرها ثلاثة من أسرع الجياد فى البلدة !

المأمور : يالى من غبى ! .. ان لى فى الخدمة ثلاثين عاما ، لم يخدعنى فيها انسان ، بل لقد خدعت انا ابرع المحتالين !

زوجة المأمور : لكن ذلك غير معقول يا « انتوشا » ! .. انه خطيب ابنتنا مارييا !

المأمور (حانقا) : خطيب ابنتنا ؟ هراء ! .. ايتها الانسانية ، اشهدى على غبائى ! .. انا الذى حسبت ذلك النذل نبيلاً رفيع المقام ! .. وهو الان يدق اجراس عربته التى تنهب به الطريق نهبا ! .. من منكم كان اول من قال انه « مفتش الحكومة » ؟ اجيبوا !

يشير الجميع الى بوبشنسكى ودوبشنسكى ، اللذين يعتمد كل منهما الى اتهام الآخر ! .. ويسود الهرج والمرج .. وتبدو على الكل علامات الحنق واليأس : اذن فقد ضاعت كل الاموال التى اغدقوها على النصاب اللعين ؟ .. والبلدة قد صارت اكثر قذارة واهمالا عما قبل ؟ .. يالها من ورطة ! .. ياله من مأزق !

وفجأة يفتح الباب على مصراعيه ، ويقف على عتبة حارس يعلن قدوم : « صاحب الفخامة مفتش الحكومة » ! ..

.. المفتش الحقيقى !!!

(ستار)

عزيزى القارىء . . .

فى العديدين الماضيين من ((كتابى))
قصصت عليك سيرة اثنين من انبياء
الوطنية الذين بلغوا ارفع مراتب العظمة
فى السياسة . .

لكن للعظمة ميادين اخرى كثيرة غير
السياسة . . ومن حق عظماء العالم
عليك - ايا كان ميدان عظمتهم ونبوغهم،
وايا كانت الدولة التى انجبتهم - ان
تعرف شيئاً عن سيرة حياتهم ، وقصة
نبوغهم وكفاحهم الشاق فى سبيل ارتقاء
قوم الشهرة والخلود ، فى الطريق الذى
اختاروه لانفسهم ، او اختارته لهم
الاقدار . . !

فتعال معى اعرفك بهؤلاء الذين
تشقق الى معرفتهم منذ بعيد : باستير
برنارد شو . . دانتى ، ملتون ، بيرون،
شيللى ، براوننج . . مايكل انجلو ،
دافاييل ، ليوناردو دى فنشى . .
بيتهوفن ، شوبرت ، شوبان ، فردى ،
تشايكوفسكى . . سقراط ، افلاطون ،
ارسطو ، فولتير ، شوبنهاور ، نيتشه
. . بوذا ، كونفوشيوس . . داروين ،
اينشتين . . شكسبير ، جوته ، ماركونى،
روكفيلر ، اديسون ، فورد . . بلزاك
والتر سكوت ، ديماس ، ديكنز ،
دوستويفسكى ، زولا ، موباسان . .
كولبس ، الاسكندر الاكبر ، ماركو بولو
. . وغيرهم وغيرهم !

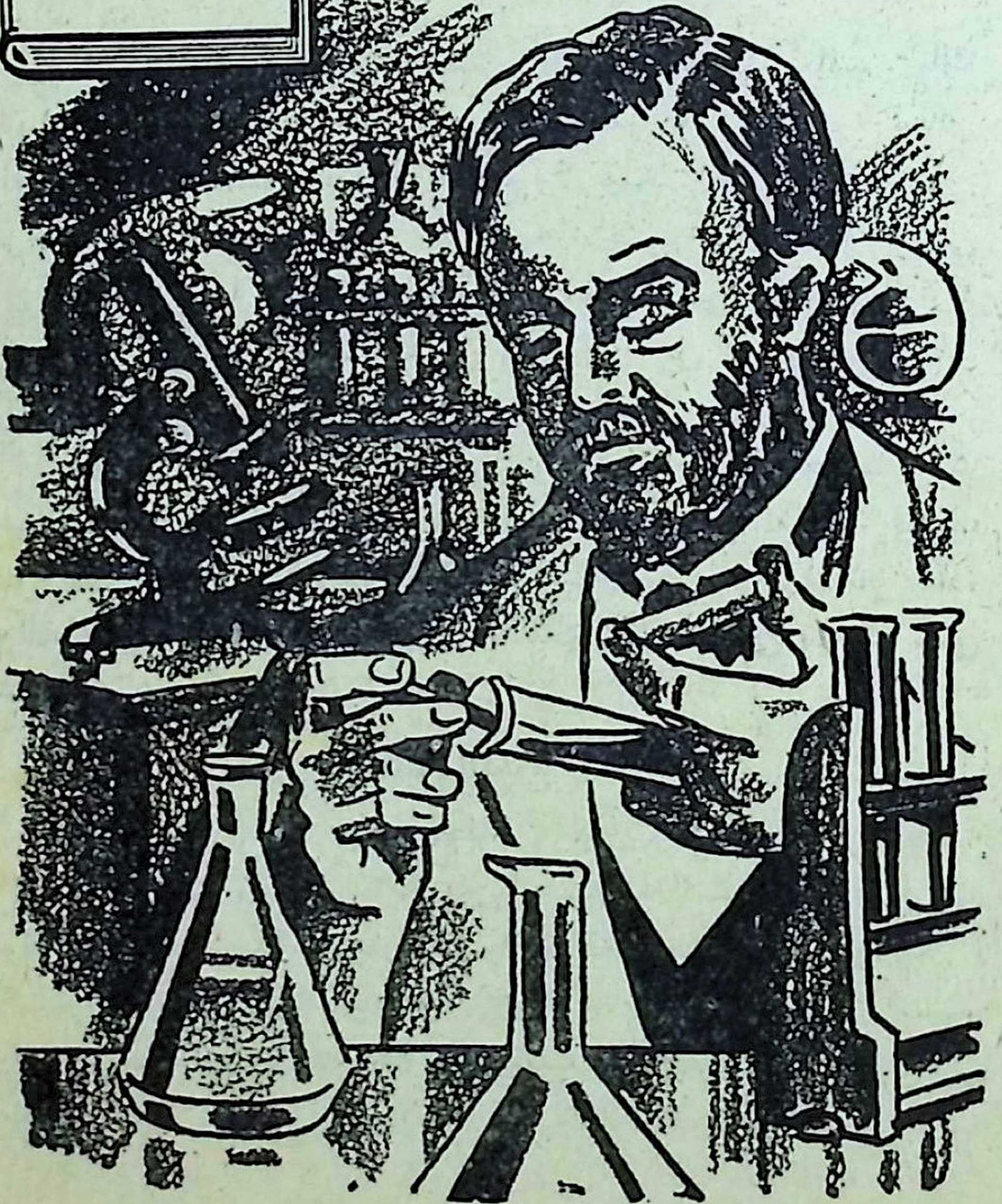
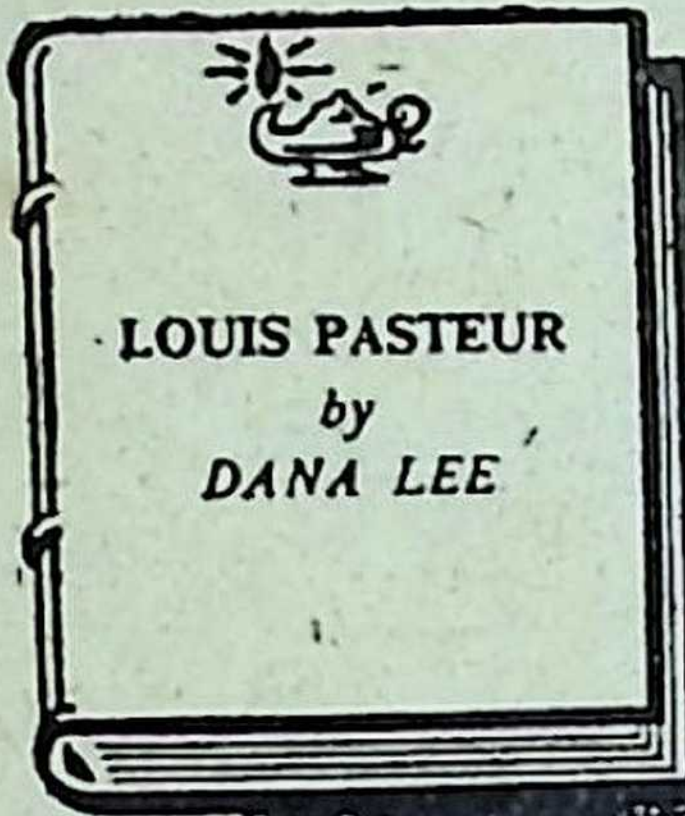
الخالدوت



عظماء فى غير السياسة

لويس پاستير

الرجل الذى أنقذ حياة الملايين من النساء!
قصة حياته وكفاحه ضد المرض والجهل



♦ « انه اهدأ واصفر واكسل طالب في الفصل ! » . . تلك كانت شهادة المدرس عن التلميذ « لويس باستير » . . لكن الفتى كان ذا فضول نهم لا يشبع ولا يقنع ، فلم يكن يكف عن توجيه الاسئلة المحيرة الى مدرسيه ، حتى اضطر احدهم الى ان يصدمه يوما بهذه الملاحظة : « اسمع يابنى ، دعنى اذكرك انه ليس من واجب التلميذ ان يسأل ، بل ان يجيب على الاسئلة ! »

وبقدر ما كان الطالب لويس باستير فضوليا لحواها كانت فيه صفة اخرى نادرة ، هى جلده وصبره على العمل ، فكتب مرة يقول . « ان اهم ثلاث كلمات فى القاموس هى : ((العزيمة ، والعمل ، والانتظار)) . . وهى الدعائم الثلاث التى سوف ابنى عليها هرم نجاحى ! »

ابن الدباغ !

♦ وقد كان ابوه دباغا للجلود ، فورث « لويس » رائحة الجلود فى دمه . . حتى انه حين استبد به الشوق والحنين الى والديه اثناء غربته فى باريس والتحقاقه بمدرسة (النورمال) كتب الى ابيه خطابا يقول فيه : « آه لو امكننى فقط ان اتنسم الآن رائحة الجلود المدبوغة ، لشفيت على الفور من حنينى الى بلدتى ! »

« كان لويس قد انتوى منذ صباه الباكر ان يصير « كيميائيا » - فما بين الدباغة والكيمياء الا خطوة قصيرة ! - لكن اهل قرية « اربوا » كانوا يتحسرون آسفين على هواية الصبي للكيمياء ، فيقولون لابيه : « من دواعي الاسف ان يضع لويس وقته في هذا العلم العقيم ! » . . لكن « باستير » الاب كان مؤمنا بابنه ، فكان يجيبهم في ثقة ويقين : « انا واثق اننى استطيع الاعتماد على رأيه في شأن مستقبله ! »

ولكن حتى الاب بدأت تساوره الشكوك في صحة اختيار ابنه لمهنة مستقبله ، حين حصل لويس على دبلوم العلوم بدرجة « متوسط » - فقط ! - في الكيمياء ! . . لكن الفتى كتب لابيه يقول : « تذرع يا ابي بالصبر ، وثق بى . . . فلسوف اتقدم في مهنتى بمرور الايام . »

الجوع في سبيل العلم !

♦ وواصل « باستير » فعلا دراسته ليليل الدكتوراه في الكيمياء . . واضطر في سبيل تحصيل نفقاتها الى اعطاء دروس خصوصية لبعض التلاميذ فيما بين الساعة الخامسة والسابعة صباحا ! . . كما اضطرته حاجته لمزيد من المال الى الاقلال من كمية طعامه ونفقات لهوه وخشب مدفاته ، الى ادنى حد ممكن ، فكانت تمر به ايام يقاسى فيها آلام الجوع ، وفي هذا يقول : « كان من حسن حظى اننى كنت كثيرا ما اصاب بصداع في راسى يطفئ على آلام معدتى وينسينى مرارة الجوع ! »

التلميذ يصبح استاذ !

♦ وفي خلال تلك الفترة تلقى لويس « وقودا » جديدا لا طماعه هو محاضرات الكيمياء الشهير (ج. ب. دumas)

فكتب يصفها لابيه بقوله : « انك لن تستطيع تصور الاقبال الذى تلقاه هذه المحاضرات من الجمهور .. فمسيو دوماس ليس كيميائيا فحسب ، بل هو شاعر يعرف كيف يثير خيال وفضول سامعيه ! »

وبفضل ((الدفعة)) القوية التى استحثته بها علم هذا العالم الكبير كتب باستير رسالتين - بدلا من واحدة - لنيل درجة الدكتوراه ! .. فلما بلغت انباء حصوله على الدرجة مسامع أسرته فى (اربوا) شملهم الفرح والابتهاج ، واحتفل البيت بنجاح الفتى المغترب . وكتب الاب لابنه يقول : « اننا لا نستطيع تقدير رسالتيك ، لان مداركنا تعجز عن فهمهما ، ولكننا نستطيع تقدير خُلقك القويم ، فانك لم تمنحنا غير اسباب الرضى الدائم »

ولقد فتح نجاح لويس امامه فعلا ابواب مستقبل جدير بالرضى التام ، بل مستقبل باهر حقا .. فقد عين من فوره مساعدا للبروفيسور (لوران) استاذ الكيمياء بمدرسة (النورمال) التى تلقى بها علومه .. وهكذا صار التلميذ بها استاذا ، فتحقق حلمه الذى كد وسهر من اجله الليالى !

العالم يصير جنديا .. !

♦ .. ولكن فجأة ، ضحى لويس بذلك المركز الكبير الذى بلغه بشق النفس ، فقد نشبت فى فرنسا ثورة ١٨٤٨ فابى عليه حبه لبلاده الا ان يبذل لها « على مذبح الحرية » اكبر تضحية فى مقدوره ، فتبرع لقضية الوطن بمبلغ المائة وخمسين فرنكا الذى كان قد ادخره ، وترك عمله فى الكلية كي يلتحق بالحرس

الوطني لمدينة (اورليان) مبديا استعداداه للتضحية بعد ماله بحياته !

العلم يفتدى امامه !

♦ ولكن كان من حسن حظ الانسانية ان لم تتح للفتى فرصة الاشتراك في القتال ، فقد انتهت الثورة قبل ان يجيء دوره في التجنيد العام ، فعاد الى معمله ودراساته الكيميائية ، وبخاصة دراسة نظريات (التبلور) التي انتهت ابحاثه فيها آخر الامر الى عدة كشوف علمية هامة لمركبات ومستحضرات كيميائية كثيرة وصفها باستير بانها : « اشبه بتشييد ابنية جديدة تخالف الابنية القديمة في التراكيب كل المخالفة ، وان كانت مادتها جميعا واحدة هي الطوب والاحجار ! »

على ان تلك المكتشفات التي تواضع باستير فنسب الفضل فيها الى « محض الصدفة » - وان كانت قد كلفته شهورا طويلا من البحث الشاق المتواصل - سرعان ما بلغت مسامع مسيو (بويي) استاذ الطبيعة بجامعة (السوربون) ، فاعجب بها ، ومن ثم زود باستير بخطاب توصية فتح امامه ابواب جامعة ستراسبورج ، وقد جاء في الخطاب : « ان مسيو باستير كيميائي نابه . . . ولقد تم اخيرا سلسلة بحوث وتجارب تسترعى النظر ، وما من شك في انه لو اعطى الفرصة الملائمة في احدى جامعات الدرجة الاولى ، لصار له شأن كبير . . الخ »

ساعة لقلبك . . !

♦ وهكذا ، وفي يناير سنة ١٨٤٩ ، تسلم باستير منصبه الجديد كاستاذ للكيمياء بجامعة ستراسبورج ! . . وللحال بدأ الفتى ابحاثه في ميدان جديد ، ميدان الخطوة بقلب المرأة !

وكانت الفتاة موضع « أبحاث » باستير تدعى مدموازيل (مارى لوران) - ابنة عميد جامعة ستراسبورج - التى لم يكذب باستير يدخل الجامعة ويرأها حتى علق بها ، فكتب الى ابوها خطابا طريفا قال فيه : « ان أبى دباغ جلود فى (أربوا) ، واخواتى الثلاث يعاوننه فى عمله وفى بيته ، مكان أمانا التى فجعنا بوفاتها فى مايو الماضى . . . واسرتنا ليست غنية وانما متوسطة الحال . . . اما عن نفسى فقد اعتزمت منذ زمن ان اتنازل لآخواتى عن نصيبى فى الميراث . . . واذن فانا لا املك شيئا من المال . كل ما أملكه : صحتى ، وشجاعتى ، ومنصوبى . . . وانى انوى تكريس حياتى للأبحاث الكيميائية التى اعتقد اننى سوف ألقى فيها نجاحا لا بأس به . . . وبهذه المؤهلات المتواضعة اتقدم طالبا يد ابنتك ! »

ممانعة ، فالحاح ، فقبول !

◆ وكل أب متعقل ، أحوال والد الفتاة خطاب باستير الى ابنته ، كى تبدى فيه رأيها . . . وكان الرأى مخيبا لامل لويس ! . . . لكنه كان أحصف من ان يترك التجربة نهائيا لمجرد فشله فيها مرة ، فاعاد الكرة بخطاب آخر وجهه فى هذه المرة الى أم الفتاة قائلا : « أخشى ان تكون مدموازيل (لوران) قد بنت قرارها على الاثر الذى أحدثته فى نفسها رؤيتها اياى لأول مرة ، التى ما كان يمكن ان تؤدى الى غير هذه النتيجة ، فانه ليس فى هيئتى ما يجذب الفتيات . لكن ذاكرتى تقول لى ان جميع الذين عاشرونى مدة كافية . . . أحبونى ! »

ولم يكتف الشاب بهذا الخطاب الثانى ، بل دفعته طبيعة العالم المثابر الى ان يردفه بخطاب ثالث - الى الفتاة نفسها فى هذه المرة ! - جاء فيه : « كل ما أسالك اياه يا آنسة الا تتسرعى

في الحكم على ، فقد تخطئين في حكمك ، ولسوف تظهر لك الايام ان خلف هذا المظهر البارد الذي رأيته ، قلبا يفيض شغفا بك . . . »

الزوجة . . ام انبوبة الاختبار ؟

♦ وحدث الالاحاح اثره ، فربح الفتى المعركة ! . . وحدد للزواج مساء يوم ٢٩ مايو سنة ١٨٤٩ . . ولكن في اللحظة الاخيرة حدث هرج ومرج . . فقد وصل المدعوون ، والعروس ، وأهلها ، والقسيس ، ولكن العريس لم يظهر له اثر ! . . فتساءل الناس قلقين : ((أين الكيميائي الشاب بربكم ؟))
وأيـن يمكن ان يكون ، الا في معمله ؟ . . وحين هرع اليه صديقه (كابوس) وجده مكبا على انابيب الاختبار ، لاه عما عداها !

— أنسيت ايها الاحبق موعد زواجك ؟

— كلا . .

— اذن فماذا تصنع هنا ؟

— أتعلم عملى ، ايها الغبى ، أو تنتظر منى ان اترك التجربة قبل نهايتها ؟

الشهرة . . والغيرة . . والحسد !

♦ ولم تأسف (مارى لوران) قط على زواجها من باستير . . وان مرت بها اوقات انبته فيها على استغراقه الزائد في عمله ، ومعمله . . اما هو فكان يهدىء من ثأرتها بقوله انه سوف يفتح امامها طريق الشهرة والمجد !

وقد كان . . فتح باستير لنفسه ولزوجته طريق الشهرة والمجد . . لكنه فتح معه طريق الآلام والمتاعب ايضا ، اذ لم يكن من الممكن ان تنجو من المتاعب زوجة عالم قد اثار نبوغه حفيظة وغيرة وحقد زملائه العلماء غير الموهوبين . . !

وقد بدأت الغيرة والكراهية تحوطانه منذ البداية ، منذ قاداته ابحاثه من ميدان الكيمياء الى ميدان الطب البيولوجي ، فكتب الى صديقه (كابوس) يقول : « اننى اطارد بكل قوتي غوامض المشكلة الازلية الرهيبة ، مشكلة الحياة والموت ، وارجو ان اصل بشأنها في القريب العاجل الى كشف حاسم ! »

ورغم نصيحة اخلص اصدقائه له بالكف عن اضاعة وقته في موضوع شائك عقيم كهذا ، فانه مضى في ابحاثه دون ان تثبط نصائحهم همته . . وكان اول ما تصدى له في مجال بحثه هدم النظريات التى كانت شائعة في عصره عن امكان انبثاق الحياة في بعض الكائنات الضئيلة والحشرات من اجسام ميتة تماما . . وقد تشيع للنظرية اثنان من ائمة العلم في عصره ، هما البروفيسير (بوشيه) والبروفيسير (جولى) ، اللذان راحا يوزعان النشرات المليئة بالقدح فى باستير والطعن فى علمه ، الى حد اتهامه بأنه «مهرج ودجال وبهلوان !» . . لكنه كتب الى ابيه يقول : « فليزعم خصومى ما يشاؤون ، اما الحق فهو فى جانبى ! » . .

ثم وطن باستير نفسه على ان يقابل مطاعن حساده بابتسامة ساخرة ، وكان يقول لزوجته : « ان رجل العلم يجب ان يعبا بما سوف يقال عنه فى الاجيال المقبلة ، وليس بالاهانات والحملات التى توجه اليه اثناء حياته ! »

واخيرا أحييت مشكلة «منشأ الحياة في الكائنات» الى لجنة من اكبر العلماء لمناقشة حجج الطرفين وتجاربهما ، فانتهت اللجنة الى الاقتناع بصدق نظرية باستير وخطأ خصومه ، وقررت ان « الاجسام الحية لا يمكن ان تستمد حياتها الا من اجسام حية ! » ..

غزواته ضد الجراثيم

♦ اما وقد فرغ باستير من معركة « اصل الحياة » ، فقد نقل نضاله الى ميدان جديد ، ميدان « المحافظة على الحياة » ! .. فان وباء خطيرا غامضا كان قد تفشى في تلك الفترة في دود القز بمقاطعة (اليه) ، مما هدد صناعة الحرير في فرنسا كلها بالخراب ! .. فدعى باستير - الذي كانت انتصاراته السابقة قد اهلته لعضوية « الاكاديمية الفرنسية » - لاقام بتحقيق علمي للاهتمام الى سبب الوباء واكتشاف طريقة لايقافه ..

ولكن شهورا مرت دون ان يتمكن العالم المتدب من النجاح في مهمته ، فرأى خصومه في ذلك فرصتهم للنيل منه واستئناف الحملة عليه ، وامتدت عدوى الحملة الى الزراع والفلاحين الذين كانوا يرون ديدانهم تموت كل يوم بالآلاف ، فراحوا بدورهم يتساءلون فاضبين : « ماذا يستطيع « كيميائي » ان يفعل في امر كهذا ؟ » .. لكن باسنور صمد لهجمات خصومه مكتفيا في الرد عليهم بكلمته الماثورة « صبرا ! »

فواجه ثلاث !

♦ لكن الاقدار لم تلبث ان احوجته - هو لا هم - الى ذلك الصبر الذي نادى به ، اذ بينما كان منهمكا في تجاربه مات احد اولاده ، ثم لحق به الثاني ، فالثالث .. ! .. حتى علق صديق

له على تلك الكوارث المتلاحقة قائلا : « ان مضى باستير في عمله رغم فواجهه في ابنائه الثلاثة لهو شيء يحتاج الى نصيب كبير من الشجاعة ! » .. اما باستور فاجاب في هدوء : « لست اعرف شيئا عما يقال بصدد شجاعتي . كل ما اعرفه هو واجبي ! »

وعكف فعلا على واجبه ثمانية عشر ساعة كل يوم ، من الخامسة صباحا الى الحادية عشر مساء ! .. وكان المجهود اكثر من طاقته فاصيب فجأة بالشلل .. وظل الاطباء اياما يائسين من حياته .. ولكن عقله لم يكف عن نشاطه بينما كان جسمه طريقا ! .. ففي تلك الساعات الصامتة الطويلة ، ساعات مرضه ، اهتدى عقله الى سر الوباء الغامض : وهو ان عدوى المرض تسرى الى الديدان عن طريق بويضات الديدان المريضة ، جيلا بعد جيل ، فلو ابيدت البويضات الموبوءة لانقرض الوباء في خلال ايام ! ..

لكن تجار بذور ديدان القز رأوا في تلك الابداء خطرا يهدد تجارتهم ، فشنوا على باستير حملة شعواء من المطاعن والشائعات ، نشرت في كل مكان انباء مكذوبة تزعم ان باستير قد فشل في مهمته وغادر البلدة مشيعا بوابل من الطوب والاحجار ! .. فلما بلغت هذه الاقاويل اكتفى بان هز كتفيه في غير احتفال وهو يكرر كلمته الماثورة : « صبرا ! »

وكوفيء العالم على صبره الطويل ، فقد جرب الزراع علاجه فأدى الى نتائج باهرة ، حتى لقد اقاموا تمثالا له في بلدتهم عرفانا بجميله ! .. اما عزاءه هو عن مجهوده وتضحياته الشخصية فقد وصفه بانه : « ذلك الشرف الكبير ، شرف التضحية بالمصلحة الذاتية في سبيل القضاء على كارثة كانت تهدد وطني .. »

اكتشاف نظرية التعقيم

♦ وكانت تضحيات العالم المجد قد تركت آثارها في تجاعيد وجهه الشاحب وعينيه المتعبتين . . ورغم الخدمة الحيوية التي اداها لمواطنيه ولجمهور المشتغلين بتربية الديدان وصناعة الحرير ، فانهم لم يكافئوه المكافأة المادية اللائقة ! . . فلما حظى بمقابلة الامبراطور نابوليون الثالث والامبراطورة اوجيني ابديا له دهشتها من عجزه عن الافادة من عمله ماليا وماديا فائدة تناسب النتائج التي احرزها ، فكان جوابه ((ان العالم يفقد منزلته اذا جعل رائده المصلحة الذاتية))

♦ وفي تلك الاثناء نشأت في افق كفاح باستير مهمة اخرى خطيرة ، هي الاهتداء الى سبب وعلاج لفساد وحموضة النبيذ الذي تصدره فرنسا الى انحاء العالم ، الامر الذي كلف المصدرين خسارة ملايين من الجنيهات في السنة الواحدة ! . . فانتهدت ابحاث باستير « رجل الساعة » الى ان سبب ذلك الفساد والحموضة هو تكون (بكتريا) في السائل المخمر . . ولكن بقي اكتشاف علاج لتلك (البكتريا) يبيدها دون ان يسبب تلفا للنبيذ او يفض من جودته . . فجرب باستير اضافة مواد مطهرة مختلفة للسائل ذاته، ولكن التجربة لم تفض الى نتيجة . . واخيرا اهتدى الى الكشف الخالد الذي يتبع حتى الان في تعقيم الخمور والالبان ومنتجاتها ، والذي سمى باسم مكتشفه (Pasteurization) . وطريقته هي تسخين السائل المراد تعقيقه الى درجة ((٥٥)) سنتجراد او ((١٣١)) فهرنهايت ، وهي الدرجة التي تموت فيها جراثيم البكتريا دون ان تضار خواص السائل بذاتها بأي سوء . . !

نداء الوطن مرة أخرى

◆ وبينما كان باستير يتأهب لمواصلة أبحاثه ومساعيه في سبيل تحقيق هدف حياته الأسمى وهو « خدمة الإنسانية بتحسين صحة الإنسان، وإطالة حياته قدر الامكان، وتخفيف آلامه ».. شاعت مطاعم قيصر المانيا غليوم الاول ومستشاره الدموي «بسمارك» ان تشهر المانيا حربا عدوانية على جارتها فرنسا.. فلم يكد الجيش البروسي يتوغل في الارض الفرنسية حتى وضع باستور نفسه تحت تصرف جيش بلاده، ولكن اصابته بالشلل حالت دون قبول اشتراكه في القتال، فعن له ان يعبر عن احتقاره لالمانيا بطريقة ما، وكانت جامعة (بون) الالمانية قد منحته الدكتوراه الفخرية في «الطب».. فما كان من العالم الساخط الا ان رد الشهادة الفخرية الى الجامعة واردها بخطاب قال فيه: « يدفعني ضميري الى ان اطلب منكم محو اسمي من سجلات جامعتكم واسترداد شهادتكم، اظهارا مني لاحتقار عالم فرنسي متواضع (يقصد نفسه) لبربرية وانانية قيصرهم الذي تدفعه مطامعه الاجرامية الى سفك دماء شعبيين عظيمين بلا مبرر! »

.. فجاءه من الجامعة الالمانية الرد التالي: « يسر الموقع على هذا - عميد كلية الطب بجامعة بون - ان يرد التحدى الذى جرؤتم فوجهتموه الى الشعب الالمانى فى شخص امبراطوره المقدس غليوم ملك بروسيا .. بان يعرب لكم عن احتقاره البالغ لكم - ملحوظة: ورغبة فى حفظ ملفات الجامعة طاهرة من كل دنس تعيد الكلية اليكم خطابكم بالتالى « .. !

هل من فجيعة رابعة ؟

♦ وجاءت الانباء تحمل الى الفرنسيين عامة ، نذير هزيمة وارتداد الجيش الفرنسى الذى يقوده الجنرال (بورباكى) امام جحافل الالمان الزاحفة .. وكان هذا النذير العام يحمل فى طياته الى باستير نذيرا خاصا ، فان ابنه الرابع - الذى نجا من قبل من الموت الذى اختطف اخوته الثلاثة - كان من بين جنود ذلك الجيش المدحور ! ... فلم يجد الاب والام المنكوبين بدا من استئجار عربية والرحيل بها الى المناطق القريبة من ميدان القتال ، بحثا عن فلذة كبديهما ، آمين ان يجدها بين الاحياء ! .. وتابعت العربية سيرها فى الطريق الذى تغمره الثلوج ، والذى عبره الجيش المتقهقر ، مارة بين اشلاء القتلى والجرحى والمعدنين الذين يئنون الما وجوعا وبردا .. وفى كل مكان كان الاب القلق يسأل الجرحى فى جزع بالغ : « هل رأيتم الملازم باستير ؟ » .. لكن الجواب كان دائما هزة من الراس ، علامة النفى ! .. وكان اقصى ما استطاع معرفته من لسان احدهم : « ان فرقته المكونة من الف ومئتى رجل لم يبق منها غير ثلاثمائة رجل من الاحياء ! »

♦ وهكذا اخذ امل الوالدين يخبو ويتبدد تدريجيا .. ولكن اخيرا لاحت لهما بارقة امل ، كانت عربتهما المحطمة قد بلغت اقليم (بونتارليه) ، وهناك وجدا جماعة من الجرحى ملتفين حول نار اشعلوها للتدفئة ، فقال لهما احدهم انه قد رأى ابنهما بالامس ، « وكان ما يزال حيا ! » .. ولم يكذ يرشدهما الى الطريق الذى يرجح انه سلكه حتى الهبا ظهر الجواد بالسياط ، مندفعين فوق الارض المغطاة بالجليد صوب قرية (شافوا) .. وفى الطريق ، وعلى كومة من القش لحا رجلا ممددا فى اعياء وقد غطى جسمه بستره مهلهلة .. وكان الظلام

قد بدأ يخيم على الكون ، فاعياهما ان يتبيننا ملامح الرجل ..
فقال باستير الاب واجف القلب متسائلا : « هل رايت يا سيدى
الملازم باستير ؟ » .. فرفع الجندى رأسه هاتفا : « أبى ! ..
أمسى ! »

وشقى الابن بعد ايام من جراحه .. وعاد الى فرقته
بالجيش ، حيث ظل يقاتل حتى انتهت الحرب .. وخرج منها
سليما ، اشبه ما يكون « بدرهم » عزاء فى حياة ابيه المليئة
بالآلام ، والتي توزن فيها المباهج بالدراهم !

اكتشاف نظرية الجرثومة

◆ استأنف باستير بعد الحرب نشاطه العلمى فى محاربة المرض
والوباء . وكانت ابحاثه الخاصة بوباء دود القز و (بكتريا) النبيذ
قد هدته الى حقيقة ثابتة هامة ، هى ان المرض فى الحالين كان
منشؤه وجود كائنات حية سامة ضئيلة هى (الجراثيم) ! ..
فماذا يمنع من تجربة اثر هذه الجراثيم فى امراض البشر ؟

وهكذا عكف باستير على تجربتها فى ميدان الجراحة ..
وكانت نسبة الوفيات عقب العمليات الجراحية كبيرة الى درجة
مخيفة ، حتى صار اعتزام اجراء عملية جراحية للشخص
بمثابة حكم باعدامه ! .. فلما طبق باستير نظرية الجراثيم
التي اكتشفها فى ابحاثه السابقة على بحثه الجديد خرج بنتيجة
مشيرة شرحها فى اجتماع اكاديمية الطب بقوله : « ان الجرح
المفتوح معرض للملايين الجراثيم ، التي توجد فى الهواء ، ويد
الجراح ، واسفنجة غسل الجرح ، واسلحة ومباضع الجراحة،
واللفائف التي يربط بها الجرح .. وغير ذلك .. »

.. فلم يكد اعضاء الاكاديمية يسمعون هذا القول العجيب
حتى ابتسموا وهم يهزون رؤوسهم ساخرين .. ثم تابعوا

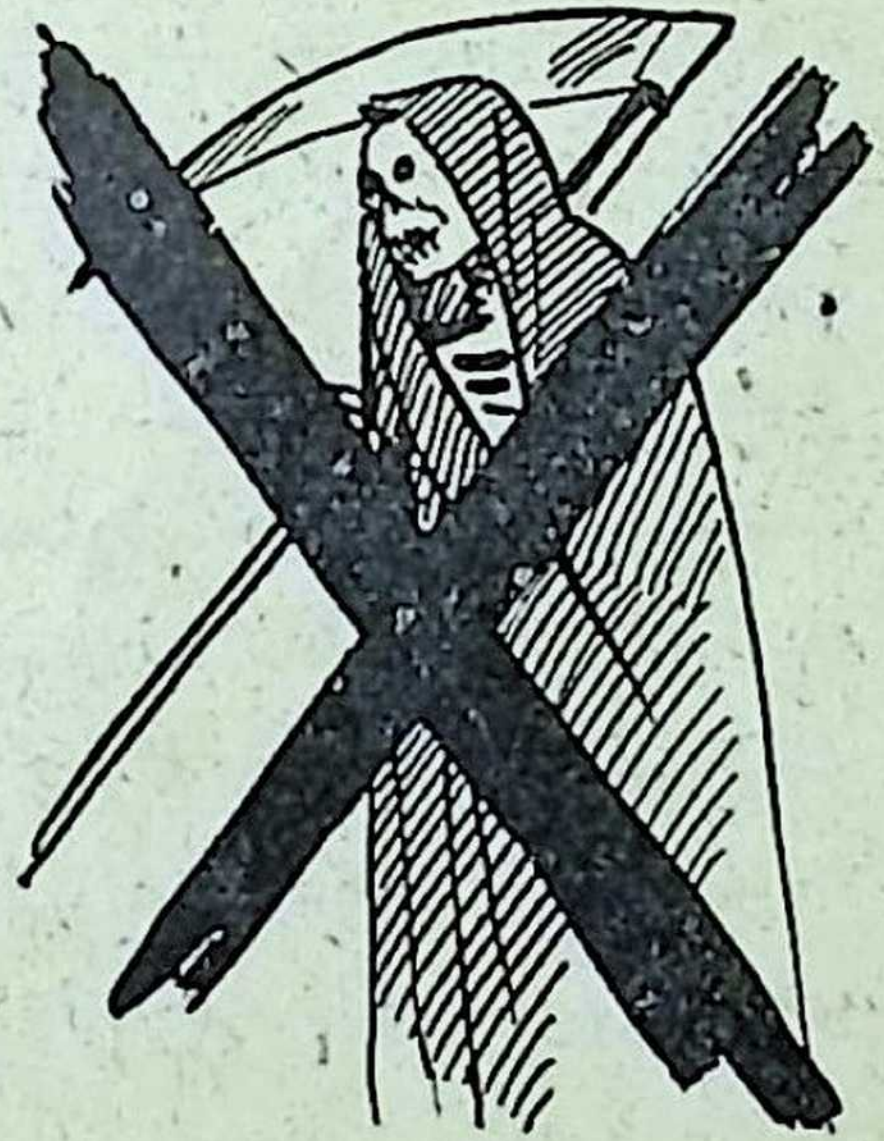
بعد ذلك عملياتهم الجراحية لمرضاهم بطريقتهم القديمة ،
 مودين بحياة المئات منهم بل الالوف ! .. ولم يقتنع بنظرية
 باستير من الاطباء غير طبيب اسكتلندي يدعى (جوزيف ليستر)
 كان استاذا للجراحة في جامعة (ادنبره) .. فقد عمد الى تطهير
 ادوات الجراحة وعصائب الجروح بمحلول حامض الكربوليك ،
 فاحرز بذلك نتائج باهرة ، وانخفضت نسبة وفيات مرضاه
 من تسعين في المائة الى خمسة عشر في المائة ! .. ورغم ذلك
 ظل جراحو الاكاديمية الفرنسية على عنادهم البغيض ،
 يحاربون طريقة وباستير بكل قواهم ، ويقتلون الوف
 المرضى بلا رحمة ! ..

القضاء على حمى النفاس

♦ وفي وجه جميع تلك العراقيل والمثبطات ، تابع باستير
 كفاحه بلا هوادة ، قائلا لاصدقائه : « لسوف ارغم خصومي
 على ان يروا صدق نظريتي رغم انوفهم .. يجب ان يروا
 ويقتنعوا ! »

و ذات يوم ، بينما كان احد اساتذة الاكاديمية يلقي
 محاضرة طبية عن «حمى النفاس» - التي كانت قد قضت في
 سنة ١٨٦٤ على اكثر من ثلاثمائة والدة في مستشفى باريس
 للولادة وحده ! - انتقل المحاضر الى شرح آرائه حول سبب
 تلك الحمى .. واذا بصوت يرتفع من بين الصفوف صائحا
 في جراءة : « هراء .. محض هراء ! .. ان المسؤول الاول عن
 تفشي وفيات حمى النفاس هو انتم معشر الاطباء والمولدات .
 انتم الذين تنقلون جرثومة المرض من جسم المريضة الى جسم
 السليمة .. ! »

وعندئذ اجابه المحاضر ساخرا :
 « وهل تستطيع ان تدلني على
 (هيئة) جرثومتك التي تزعم
 وجودها ؟ » .. فنهض باستير من
 مكانه على الفور وتقدم نحو
 (السبورة) ثم تناول قطعة من
 الطباشير واخذ يرسم بسرعة شكلا
 أشبه بالسلسلة ، ثم قال : « هاك
 رسم الجرثومة يا سيدى ! »



واستحالت المحاضرة الى هرج
 ومرج ، فقد انبرى الاطباء القدامى
 لباستير يسفهون آراءه وينعتونه
 باقى النعوت ، بينما انحاز طلبة الطب وصفار الاطباء الى
 صفه ..

وكانت تلك « المعركة » بداية فجر جديد فى عالم الولادة ،
 اذ لم تكد تعم نظرية باستير فى التعقيم والتطهير حتى كفت
 مستشفيات الولادة فى باريس عن ان تكون « مقابر للوالدات » !

اكتشاف نظرية التلقيح بالامصال

◆ وحفز الانتصار بانستير على مواصلة كفاحه الشاق فى
 خدمة البشرية .. فانبرى لخصومه يفند مزاعمهم ويخطئ
 آراءهم العتيقة .. وخلال الفترة التالية من مراحل كفاحه
 توصل الى اكتشاف نظرية طبية خطيرة لا تقل اهمية ونفعا عن
 نظرية الجرثومة ، تلك هى نظرية حقن الجسم بكمية مخففة
 - عاجزة عن الابداء - من جراثيم المرض المعين ، لاعطاء الجسم
 مناعة ضد ذلك المرض فى صورته العنيفة .. وهى نظرية
 « المصل » التى اصبحت اليوم من بديهيات الطب وعوامل انقاذ
 ملايين الارواح ..

مصل داء الكلب

♦ ثم جاءت أحفل مراحل حياة باستير بالكفاح : مرحلة عراكه الجبار ضد داء الكلب ، الذي كانت الكلاب المسعورة تنشره بين الناس على صورة مخيفة ! .. وقد استغرقت تلك المعركة من باستير سنوات كاملة ، عكف فيها على تجارب تلقيح الارانب بلعاب الكلاب المسعورة ، بتعريض الارانب للعقر من جانب الكلاب مباشرة .. ولكن حدث اثناء تلك التجارب ان كلبا مصابا من نوع (البولج) ابنى رغم قسوة آلامه وتساقط الزبد واللعباب من فمه ان يعقر الارنب الذى ادخل الى قفصه ! .. فلم يكن بد من استخلاص اللعاب من بين فكى الكلب ثم حقن الارنب به ! .. وهكذا قيد الكلب فوق احدى موائد العمل - وهنا حانت أروع واحسن لحظة في حياة ((البطل)) باستير ! .. فقد تناول انبوبة زجاجية مفتوحة من كلا طرفيها ، فوضع طرفها في فمه ثم انحنى بطرفها الاخر على فم الكلب المسعور ، واخذ يمتص لعابه المميت بواسطة الانبوبة ، محاذرا ان يبلغ اللعاب فمه هو ! .. ولكن دون ان يفقد هدوءه ، بل دون ان يبدو عليه انه ((يغازل)) الموت اخطر المغازلة ! .. حتى جمع من اللعاب الكمية الكافية ، وعندئذ رفع الانبوبة من فمه والتفت الى مساعديه قائلا وهو يبتسم : « والآن يا اصدقائي ، فلنتابع التجربة ! »

تجربة المصل فى الانسان

♦ وبعد اشهر من تلك التجربة عقر كلب مسعور صبيا يدعى (جوزيف ميستر) فاخذته امه الى باستير .. فحانت له بذلك فرصة تجربة مصله فى الانسان لأول مرة ، بعد ان اثبتت التجارب نجاحه فى الارانب . ولكن باستير تردد واجفا : من ادراه ان كمية الجراثيم التى سيدخلها فى جسم الطفل المصاب

لن تزيد اصابته خطورة وعنفا؟! ..
وبأى حق يخاطر بحياة انسان اخر
على هذه الصورة ... ؟



واخيرا تغلب على تردده واجرى
التجربة! .. ونجحت التجربة ..
فانقضت الواحد والثلاثون يوما
دون ان تظهر على المصاب اية
اعراض لعودة المرض .. وهكذا
شفى الصبي!

وبذلك انتصر باستير على داء
الكلب!

ايام المجد والتكريم!

◆ كانت السنوات التالية لذلك من حياة باستير حافلة
باروع صور التكريم والتمجيد ، فقد انهالت عليه الاوسمة ،
والمداليات ، والدبلومات ، وحفلات التكريم .. ومنح وسام
الليجون دونور .. وانتخب عضوا في الاكاديمية التي طالما حاربه
اعضاؤها! .. ورغم ذلك فقد ظل كما كان في بداية حياته
متواضعا شديد الحياء ، لا يفكر الا في السعى وراء الكشف
الطبية . ومن طريف ما حدث له في هذا الشأن انه بعد ان
انتخبته الحكومة الفرنسية كي يمثلها في المؤتمر الطبي الدولي
بلندن ، دخل قاعة المؤتمر (قاعة سان جيمس الكبرى) وسط
عاصفة من التصفيق الذي لم يدر بخلده انه هو المقصود به ،
فالتفت الى من بجواره قائلا : « يظهر ان البرنس اوف ويلز
قد وصل .. ليتنى وصلت قبل ذلك ! »

◆ ثم عاد الى باريس ، الى مواصلة تجاربه في معهد «باستير»
الذي انشئ باسمه تخليدا لذكراه .. وحين بلغ السبعين من

عمره جعلت الحكومة يوم عيد ميلاده عطلة رسمية ، و اقيمت له حفلة تكريم كبرى في « السوربون » . وعندما وقف ليلقى كلمة شكر للمحتفلين به - القادمين من مختلف اقطار العالم ! - كان بادي الضعف والهزال ، فكلف ابنه ان يتلو كلمة الشكر نيابة عنه ، وقد جاء فيها : « سادتي .. انكم لتسعدوننى بهذا الحفل سعادة لا توصف ، وتفخروننى باروع شعور يمكن ان يحسه رجل يؤمن ايمانا لا يتزعزع بان العلم والسلام سوف ينتصران على الجهل والحرب ! .. فلا تسمحوا لساعات الضعف والاسى التى تنتاب الشعوب ان تثبط عزائمكم .. وآمنوا ان الشعوب ستتعلم كيف تتحد ، لا من اجل التدمير ، بل من اجل التعمير .. وان المستقبل ليس للغزاة الفاتحين ، بل لمحبي الانسانية ومنقذى بنى البشر ! »

♦ وكانت رسالة الوداع من باستير .. الى البشرية ! .. ولكن ، ترى هل بلغت الرسالة مسامع البشرية ورسخت في وعيها ؟ .. ام نسيتها قبل ان تتحلل عظام صاحبها في قبره .. ؟ أترك لتاريخ الحريين العالميتين الماضيتين .. ان يتولى الجواب !

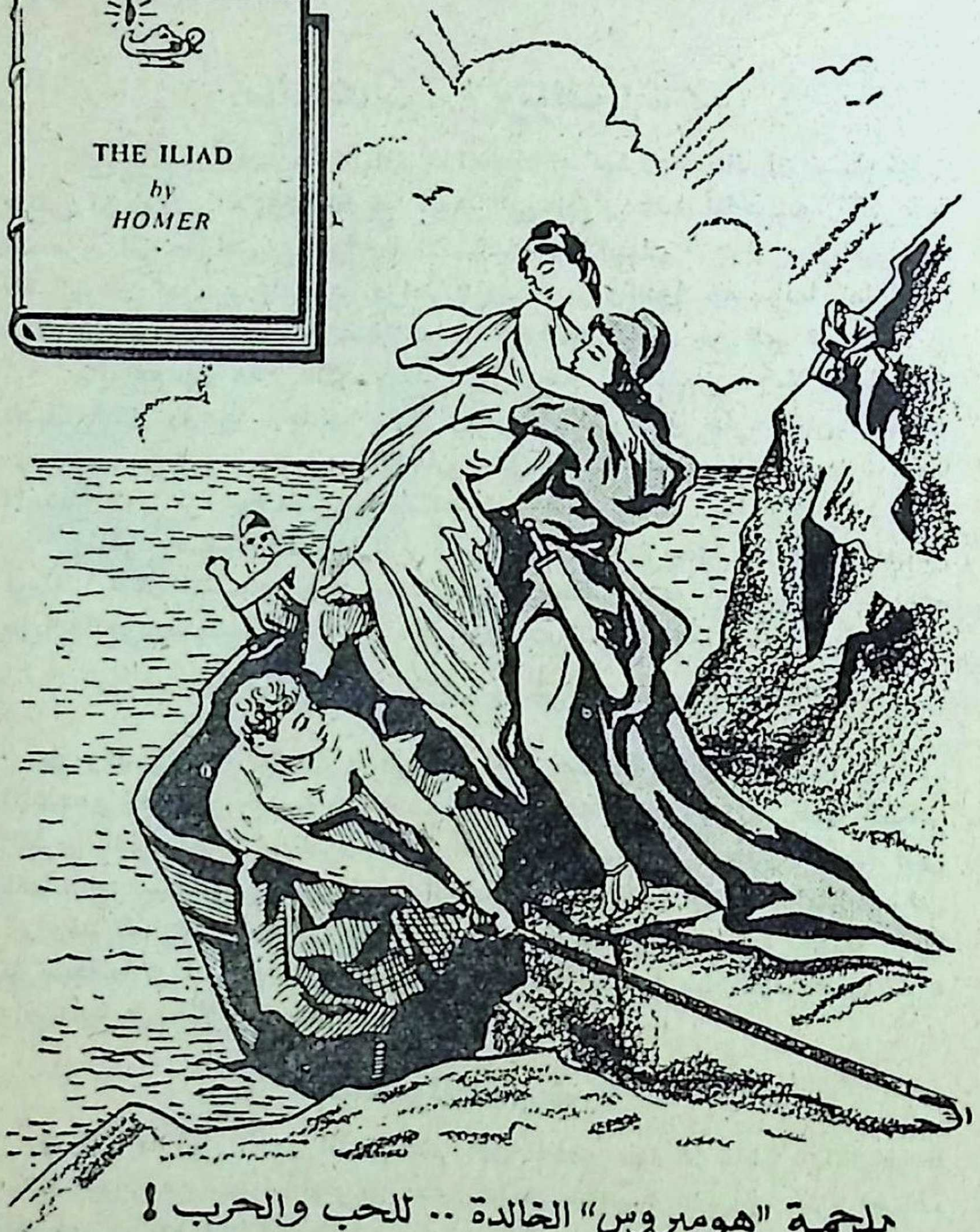
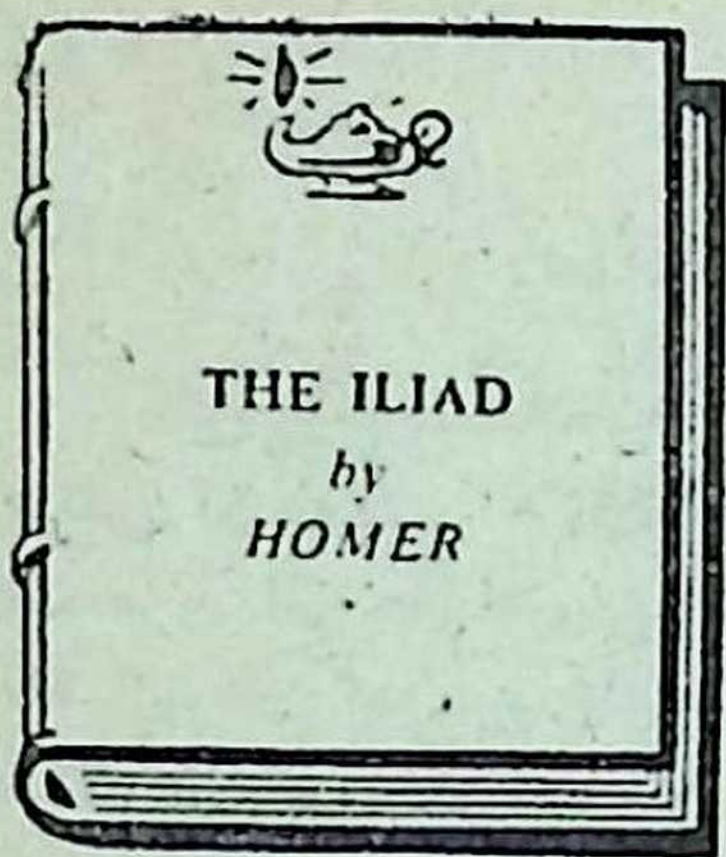
عزيزى القارىء . . .

((استخرجت)) لك فى كتابى الاول من كنوز انتخب القديمة كتاب ((ديكاميون)) أو (ألف ليلة وليلة الايطانية) لبوكاشيو . . وفى كتابى الثانى ((دون كيشوت)) لسرفانتس . . . واليوم انتقل بك من ايطاليا واسبانيا الى ((اينا)) القديمة، فاستخرج لك ((الياذة)) هوميروس الخالدة . وفى الاعداد القادمة اعزم ان اقدم لك بعون الله من هذه الكنوز القديمة : الكوميديا الالهية (لدانتى) ، والاوديسة (لهوميروس)، العقد الاجتماعى و ((اميل)) (لجان جاك روسو) ، الامر (لكيافيللى) ، اصل الانواع (لداروين) ، السياسة (لارسطو) ، الجمهورية (لافلاطون) ، يوتوبيا او الدولة المثالية (لتوماس مور) ، الفردوس المفقود (لمنتون) ، التاريخ (لهيرودوت) رأس المال (لكارل ماركس) انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية (لجيون) ، هكذا تكلم زرادشت (لنيتشة) ، الشخصيات (لباونارك) ، الاخلاق (لسنيكا) ، التربية (لهربرت سبنسر) ، كتاب الموتى (من تراث مصر القديمة) ، رباعيات عمر الخيام . . . وان اغفل تراث العرب الخالد ومنه : رسالة الففران لابی العلاء المعرى ، الحيوان والبخلاء للجاحظ ، اسطورة حى بن يقطان لابن طفيل ، طوق الحمامة لابن حزم الاندلسى، تزيين الاسواق لداود بن عمر الانطاكى ، الصادح والباغم لابن الهبارية (على طريقة كليله ودمنة) . . الخ .

كَنْب الأولون



كنوز الكتب القديمة



ملحمة "هوميروس" الخالدة .. للحب والحرب !

الإلياذة

قصة الكتاب • • ومؤلف الكتاب

لكي تتذوق قصة « (الايادة) » الخالدة ، كما احب لك ان تتذوقها ، ينبغي ان امهد لك اولا الطريق الوعر الى اغوار هذه الملحمة الاغريقية الشعرية الرائعة التي تتغنى بها الانسانية منذ اجيال الاجيال ، والتي ترنم بها اليونان كما ترنم اليهود بمزامير داود ! .. وكادوا يقدسونها كما قدس هؤلاء « (التوراة) » ، فلقنوها لصغارهم .. وحفظها كبارهم عن ظهر قلب ! والواقع ان هذه « (العجوبة) » التي ترجع الى تسعين جيلا ، ما تزال تحتفظ بكل روعتها وجدتها ، بل وخلودها الذي هو خلود الفن الصادق الاصيل .. وهي اليوم تبهر الازهان بمثل السناء والتألق اللذين بهرت بهما الاسماع لأول مرة يوم تغنى بها المنشدون في مادب امراء اثينا الاقدمين ! ولنقرأ وصف « (افلاطون) » للآثر الذي كان يحدثه ترنيمة في المآدب والمحافل يومئذ : « (كان المنشدون حين يتغنون بها يرتجفون نشوة ، وتجيئ نفوسهم طربا ، لمجرد سماعهم صدى موسيقى الابيات التي يرددونها !) »

تداولها « (الذاكرة) » خمسة قرون !

◆ وقد ظلت « (الايادة) » غير مكتوبة او مسجلة الا في « (ذاكرة) » اولئك المنشدين نحوا من خمسة قرون - او على وجه التحديد منذ نظمها الشاعر الضريع « (هوميروس) » في القرن العاشر قبل الميلاد ، حتى سجلتها البعثة التي ألفها « (بيزيستراتوس) » ، في القرن الخامس قبل الميلاد ، خصيصا لهذا الغرض .. وقد تقصت ابياتها من مختلف حفاظها ومنشديها وحققتها تحقيقا دقيقا ثم سجلتها في صورتها الرسمية الراهنة التي يعرفها بها العالم الحديث ، وانشدتها على الملأ في احتفال وطني كبير ..

حياة مؤلفها أسطورة

◆ والى ما قبل القرن الثامن عشر كان المجمع عليه ان ناظم « (الايادة) » منشد ضريع من شعراء الاغريق يدعى هوميروس ، عاش في فترة اختلف المؤرخون في تحديدها فتارجحت رواياتهم بصدد ذلك بين عام ١٢٠٠ وعام ٨٥٠ قبل الميلاد .. وكما اختلفوا بشأن تحديد العصر الذي عاش فيه هوميروس اختلفوا بشأن تحديد موطنه ومسقط رأسه .. فقال البعض انه مدينة من مدن آسيا الصغرى .. وقال آخرون انه جزيرة من جزر بحر ايجه ! ..



وقد بلغ من تنافس مختلف المدن والجزر على الاستئثار بفخر انجاب ((هوميروس)) ان سبعا منها قد تنازعت فيما بينها هذا الشرف ! .. وما يزال اللفز قائما بغير حل الى اليوم !

◆ ولكن في ختام القرن الثامن عشر نادى بعض الباحثين بنظرية جديدة مؤداها ان هوميروس ليس سوى ((اسطورة)) لم يكن لها في الحقيقة وجود ! .. او - ان كان لها وجود - لم تكن لها غير اهمية ضئيلة تافهة .. وينسب اصحاب هذه النظرية ملحمة الايلياذة ، لا الى هوميروس ، او الى شاعر

بعيته ، وانما الى مجموعة من الشعراء المجهولين الذين كانوا ينظمون القصائد الحماسية للعامة أثناء حصار اليونانيين لمدينة ((طروادة)) خلال الحرب القديمة المشهورة بهذا الاسم ! ..

على ان اكثر الباحثين المحدثين يبنون هذه النظرية ، جازمين بان الايلياذة من خلق ذهن واحد .. استنادا الى الوحدة الملحوظة في بنائها الفني ، وطابعها ، وسياقها ! ..

◆ والخلاصة .. انه برغم ان اسم ((هوميروس)) بات من اشهر الاسماء في تاريخ الاداب العالمية قاطبة ، فان العالم لا يكاد يعرف عنه حتى اليوم سوى النزر اليسير ، بل لا يكاد يقطع بما اذا كان رجلا واحدا ام مجموعة من الرجال ! .. كل ما نخرج به من الروايات التقليدية المتداولة عنه - والتي تفتقر الى دلائل اكيد - انه كان شاعرا ضريرا ، فقيرا ، مسنا ، يجول من بلد الى بلد منشدا اشعاره ، كلما وجد مستمعا يدفع الثمن ! ..

ملحمة الحب والحرب !

◆ ومهما يكن من شيء ، فالتفق عليه ان ((الايلياذة)) كانت ، وما تزال - وستظل ابد الدهر ! - صرحا ضخما من صروح الادب الانساني ، ومرجعا فريدا من مراجع المعرفة ، واساسا راسخا من أسس الاخلاق ، وديوانا خالدا

من دواوين الحماسة والبطولة ، كان له على التربية .. والادب .. والثقافة -
الاغريقية والعالمية - ابلغ الآثار واعظمها على مر الاجيال !
«والالياذة» مدينة بخلودها الى قوة موضوعها ، و«حرارة» ابياتها ،
وسلسلة اسلوبها ، البسيط ، الوقور ، الرائع ! .. واخيرا الى تصويرها
الناطق الحى لنفسيات الاغريق - رجالا ونساء - فى ذلك العصر من عصورهم
الحافل بصور بطولتهم النادرة ، فى الحرب .. وفى الحب !
وتتألف «الالياذة» من خمسة عشر الفا وخمسمائة من ابيات الشعر ..
وهى تصور حوادث واحد وخمسين يوما من ايام السنة العاشرة والاخيرة من
حصار الاغريق لطروادة .. ومن ثم فانت لكى تقرأها وتستمتع بها على الوجه
الاكمل ، لابد أن تعرف أولا قصة حرب طرواده .. والفراغ العارم الذى كان
السبب المباشر لاشتعالها .. والابطال الذين اکتووا بنارها .. سواء من
البشر ، أو الآلهة !

ذلك أن ابطال الالياذة خليط من البشر والآلهة .. فمن ابطالها البشريين:
باريس ، وهكتور ، ابنى ملك طروادة .. وعدوهما منيلاوس ملك اسبرطة ،
وشقيقه اجاممنون قائد جيشه .. أما ابطال الملحمة من الآلهة فمنهم : «زيوس»
كبير الآلهة - ويطلق عليه الرومان جوبيتر - وابنته «أتينا» آلهة الفكر -
ويطلق عليها الرومان «منيرفا» .. ثم أخيل - أو «اشيل» ابرز ابطال جيش
اجاممنون .. وهيلين ، زوجة ملك اسبرطة الفتاة ، التى نشبت بسببها
الحرب مع طروادة ! .. الخ

فدعنى أقص عليك طرفا من اساطير هؤلاء الابطال ، ومغامراتهم الشائقة
فى الحب والحرب .. قبل أن أقدمهم اليك فى قصتهم الكبرى الالياذة ، كي
يتها لك الجو المناسب لفهم هذه الملحمة على اكمل وجه ..

يفار من ابنه

◆ كانت « لاله البحر » ابنة من الحور تدعى «تيتيس» ، وقعت عليها عين
« جوبيتر » كبير الآلهة ، فاعجبته .. لكنه علم من «الاقدار» ان الحورية
سوف تلد ابنا يصير اعظم من أبيه .. فابى ان يكون هو ذلك الاب ! ..
ومن ثم قرر ان لا يضيفها الى قائمة عشيقاته العديديات ، بل يزوجه الى ملك
بلد مجاور .. ولكى يضيف على الزواج رونقا وبهاء ، رأى ان يحضر بنفسه
حفلة العرس ، مصحوبا بزوجته « هيرا » - آلهة الزواج - وغيرهما من آلهة
جبل الاوليمب ...

التفاحة .. دائما !

◆ وكان اله البحر - والد العروس - قد تعمد ان يففل دعوة آلهة «الشقاق» الكريهة الى عرس ابنته ، لكن اللعينة ذهبت الى ذلك الحفل متطفلة ، وهناك القت وسط المدعويين الصاخبين «تفاحة» كتبت عليها هذا الاهداء الماكر : الى «اجمل» الحاضرات ! .. فتنازعت عليها ثلاث منهن : هيرا ، الهة الزواج ، وابنتها «اتينا» آلهة الفكر ، ثم «أفروديت» آلهة الحب .. كل تزعم انها احق بها من سواها ! .. وتشيع لكل آلهة من الثلاث فريق من انصارها والمعجبين بها ، حتى كاد العرس يتحول الى ميدان قتال ! .. لولا ان استقر رأى الحاضرين على ان يحتكموا في النزاع الى راع وسيم الطلعة يدعى «باريس» ، يرعى قطيع ماشيته على سفح جبل «ايدا» القريب ..

معمشوق النساء !

◆ ورغم ان الراعى الشاب «باريس» كان يكسب عيشه من هذه الحرفة المتواضعة ، فانه كان سليل ملكين من اعظم ملوك ذلك الزمان : هما «بريام» ملك طروادة ، و «هيكوبا» ملكتها ! .. وكان عراف قد تنبأ له في طفولته بانه سوف يجلب الخراب والكوارث على وطنه ، فأثر والداه ان يضحيا به في سبيل طروادة ، فتركاه على سفح تل ليموت .. لكن الاقدار هيات له راعيا فقيرا عثر عليه فانقذه ، وتبناه ! .. وشب «باريس» فاتن الطلعة رائع الجمال ، الى حد اوقع جميع الحوريات والراعيات في هواه .. اما هو فوقع في هوى حورية تدعى «اوينون» ، وعاش الاثنان في سفوح جبل ايدا حياة مترعة بالسعادة ..

الفتنة تسعى اليه !

◆ وذات يوم .. جاءت الآلهات الثلاث المتنازعات على التفاحة : أفروديت، وهيرا ، واتينا .. فالتقن بالتفاحة الذهبية بين يديه ، وسألنه ان يحكم بينهن بالعدل ، فيمنحها لمن يراها احقهن بها ! ثم شرعت كل واحدة تحاول ان ترشوه - بغير استحياء - كي ينحاز الى صفها .. فوعده «هيرا» بالسلطان والثراء .. ومنته «اتينا» بالشهرة والمجد الحربى .. اما «أفروديت» فقد عرضت عليه ان تزوجه من اجمل نساء الارض !

وراقت له الامنية الاخيرة اكثر من سابقيتها ، فمنح تفاحة «الجمال»
الذهبية لالهة الحب !

ولم تمض أيام حتى هجر «باريس» زوجته .. وماشيته .. وأبحر
في ركاب افروديت .. الى شواطئ اليونان !

أجمل نساء الارض !

◆ في تلك الايام كان ملك «اسبرطة» زوجة تدعى «ايدا» ، راقى في عيني
كبير الالهة «جوبيتر» ، فانجبت منه طفلا وطفلة من الالهة ، بعد ان أنجبت من
زوجها طفلا وطفلة من البشر .. فلما كبر الاربعة زوجت الطفلة «البشرية»
من «اجا ممنون» ملك «مسينيا» فجلبت عليه الكوارث - كما سنرى ...
اما الطفلة «الالهية» - وكانت تدعى «هيلين» - فقد خطبها شقيقه «مينيلاوس»
فظفر بها وصار وريثا لعرش اسبرطة في آن واحد !

وكان ملك اسبرطة الشيخ قد ادرك بفطنته ، ان زوج هيلين - التي كانت
تعتبر أجمل نساء الارض قاطبة ! - لابد ان يتعرض بسبب جمالها لكثير من
الاعطار والاحقاد .. فاقترح على جميع خاطبي ود هيلين - قبل ان يزوجها
من احدهم - ان يقسم كل منهم قسما لا حث فيه على ان يرضخ لحكمه
فلا يحاول التعرض لها فيما او صارت من نصيب سواه ، بل وان يخف
لمساعدة الزوج الذي يظفر بها على استردادها ، فيما او خطفها عاشق
حسود .. !

وسنرى ان ذلك القسم كان السبب في نشوب حرب طروادة ! ..

أفروديت تفي بوعدا !

◆ وتم زواج هيلين من «مينيلاوس» ،
الذي صار الان ملكا لاسبرطة ، وعاش
الزوجان اعواما سعيدين .. وذات يوم
نزل ضيفا عليهما في قصرهما أمير شاب من
امراء طروادة .. ولم يكن الامر سوى
الراعي الوسيم «باريس» الذي منح
افروديت تفاحة «الجمال» الذهبية فوعده
بان تمنحه بدورها أجمل نساء الارض .
وتنفذا لوعدها نصحته بان يعود الى قصر
ابيه ملك طرواده فيعرفه بنفسه ويحصل
منه على السفن اللازمة كي يقوم برحلة



بحرية الى بلاد اليونان ، حيث تقيم هيلين ((اجمل نساء الارض)) !.. فقد كان من سوء المصادفة ان الفاتنة التي وعدته بها افروديت كانت زوجة لسواه !.. لكن عقبة ((تافهة)) كهذه ما كانت لتعوق آلهة عن الوفاء بوعده قطمته على نفسها ! .. وهكذا ، بتأثير تحريض ربة الحب والجمال ، انتهز الشاب ((باريس)) فرصة غياب مضيفه مينيللوس عن القصر .. فاختطف زوجته ((هيلين)) وفر بها الى طروادة !

وكانت خيانة وضيعة من جانب الضيف ، فان مضيفه كان قد استقبله بكل مظاهر الترحيب اللائق بالامير الشاب ، واکرم وفادته كاعظم ما يكون الاكرام ! .. فلما عاد من غيبته فوقف على نبا فرار زوجته مع ضيفهما ، بادر فارسل رسله على عجل الى جميع طالبي يد ((هيلين)) السابقين ، مذكرا اياهم بقسمهم القديم على نجدته في مثل هذا الظرف بالذات ! .. وهرع الجميع من فورهم اليه .. ودعى رؤساء العشائر لبدء رأيهم في الموقف الحربى الذى قد يتطور اليه النزاع .. فوقع اختيار المجتمعين على ((اجاممنون)) - زوج شقيقة هيلين ، وشقيق زوجها - كى يكون قائدا لهم في عراكتهم المقبل .. وبفضل دهاء احد الحاضرين - وهو ((اوديسيوس)) ملك احد الاقاليم المجاورة - ضم الى صفوفهم البطل الصنديه ((أشيل)) ابن الحورية ((تيتيس)) ، (التي حضرنا زفافها في بداية القصة) .. وهو الذى كانت الاقدار قد تنبأت له بانه سوف يصير اعظم من ابيه !

((أشيل)) ونبوءة الآلهة !

◆ ويقترن اسم ((أشيل)) فى ادب القدماء - الاغريق والرومان - باكثر من اسطورة ، ويتوج باكثر من هالة من هالات المجد ، حتى ليعتبر من اعظم ابطال القصص الخياليين ، واحبهم الى الازهان .. وتقول تلك الاساطير ان ((الاقدار)) حين حضرت زفاف ابويه تنبأت لهما بان ابنهما الذى سيرزقان به سوف يحارب مملكة طروادة ، فيتساقط ابناءؤها تحت ضربات سلاحه الفاتك البتار كما تتساقط سنابل الحنطة تحت ضربات منجل الحصاد ! .. وان حصون المدينة سوف تتداعى اخيرا أمام هجماته ، فيدخلها دخول الفاتحين ، لكنه سيفقد حياته اخر الامر عند اسوارها ! ورسخت هذه النبوءة المفجعة فى ذهن الحورية العروس ((تيتيس)) ، فلما رزقت بابنها ((أشيل)) جعلت همها الاوحد ان تحميه بكل وسيلة من عدوان الاقدار ، وتكفل له الخلود على قيد الحياة .. فلما شب عن الطوق حملته

الى نهر «ستيكس» المقدس ، الذى يكسب ماؤه كل جسم يبلة مناعة ابدية ضد الموت ! .. وهناك امسكت بالصبي من عقب - كعب - قدمه والقت به تحت الماء .. فاكسب جسمه تلك المناعة ضد جميع قوى الفناء ، ولم يبق للموت منفذ اليه الا عن طريق عقب قدمه الذى لم يبلة ماء النهر !

امراة .. تعاند الاقدار !

◆ وحين ترعرع الغلام تولى احد العمالقة تدريبه على القتال ، وصار يغذيه بنخاع اقوى الاسود المفترسة ! .. لكن ذلك كله لم يظامن من مخاوف الام ، التى ما فتىء يقض مضجعها القلق على ابنها الحبيب من مخاطر حرب طروادة ، العتيدة ان تنشب يوما فتقضى على حياته ! .. وبتأثير هذا القلق البسته أمه ثياب النساء والحقة بسلك «وصيفات» البلاط الملكى ! .. لكن تنكره هذا لم يخف على عين الملك الماكر «اوديسيوس» ، فتنكر بدوره فى زى بائع متجول وذهب يعرض على وصيفات القصر بضاعته من الاساور والاقراط .. بعد ان دس بينها سيفاً وخنجرًا .. فلم يكد بصر الشاب المتنكر «اشيل» يقع على الاسلحة حتى بدرت منه حركة نمت عن خبرته بفنون القتال ! وهكذا انكشف امره ، فاخذه اوديسيوس معه ليشترك فى مقاتلة اهل طروادة بغية استرداد ملكة اسبرطة - «هيلين» - من اسرهم ، والاقتصاص لها من اسريها .. !

العذراء التى افتدت وطنها !

◆ وهكذا التام شمل جيش الاغريق ، بقيادة «اجامنون» ، واخذ اهبطه للابحار الى شاطئ آسيا الصغرى - حيث تقع طروادة - لمهاجمتها وكسر شوكتها .. ولكن فى اللحظة الاخيرة هبت رياح مضادة عاقت تحرك السفن التى تحمل الجيش المهاجم .. واستمر هبوب تلك الرياح اياما طويلة ، بحيث لجأ القوم آخر الامر الى استشارة عراف فى صدد ما ينبغى فعله لارضاء الالهة التى تصب عليهم جام غضبها على هذا النحو ! .. فافتى العراف بان لا سبيل الى ارضاء الالهة غير التضحية بابنة «اجامنون» الكبرى على مذبح الفداء لوطنها ! .. ولم يكن بد من الرضوخ لحكم الاقدار ، فارسل الاب النفس الى زوجته يطلب حضورها وبصحبتها ابنتهما الكبرى ، دون ان يصارحها بالسبب !

وحضرت الاثنتان .. وكانت الابنة مخطوبة للبطل الشاب ((أشيل)) ،
 فلما علم بفتوى العراف حاول عبثا انقاذ خطيبته من مصيرها المفجع ..
 لكن القوم هاجوا عليه ، وفي مقدمتهم اخلص انصاره ، واتهموه بخيانة وطنه !
 .. وكادت تنشب في صفوفهم فتنة عمياء .. لولا ان حسمت الفتاة الموقف ،
 هاتفة بأمها - والتعير هنا للشاعر اليوناني ((يوريبيدس)) في مسرحيته
 الخالدة التي استوحاها من الاسطورة : « أماء ، لقد امعنت الفكر في الامر .
 اصفى الى : انى ساختار الموت ، وساختاره راضية ، فلقد محوت الخوف
 من قلبى محوا .. ان الالهة تطلب حياتى ، فهل أملك لطلبها رفضا ؟ ..
 اذن فلتكن حياتى فداء لوطنى .. ولتنطلقوا لفزو طروادة ! »

ثم تمضى العذراء الى حتفها !

ويتغير اتجاه الريح ، فتنتطق «الالف سفينة» التي تحمل جيش الاغريق
 نحو غايتها ، تمخر عباب بحر قاتم اكسبت الظلمة ماءه لون النبيذ ..!
 وبذلك تبدأ حرب طروادة المشهورة !

والآن ، وقد هيات لك بهذه المقدمة - فيما ارجو - الجو المناسب
 لمطالعة «الالياذة» .. فلننتقل معا الى حيث نقلب صفحات هذه الملحمة
 الادبية الخالدة ذاتها :

اللياذة

◆ تبدأ الملحمة فاذا تسع سنوات قد انقضت على نشوب حرب طروادة ، والاغريق المهاجمون مايزالون عاجزين عن اقتحام اسوار المدينة المحصنة . . وطروادة صامدة للحصار الطويل المرير ، لايهن لها عزم ولا تلين لابنائها قناة ! لكن الملل قد تطرق الى نفوس جنود « اجاممنون » ، والحنين الى وطنهم وبيوتهم قد فعل فعله في قلوبهم واعصابهم . . سيما وقد اضطرهم طول الحصار الى القتال في جبهتين ، وتقسيم قوتهم الى قوتين : قوة ترابط امام اسوار المدينة العاصية ، متحينة الفرص لمحاولة فتح ثغرة في حصونها الحصينة ! . والقوة الاخرى تشن غاراتها المتواصلة على المدن القريبة سعيا وراء توفير حاجات الجيش المختلفة من المؤن والطعام والذخائر . .

ومن هنا نشب النزاع الرهيب الذي جلب في اذياله الكثير من الكوارث !

العدراء التي اختطفت !

◆ فقد كانت بين البلدان التي هوجمت ونهبت على هذا النحو بلدة تدعى « كرايس » ، بهامعبد مقدس من معابد الاله « ابوللو » - يقوم على شئونه كاهن اسمه « كرايسس » - عاث الجنود فيه فسادا وسلبا ، ونهبوا الكثير من محتوياته وكنوزه ،

ثم ختموا جرائمهم باختطاف ابنة الكاهن العذراء الجميلة «كربسيس»، واهدائها الى قائد جيشهم «أجاممنون» باعتبارها نصيبه من الغنيمة !

وهرع الكاهن المكلم الى معسكر جيش الاغريق ، حاملا فى جعبته كل ماملكت يمينه من الذهب والحلى الثمينة ، كى يدفعها فدية للاعداء مقابل استرداده لابنته ! . . . ورغم ان اكثرية أولى الامر فى الجيش كانوا راغبين فى قبول الفدية ورد الفتاة لابيها ، فان قائدهم الاعلى أجاممنون أبى هذا العوض ، بل وصرخ فى وجه الكاهن غاضبا : « فلتفرب عن وجهى أيها الشيخ ، والا ساء مصيرك . . . فعندما يتم لى غزو طروادة سوف آخذ ابنتك معى الى وطنى ! »

◆ ولم يجد الكاهن بدا من ان يعود ادراجه محزونا كسير الفؤاد ، مبتهلا الى الهه «ابوللو» ان يتولى عقاب الاغريق من أجل قسوتهم وعدوانهم ! . . .

واستجاب «ابوللو» لصلاته ، فهبط من مقره فى جبل « أوليمب » ، وراح يرمى بسهامه الذهبية المسمومة جياذ الاغريق وكلابهم ، ثم رجالهم . . . فتفشى للحال فى معسكراتهم طاعون مخيف ، بحيث تكاثفت فوق الشاطئ سحب الدخان السوداء المتصاعدة من اكوام جثث موتاهم التى كانت تحرق أولا بأول ! . . .

استشارة النجمين !

◆ وراقبت «هيرا» - الهة الزواج وزوجة جوبيتر - هذه الكوارث مشفقة ، وهى التى انحازت الى الاغريق وحققت على طروادة منذ منح «باريس» تاج الجمال لمنافستها افروديت ! . . .

فطلبت الآن الى « أشيل » أن يدعو جميع الرؤساء والقواد الى مؤتمر يبحثون فيه الامر ، لعلهم يهتدون الى مخرج ينقذهم من شر الوباء ..

ورحب اشيل بالفكرة ، ونفذها .. وحين عقد الاجتماع طلب الى العراف « كالمشاس » أن يقول كلمته في الامر .. فوقف هذا - متجاهلا غضب أجاممنون - وطالب المجتمعين برد العذراء الاسيرة الى أبيها ، دون اخذ فدية ما عندها .. بل وأوصاهم ان يرسلوا معها مائة ذبيحة كي تقدم الى الاله «ابوللو» استغفارا له واستجلابا لرضاه !..

وغضب اجاممنون لدى سماعه هذا القول ، وثارته ثأثرته .. فنهض اشيل يقسم له ان يكافئه الرؤساء جميعا أضعافا مضاعفة يوم تسقط طروادة اذا هو رد الاسيرة الآن الى ذويها !

ونشب على الاثر نزاع شديد بين الرجلين ، كاد أشيل فيه أن يستل سيفه ليطعن به غريمه ، ولا أن أوحى اليه الالهة « هيرا » أن يتذرع بالصبر ويتجاهل اهانة أجاممنون ، ففعل ، وهو يقسم لنفسه بصولجانه الذهبي ان ينتقم من خصمه يوم تحين له الفرصة !

انتقام اجاممنون !

◆ لكن أجاممنون كان السابق الى الانتقام ، فانه لم يكذب يطلق سراح اسيرته «كريسيس» مرغما ، كي تعود الى أبيها ، حتى طالب غريمه أشيل بالتنازل له عن أسيرته الخاصة «بريسيس» التي كانت نصيبه من الغنيمة عقب احدي غارات

الجيش على المدن المجاورة ! ٠٠ وأردف القائد طلبه بارسال
اثنين من جنوده الى خيمة آشيل كى يحضرا له الحساء قسرا ،
اذا اقتضى الامر ! ٠٠

ولم ير آشيل جدوى من المقاومة ، فأمر بتسليم « بريسيس »
الى الرسولين ، واندفع غاضبا الى مخدعه وهو ينثر من لسانه
وقلبه حمم سخطة على القائد الظالم ! ٠٠

وفى نوبة حنقه الاسود اقسم لينفضن يده من القتال . .
ثم ناشد أمه « تيتس » أن تبتهل الى كبير الآلهة « جوبيتر »
- المعجب القديم بجمالها ! - وتسعى لديه بكل الوسائل كى
ينصر الاعداء - أهل طروادة - على خصومهم الاغريق فى الحرب !

الخلافات الزوجية . . عند الآلهة !

◆ لكن « جوبيتر » كان فى ذلك الوقت متغيبا عن جبل
« أوليمب » ، يحتفل بالعيد مع رعاياه الاتقياء اهل « ايثيوبيا » . .
فلما عاد من رحلته ، بعد اثنى عشر يوما ، خفت اليه الحورية
ذات القدم الفضية « تيتس » - والددة آشيل - كى ترفع اليه
ابتهالات ابنها . . فلما صعدت جبل الآلهة ، ومثلت فى حضرة
« رب الارباب » ، ركعت على ركبتها أمامه ولمست بيسراها
ركبته ، وبيمينها لحيته - كالعرف المتبع - ثم توسلت اليه
ان ينصر طروادة على أعدائها الاغريق ، الذين أذلوا ابنها
الحبيب ! ٠٠

فوعدها جوبيتر بأن يذكر ملتمسها هذا ، وأكد وعده
بايماءة من رأسه « فتماوج الشعر على رأسه واهتز جبل
الأوليمب بأسره ! »

◆ وهنا نرى أنفسنا في السماء ، في مجلس الآلهة .. وقد اجتمع شمل جوبيتر ، وزوجته هيرا ، وأبوللو ، وأفروديت ، وزوجها فولكان (إله النار والمعادن ، ابن جوبيتر وهيرا) .. فتؤنب هيرا زوجها على تعصيده لأهل طروادة ، ويبين في لهجتها الحقد على هؤلاء بسبب انحياز أميرهم «باريس» إلى منافستها أفروديت ضدها هي ! .. وهكذا يشتبك الزوجان الإلهيان في شجار لا يهدى من حدته غير تدخل ابنتهما فولكان ، الذي يطوف حول المجتمعين يطلع بقدمه العرجاء حاملا كأس النبيذ في يده ، مناشدا أمه وإبيه بخطاب طويل يثير ضحك الآلهة ، جاء فيه : «هذه المشاجرات التعسة التي يآلفها البشر لا تليق بنا نحن الآلهة ، فدعوها لأولئك الحمقى الذين يقضون أيامهم في كفاح عقيم لا معنى له ، ولنقض نحن إيماننا في سلام أبدي وفرح دائم .. وانت يا أماء ، اطيعي زوجك ومولانا ولا تفصمي عري الاتحاد المقدس للسماء .. اطيعيه ، واصبري !» .. ويدور فولكان على المجتمعين بكؤوس النبيذ ، فيشربون نخب وحدتهم المقدسة وهم يضحكون ضحكا تهتز منه جدران السماوات ..

الخدعة الكبرى !

◆ وتذعن الزوجة لزوجها فتطلق يده في التصرف ، راغمة ! .. ولكنه مع ذلك يؤثر - حرصا على سلامه البيتي - أن لا ينحاز إلى جانب أهل طروادة صراحة ، وإنما يعمل إلى حل ما كر، فينتهز فرصة استغراق الآلهة والبشر جميعا في النعاس ويرسل إلى أجفان أجاممنون حلما خداعا يهيب به أن «انهض

يا اجاممنون ، وشن هجوما ساحقا على طروادة ، فلند حل
يوم سقوطها المحتوم ، ولسوف تحارب الالهة فى صفك ،
ضدها !»

وينهض القائد من فوره فيرتدى عباءته ويتمنطق بسيفه ،
ثم يتناول صولجانه الذى يرمز الى تفوقه على جميع أمراء
اليونان ، ويدعو حراسه الى ان ينفخوا فى النفير ليوقظوا الجيش
للقتال . . . وحين يتخذ الجنود أهبتهم لامتطاء جيادهم وعرباتهم
الحربية والانطلاق بها فى هجمة جبارة نحو اسوار طروادة ،
يبتهل اجاممنون الى جوبيتر ان يكفل له النصر . . .
لكن «رب الارباب» لا يعيره سمعا !

هيلين . . . تلقى عن وجهها القناع !

◆ وحين رأى اهل طروادة جيوش خصومهم تتجمع وتزحف
نحو اسوار مدينتهم انطلقوا يتصدون لهم وهم يطلقون صرخات
أشبه بصرخات سرب من الطيور الجارحة ! . . . اما الاغريق فقد
اشتبكوا فى القتال وهم لا ئذين بالصمت المطبق . . .
وكان يتقدم صفوف الاولين ابنا ملك طروادة : هكتور ،
وباريس . . . فاندفع الاخير بجواده الى خارج اسوار المدينة ،
صائحا بأعدائه انه على استعداد لمنازلة اقوى ابطالهم وأشدهم
بأسا ! . . . واذذاك قفز غريمه «مينيلاوس» - ملك اسبرطة
وزوج «هيلين» ! - من عربته الحربية متصديا لمنازلته . . .
لكن الامير الشاب - الذى كن له وجه اسد وقلب غزال ! -
لم يكديراه حتى اجفل متراجعا ، كمن برزله اثناء سيره منفردا

ثعبان سام ! .. فلما رأى شقيقه هكتور جبنه ، وبخه وانتهره بشدة .. فخجل باريس من نفسه وقبل ان يبارز خصمه مبارزة فردية ، على أن تصبح هيلين من نصيب الظافر منهما ، ويوقف القتل بشأنها بين البلدين !

ومضى هكتور الباسل الى صفوف الاغريق فأبلغهم هذه الرسالة ، فقبلها مينيلوس مرحبا .. وفيما اجراءات المبارزة تعد أقبل بشير الالهة على هيلين حيث كانت فى قصرها فأنبأها بخبر تأهب الغريمن للمبارزة من اجل الظفر بها ! .. فاتشحت هيلين بعباءة بيضاء ومضت الى أسوار المدينة ، حيث جلس ملك طروادة وشيوخها وأولى الراى فيها ! ..

وانها المرة الاولى التى تظهر فيها هيلين لقارىء اللياقة .. فكيف يظهرنا هوميروس على مبلغ جمالها ؟ أوصفه لنا وصفا تفصيليا دقيقا ؟ كلا ، فتلك طريقة كتاب القصص فى العصور التالية لعصر هوميروس ، لكنها ليست طريقة هوميروس ! .. وانما هو يصور لنا جمال المرأة كما ينعكس فى تعليقات شيوخ المدينة الذين تمر بهم فى طريقها الى مكان المبارزة .. فاذا هم يلوكون بين ألسنتهم ، مغمغمين ، عبارات الحنق والسخط عليها ، ويصبون على رأسها اللعنات باعتبارها منشأ البلاء وسبب الحرب الضروس التى يكتوى بنارها الشعب .. لكنهم يجدون انفسهم مع ذلك مضطرين الى ان يعترفوا ، راغمين ، انها على قدر من الحسن الباهر يؤهلها لان تكون ملكة السماوات ! .. او على حد تعبير هوميروس : « .. كانت ملكة اسبرطة تقترب متهادية نحو سور طروادة ، فلم يملك الشيوخ انفسهم من الاحساس بوطأة جمالها وسطوته التى لا تقاوم .. فصاحوا برغمهم : « لا عجب فى ان يشعل هذا الحسن السماوى نار الحرب على الارض طيلة تسع سنوات ! .. اى جلال أسر لها ! ..

وأية طلعة مهيبة ! انها تختال كالهة ، وتبدو كملكة ! .. ومع ذلك ، فلتحجبي ياسماء هذا الوجه الفاتك .. ولتحمي شعب طروادة من الفناء !»

وهكذا أقبلت هيلين بابتسامتها الخالدة التي تطالعنا من خلال الاجيال ، وطلعتها التي « أطلقت نحو طروادة الف سفينة مسلحة ، واحرقت أبراج حصونها التي تناطح السحاب !» .. أقبلت ولحظها الفاتك وخطوها المهيبة يتغنى بسحر اجمل غادة خلبت الالباب وسبت العقول !

«باريس» وملك اسبرطة .. يتبارزان !

♦ وتأخذ المبارزة مجراها ، فيتولى هكتور و «أوديسيوس» تحديد مكان وقوف الخصمين . ويجريان قرعة لاختيار الذي يبدأ منهما بإطلاق رمحه على الآخر ، فيفوز باريس بالاولوية ! .. وهكذا يطلق الشاب رمحه على مينيلوس ، فيصيب درعه ، لكنه لا ينفذ منه ! .. ثم يطلق مينيلوس رمحه ، فيصيب درع باريس ، لكنه لا يجرحه ! .. واثناء المبارزة يتمكن الاول من تشديد قبضته على خوذة الشاب المفتون ، فيجرحه بواسطتها فوق أرض المكان ، في اتجاه معسكرات الاغريق ! ..

وفجأة تنقض افروديت من السماء فتكسر طرف الخوذة في يد ملك اسبرطة وتحمل «باريس» وسط سحابة كثيفة من الغبار الى حجرته داخل حصون طروادة ! .. ثم تهرع الى هيلين فتنبئها بما جرى لفاصبها ! ..

واذذاك يعلن اجاممنون هزيمة الخصوم ، مادام بطلهم قد اختفى من الميدان ! .. ويطالبهم بتسليم «هيلين» ، حسب شروط المبارزة ، ودفع التعويضات الكاملة عن كافة الاضرار

والمتاعب التي لحقت به وبجيشه وشعبه طيلة السنوات التسع التي استغرقها حصارهم لطروادة !
ويختلف الفريقان في تحديد كل من الظافر والمهزوم !!
وينقسم الآلهة انفسهم في هذا الصدد ، فينحاز جوبيتر الى صف شعب طروادة .. وتنحاز زوجته «هيرا» وابنته «اتينا» الى صف خصومه الاغريق !! ثم تنكر الابنة في زى امرأة من اهل طروادة وتغري احد اقطاب جيش هذه المدينة بأن يطلق سهما من جعبته على ملك اسبرطة ، كي يخرق الهدنة بين الفريقين فيستأنف القتال ، ثقة منها بأن استئنافه في صالح الاغريق - بعد ان تحرص على ان لا يصيب السهم هدفه في مقتل !!

وتفلق الحيلة في تحقيق الغرض منها .. فلا يكاد اجامنون يرى دم اخيه مينيلوس يسيل حتى تثور ثائرة سخطه على الاعداء ، فينقض الهدنة ويهيب بجنوده ان يواصلوا القتال !

افروديت تشترك في القتال !

◆ وتحتدم المعركة يومين كاملين ، يلمع خلالهما نجم «ديوميد» احد ابطال الاغريق ، الذي يبلى في القتال احسن البلاء ، حتى ليصيب بأذاه «افروديت» ذاتها .. ذلك ان الآلهة انفسهم قد اشتركوا في المعركة الهائلة بنصيب فعلي ، فحاربوا كما يحارب البشر ، وجرح بعضهم كما يجرح البشر - وان لم يتعرضوا مثلهم للموت !!

وتضطر افروديت بتأثير اصابتها الى أن تطير الى موطنها في السماء ، حيث تسهر امها «ديون» على تمريرها .. بينما

تسوء الاحوال فى صفوف جيش طروادة ، فلاتكاد الجماهير تلمح «هكتور» عند اسوار المدينة حتى تتكأأ عليه زوجات وامهات المحاربين الغائبين ، يستفسرن منه عن انباء القتال .. فلا يجيبهن بغير مطالبتهن برفع صلواتهن الى الالهة ، كى تحمى طروادة من اذى العدو الرهيب «ديوميد» !

دموع الزوجة .. وصرخات الطفل !

◆ ثم يمضى هكتور الى بيته ، ليرى زوجته « اندروماك » ، فيعلم انها خرجت لتلقاه عند اسوار المدينة ، ومعها طفلها الرضيع ..! فيعود لبحث عنها ، حتى يعثر عليها .. فتستعطفه باسم طفلها ، وشبابها ، وابيها واخوتها السبعة الذين قتلهم البطل «أشيل» فى يوم واحد ، وأمها التى لحقت بهم بدورها ..! تستعطفه باسمهم جميعا ان يرأف بحالها فلا يعرض نفسه لمخاطر القتال ... العقيم !

فيجيبها فى أسى ظاهر : « اعلم ان شعبنا وبلادنا قد كتب عليهما الهلاك .. لكنى لأرثى حالهما بقدر ما ارثى لحالك انت يوم تقعين اسيرة فى ايدى الاغريق ، فيسومونك الخسف والهوان .. ويتندرون فيما بينهم ساخرين : « هذه الاسيرة كانت زوجة هكتور ، أمير طروادة ! »

ثم مد الاب ذراعيه الى طفله .. لكن الطفل اجفل مذعورا من الخوذة النحاسية اللامعة والريشة المتدلية منها ..! فضحك هكتور والقى بالخوذة الى الارض ثم اخذ ابنه بين ذراعيه وقبله ، مبتهلا الى الهة ان «يصير يوما عظيما بين اهل طروادة ، وقررة عين امه ! ..»

وهنا بكت اندروماك ، وان حاولت جاهدة ان تبتسم من خلال دموعها ..! فطيب زوجها خاطرها قائلا ان كل

انسان قد كتب له قدره المقسوم ، وأوصاها ان تنصرف الى مهام بيتها وطفلها تاركة للرجال ان يفكروا في القتال ! .. ثم تناول خوذته فلبسها ، بينما انصرفت الزوجة بطفلها وهي تلتفت الى الوراء كل بضع خطوات ، لتودعه بنظرة أخيرة ! ..

مصرع البطل المزيف !

◆ وانطلق هكتور ، ليشترك بعد قليل في مبارزة مع البطل الاغريقى «آجاكس» .. ويستمر النزال بينهما سجالاتا حتى يهبط الظلام ، فينتهى الى غير نتيجة حاسمة .. بينما يكون الاغريق قد أقاموا المتاريس والاستحكامات لحماية سفنهم الرابضة على الشاطئ . لكن هكتور لا يلبث ان يهاجمهم على رأس قوة كبيرة ، وتحتدم المعركة بين الفريقين زمنا ، يكاد لواء النصر يعقد خلاله لهكتور وقومه ، الذين ساقوا اعداءهم أمامهم نحو الشاطئ ، وتأهبوا لاشعال النار فى سفنهم ! ..

.. و «أشيل» مايزال فى خيمته ، محجبا عن القتال ، يذكى فى قلبه جذوة حقه على اجاممنون .. ان سفن قومه توشك ان تذهب طعمة للنيران ، لكنه مع ذلك لن يتحرك لنجدتهم ! ..

لكن صديقه «باتروكلاس» يدخل عليه مقترحا ان يستعير منه درعه وسلاحه البتار ، كى يلقي بهما فى روع الاعداء انه البطل المرهوب «أشيل» ، وبذلك يوقع الذعر فى قلوبهم ! .. فلئن ابى اشيل ان يخف لنجدة قومه بنفسه ، فلاقل من ان يدع غيره ينجدهم !

ويذعن البطل لتوسلات صديقه ، فيعطيه زيه .. وبركته .. وينطلق هذا الى الميدان ، فلايكاد الاعداء يرونه حتى يحسبونه خصمهم المخيف «أشيل» ، فيدب الرعب فى صفوفهم ويتراجعون

امام الاغريق فى غير نظام .. وكلما فروا طاردهم باتروكلاس
بلاهراة .. حتى يطير درعه منه تحت ضربة قوية من احد
مهاجميه .. واذذاك ينتهز «هكتور» الفرصة فيطعنه الطعنة
القاتلة !

خروج الاسد من عرينه !

◆ وحين يبلغ النبأ مسامع اشيل يجن لوعة وحزنا على
صديقه الشهيد .. فيرمى على الارض ويروح يهيل التراب
على رأسه ، ويمزق شعره ، ويصرخ طلبا للانتقام .. !

وتصك صرخاته اذنى أمه الحورية «تيتيس» فى مكمناها
فى اغوار البحر ، فتهرع اليه كى تشاركه حزنه وتواسيه ..
ولكن انى له ان يتعزى وقد فقد عدته الحربية الكاملة التى
أهدته اياها الالهة ؟ - وفقدها الى غير رجعة ! .. بعد أن انتزعتها
هكتور من جثة باتروكلاس وأخذها لنفسه ! .. أومعنى هذا
انه قد قضى عليه أن يطلق القتال الى الابد ؟

وازاء هذا المأزق الحرج تسرع الام الى ابنها « فولكان » - اله
النار والمعادن - تناشده أن يصنع لابنها حلة مدرعة جديدة
وعدة كاملة من السلاح ، فيقبل توسلاتها واعداء بتسليم الحلة
والعدة اليها فى فجر اليوم التالى ..

وفى الموعد المضروب تتسلم الام منه ما أوصته بصنعه ،
فاذا هو قد تفانى فى اتقانه حتى جاء أروع من كل ماتزود به
محارب من قبل ! .. وتهرع الحورية بحملها الثمين الى ابنها ،
الذى توسط بعض شيوخ القوم فى ازالة ما بينه وبين أجاممنون
من جفاء ، فيرتدى «أشيل» حلته الجديدة ودروعه ويأمر باعداد
عربته الحربية وتزويدها بأسرع الجياد .. وقبل أن ينطلق بها
لملاقاة الاعداء يستدير اليه جواد من جياد العربة ، كنت
«هيرا» قد منحته موهبة التنبؤ بالغيب ، قائلا له وهو يحدجه

بعينين ناريتين : «أشميل ، انك قد كتب لك أن تنتقم مصرع صديقك (باتروكلاس) ، لكن مصرعك أنت ليس ببعيد ! ..» فيجيبه البطل الصنديد صائحا : «أعلم ذلك ، لكنى لأعابأه ، فليصبنى ما قدر لي !» .. ثم يطلق صرخة مدوية يرن صداها كأنها نفيـر المعركة ، ويطلق لجياد العربية العنان تنهب به الارض نهبا الى أسوار طروادة !

لقاء الغريمين !

◆ أما أهل طروادة ، فلا يكادون يلمحون البطل مندفعاً نحوهم بعربته كشهاب من نار ، ورمحه في يده ، ودرعه يلمع على صدره ، وخوذته تتألق فوق جبينه ، وكأنه اله الحرب ! .. حتى تجمد دمؤهم في عروقهم هلعاً ، فيعم الاضطراب صفوفهم ، ويتساقط أبط لهم صرعى ، واحد في أثر الآخر ! .. ثم يشطر الجيش شطرين : فيفر نصفه فرار الارانب المذعورة الى داخل أسوار المدينة .. ويفر النصف الآخر نحو النهر ، حيث يطاردهم أشميل بسيفه ويمعن فيهم ذبحاً وتقتيلاً ، حتى يصطبغ ماء النهر بلون الدم .. ولا ينقذ البقية الباقية منهم غير هياج الامواج على حين غرة بفعل عاصفة مروعة ! ..

◆ وبعد أن يأسر أشميل اثني عشر من جنود الاعداء ، كي يضحي بهم على المذبح عند الاحتفال بتشييع جنازة صديقه الشهيد «باتروكلاس» .. يعود الى السهل الذي جرت فيه المرحلة الاولى من المعركة ، والذي لم يبق فيه الا آن غير أشلاء مبعثرة .. وفيما هو يتفقد المكان ، يجد نفسه وجها لوجه أمام غريمه : هكتور ! - وكان آخر من بقى خارج أسوار طروادة بعد فرار جنوده جميعا الى جحورهم في داخل المدينة ، وأبلى حتفهم في قاع النهر ! ..

لكن بطل طروادة الباسل قد صار بدوره أرنبا مذعورا ! ..
فهو لا يكاد يلمح غريمه الباسل بطل اسبرطة ، حتى ينخلع
قلبه الذى كان على الدوام شديدا بالبأس ، فيطلق سديقه
للريح .. كظبى يفر من نمر أرقط .. ويروح يدور حول
أسوار طروادة ثلاث مرات ، محاولا أن يجد ثغرة ينفذ منها الى
داخل المدينة ! .. وفى هذه الاثناء تتآمر الالهة «أتينا» ضده
كيما تنصر أصدقاءها الاغريق ، فتتنكر فى هيئة شقيق له ..
وبهذه الصفة تنصح له أن ينازل غريمه ، مؤكدة له ان النصر
سيكون حليفه !

وينخدع هكتور بهذا الايحاء .. فيتوقف ليواجه آشيل !
.. وتتم المباراة بين البطلين ، على مشهد من فلول جنودهما
الذين أطنوا من خنادقهم متلصصين .. ومشهد من الالهة
الذين أطلوا من عروشهم السماوية ليتبعوا المعركة الحاسمة ! ..
فيصرع آشيل خصمه بطعنة تصيب منه مقتلا ! ..

انتقام آشيل !

◆ وحين يغمض الموت عينى هكتور ، الى الابد ، يعمد
أشيل الى التمثيل بجثته - انتقاما لصديقه باتروكلاس ! -
فيقيدها من قدميها الى عربته ، ويجرجرها بها حول أسوار
المدينة .. تسعة أيام متوالية !

وفى اليوم التاسع يمضى الاب المكلوم الى خيمة آشيل ،
حاملا له فدية من الهدايا والعطايا الثمينة .. فلايكاد يؤذن له
فى الدخول على قاتل ابنة ، حتى يخر على ركبتيه جاثيا
أمامه ، مقبلا اليدين اللتين سدكتا دمه - ودم الكثيرين من أبنائه
الاخرين ! - مناشدا اياه ، ودموع المذلة تهطل على خديه ،

أن يعفو عن جثة هكتور ويكف عنها غضبه وانتقامه ، وتمثيله
بها على ذلك النحو الموجه المهين !
فيتحرك قلب أشيل ، ويذكر أيضا وصية أمه التي نقلت
اليه رجاء الآلهة أن يصفح عن غريمه الصريع .. وهكذا يقبل
الشاب من الأب الدليل فديته لجثة ابنه ، ويأذن له في أن يحملها
الى حيث يحتفل بدفنها الاحتفال اللائق بمكانة صاحبها ،
ومكانة أبيه .. ملك طروادة !

استقبال .. وتشيع !

◆ وتستقبل الجثة داخل المدينة بخليط من مظاهر الفرح
والحزن : الفرح باستردادها ، والحزن لفقد صاحبها ، البطل
الذى كانت ترمقه القلوب ! ..

وبينما يحتفل الاغريق ببطلهم المنتصر احتفالات صاخبة
تقام فيها المآدب ، وتعرض الألعاب ، وتمنح الجوائز ! .. تلبس
طروادة الحداد على فقيدها العظيم ، وتسكب على نعشه قلوبها
التي فطرتها الفجيعة ..

.. وفى مقدمة القلوب المفطورة التي تنتحب على نعش
البطل الصريع : قلب أمه .. وزوجته أندروماك .. وهيلين ..
التي تشيعه بمرثية بليغة باكية !

ثم يحرق جثمان هكتور .. ويجمع رماده فى وعاء من
الذهب ، يدفن فى القبر !

نهاية أشيل

◆ وبوفاة هكتور وحرق جثته على هذا النحو ، تنتهى
« اللياذة » هوميروس ، بغير أن تنبئنا بمصير بقية أبطالها .. !

لكننا لو رجعنا الى بعض شعراء الاغريق الذين عاشوا
فى عصور تالية لعصر هوميروس ، لاستطعنا أن نعرف منهم
شيئا عما وقع لاشيل ، وبَاريس - وغيرهما من أبطال الالياذة -
بعد مصرع هكتور ..

أما اشيل فتختلف فى شأنه روايات الاساطير ..
فهناك اسطورة قديمة تقول انه قتل بيد الاله « ابوللو » ، الذى
تنكر فى زى الشاب « بَاريس » واشتبك معه فى معركة حامية
أثناء القتال الذى استمر بين الفريقين عند أسوار طروادة ..
وخلال عراك الرجلين أفلح بَاريس فى أن يطعن خصمه فى عقب
قدمه الذى لم يبлле ماء نهر (ستيكس) المقدس يوم أرادت أمه
البحورية « تيتس » أن تحصنه ضد الموت !

لكن هناك أسطورة أخرى تصور نهاية « أشيل » تصويرا
مخالفا، فتروى أنه تورط فى حب ابنة ملك طروادة ، الاميرة
« بوليكسينا » ، ومضى معها - غير مسلح - الى معبد الاله
(أبوللو) كى يعقدا زواجهما فيه .. وهناك تربص له أخوها
« بَاريس » فرماه بسهم أصابه فى عقب قدمه غير المعصوم ..
فأرداه قتيلا !

وخف من أصدقاء القتيل كل من « اوديسيوس »
و « أجاكس » ، كى ينقذا جثة البطل الصريع من الوقوع فى
أيدي أهل طروادة .. فحملها الاول ومضى بها عائدا الى قومه ..
بينما بقى الثانى لينقذ أيضا درع أشيل الفولاذى المشهور ،
واشتبك من أجله فى مبارزة انتهت باعلان هزيمته وأحقية
الطرواديين فى الاستئثار بالدرع .. وهنا جن جنون « أجاكس » ،
واستبد به اليأس والغیظ فقتل نفسه ! .. وقد ألهمت نهايته
المفجعة هذه أديب الاغريق الخالد (سوفوكل) بفكرة مأساة
رائعة من مآسيه التمثيلية التى تعتبر من أعظم كنوز الادب

المسرحى القديم ، وأقوى دعائم المسرح العالمى فى جميع العصور! - وموعدا بتلخيصها لقراء (كتابى) فى باب « عندما ترفع الستار » قريبا باذن الله ..

نهاية « باريس » !..!

♦ أما « باريس » ، الشاب الماكن الذى جلب الكوارث على طروادة باختطافه لهيلين واشعاله نار تلك الحرب الضروس .. فقد جاءت نهايته على صورة أخرى : فقد كان له شقيق يقرأ الغيب يدعى « هيليناس » ، أسره الاغريق وأرغموه على أن يقرأ لهم الغيب ، فأنبأهم بأن أخطر سلاح يكفل لهم النصر على طروادة هو قوس البطل (هرقل) وسهامه القاتلة . وكان هرقل قد ترك هذه السهام وهو يحتضر لصديق يدعى (فيلوكتيتس) .. فمضى أوديسيوس يبحث عن هذا الشخص حتى عثر عليه مصابا بلدغة ثعبان ، فجلب له « طبيبا » من السحرة شفاه من اصابته .. ثم أخذه الى حيث اشترك مع قومه فى حصار طروادة الاخير .. الذى انتهى بغزوها !

وأثناء ذلك الحصار أصيب باريس بسهم قاتل من سهام هرقل .. وفيما هو يحتضر تذكر أن حبيبته القديمة (أوينون) كانت حاذقة فى تضييد الجراح ، فتوسل اليها كي تعالج اصابته .. لكن الحورية ذكرت خيانتها القديمة وهجره اياها ، فأبت أن تمد يدها لتشفيه ! .. وان كان الندم عاودها بعد موته فقفزت الى قلب النار التى أشعلت لحرق جثته ، وتركت ألسنة اللهب تلتهمها .. حتى اختلط رمادها برماده !

الحصان الخشبى .. ونهاية طروادة !

♦ واستمر حصار الاغريق لطرودة عقيما ، لا ينتهى الى نتيجة حاسمة .. حتى أوحى الالهة (أتينا) لاحد قواد

أجاممنون بفكرة عبقرية ، نفذها الاغريق على الفور . . فأحرقوا
جميع خيامهم وحملوا متاعهم عائدين الى سفنهم ، ثم أبحروا
بها متظاهرين بالرحيل الى بلادهم نهائيا . . تاركين خلفهم
على الشاطئ المهجور حصانا خشبيا هائل الحجم ، أثار فضول
أهل طروادة فتعاونوا على جره الى داخل مدينتهم ، كي يقدموه
غنيمة الى آلهتهم ! . . وفيما الجميع يلهون محتفلين برحيل
أعدائهم وفك الحصار عن مدينتهم ، فتح باب خفى فى بطن
الحصان تدفق منه قواد الاغريق الذين كانوا مختبئين فى
جوفه . . وهرعوا الى أبواب المدينة ففتحوها على مصاريعها
لجنودهم الذين عادوا من سفنهم فى تلك الاثناء متلصصين . .
فتدفقوا الى داخلها كأمواج البحر الزاخر . . وأحرقوا أبراجها
الشاهقة ، وقاتلوا أهلها بالسيف . . حتى أخضعوهم !

وهكذا سقطت طروادة ، ضحية أعظم وأقدم خدعة فى

تاريخ الحروب !



عزيزى القارىء . . .

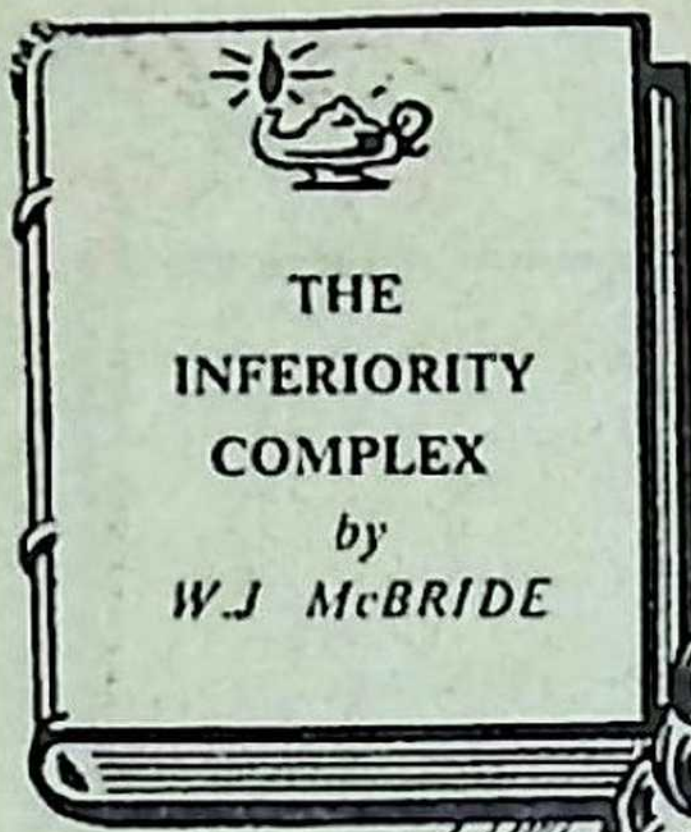
هذا الباب بمثابة «عيادة نفسية»
تقدم لك أحدث الكتب التى تبسط لك
فى أسلوب عملى شائق أفضل الطرق
التي تكفل لك ولأولادك سلامة النفس
من كل داء . . . وتعينك على مواجهة
الحياة ومتاعبها ومشكلاتها كما ينبغي
أن تواجهه . .

لذلك أقدم لك فى هذا العدد هذا
الكتاب النافع عن «مركب النفس ،
والعقد النفسية» . . . بعد أن قدمت
لك فى الشهر الماضى كتاب «طريق
السعادة الزوجية» . . وفى الشهر
الذى سبقه كتاب : «كيف تصارح
أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية» . .
وفى الأعداد القادمة أقدم لك باذن
الله : كيف نجحوا فى الحياة (لديل
كارنيجى) ، الزواج والأخلاق (لبرتراند
رسل) ، وقصة الحياة (لهافاوك اليس) ،
التحليل النفسى (لسيجموند فرويد) . .
ثم سلسلة كتب : كيف تقهر الخوف . .
والخجل . . والقلق . . والارق . . الخ
- وكيف تنمى شخصيتك ، وتقوى
ذاكرتك ، وعزيمتك ، وتحفظ أعصابك
من التلف ، وكيف تنجح فى عملك ، وفى
المجتمع ، وكيف تكسب الأصدقاء . .
وكيف تربي أطفالك . . وكيف تسعد
فى حياتك . .

خوافز الحياة



التفكير
والجنس . .
والمجتمع . .



THE
INFERIORITY
COMPLEX
by
W.J. McBride

مَرِبُّ النَقْصِ

وَالْعَقْدُ النَفْسِيّ

أَسْبَابُهَا وَعِلَاجُهَا
وَأَمْتَلَنَاهَا عِنْدَ الْعُظَمَاءِ

لِلْعَالَمِ النَّفْسَانِي الْكَبِيرِ
و.ج. مَأكبر أريد



هدف الكتاب

شاعت في العصر الاخير مصطلحات : « الشعور بالنقص » و «العقد النفسية» وغيرها .. وهى مصطلحات لم تعهد في اللغة قبل مطلع هذا القرن ! .. فعلم النفس الذى يبحثها - وهو الصق العلوم واهمها بالنسبة للانسان - علم وايد ... لكنه برغم ذلك نما وترعرع في سنوات معدودات حتى صار من اضخم العلوم واولاها بالاهتمام .. !

ولا غرو ، فهو العلم الذى يعالج مشكلات الحياة الحديثة ، والحياة الحديثة محيط واسع زاخر بالمشكلات .

والاستاذ الكبير « ماكبرايد » من اشهر من بسطوا مشكلات علم النفس للجماهير في بلاد العالم المتمددين ، وقد ترجمت كتبه لجميع اللغات ...

وكتابه هذا على الخصوص يعالج اهم موضوعات علم النفس ومشكلات العصر : موضوع « مركب النقص » .. وهو الداء الذى لا يكاد يخلو انسان من عرض من اعراضه ، وان تفاوت الناس طبعا في نصيبهم منه ...

وقد بسط العالم الكبير هذا المرض النفسى وبين مدى اتصاله الكبير باحوال الحياة ومتاعبها المختلفة ، كما بين وسائل العلاج له ، ووسائل الوقاية منه .. ولاسيما وقاية الصغار من هذه العوارض البعيدة التأثير في الحياة .. !

فالكتاب الذى اقدمه لك اليوم هو بمثابة «مرآة نفسية» لكل شاب وشابة ، ومرشد ممتاز لكل اب وام في التربية ، وخير معين على فهم الانسان لنفسه ، ولغيره .. !

السالب والموجب .. !

◆ الكهرياء سالب وموجب ، والناس في هذه الدنيا كالكهرياء: فريق منهم « سالب » ينفع بالحياة ويتأثر بها ، دون ان يحاول التأثير فيها .. والفريق الآخر « موجب » ، يحاول التأثير في الحياة بقدر ما تؤثر فيه الحياة ، فله « شخصيته » وله « ذاتيته »

وقد درج الناس في الزمن الاخير على اطلاق كلمة « مركب النقص » او « عقدة النقص » ، على من يغلب عليهم الطابع السلبي دون الايجابي ، مستدلين بذلك في عرفهم على ان هذا الموقف السلبي نتيجة « نقص » في تكوين الشخص .. فالذي يتبادر الى عرف عامة الناس ان مركب النقص عبارة عن شيء ناقص كان ينبغي ان يوجد - كما ان العمى مثلا هو نقص حاسة النظر ! - فهو نقص حاسة كان من شأنها ان توجد .. او هو عبارة عن كمية امامها علامة ناقص (-) بدلا من علامة زائد (+) المعروفة في الحساب .. فمن اصابه مركب النقص يعتبره العامة في الغالب رجلا رصيده من قوة الشخصية ومقوماتها مسبوق بعلامة ناقص ، فحسابه في « بنك الحياة » مدين .. لا دائن !

◆ والواقع انه قلما تطابق الفكرة العامة عن شيء حقيقة ذلك الشيء ، لكن فكرة عامة الناس في موضوع مركب النقص بالذات من الافكار القليلة الصحيحة رغم شيوعها - اذ الاغلب ان الخطأ اقرب الى الشيوع بين الناس ! - **واذن فمعنى مركب**

النقص علميا هو ما ادركه الناس من هذه الكلمة ببدايتهم الفطرية . . . فكل عرض من الاعراض الدالة على ترزعزع الثقة بالنفس وثبوط الهممة معناه ان الشخص مصاب ((بعقدة النقص)) او ((مركب الدونية)) - ومعنى « الدونية » هنا ان الشخص يشعر انه « دون » المستوى الواجب لمجابهة موقف معين ، او جميع مواقف الحياة بصفة عامة . . .

والد هذه النظرية

♦ ومبتدع اصطلاح « عقدة النقص » او « مركب الدونية » هو والد نظرية التحليل النفسى « سيجموند فرويد » . وقد وضع هذا الاصطلاح اصلا للدلالة على كل انفعال سلبي ناجم عن خوف القصور الجنسى او عن احساس فعلى بهذا القصور ، ولاسيما حين يتجسم ذلك القصور فى عيب ظاهر فى اعضاء التناسل .

ومرجع هذا الحصر لعقدة النقص فى مجال الوظيفة

التناسلية ، ان سيجموند فرويد يرد كل مظاهر الحياة الوجدانية او النفسانية الى التناسل ، فالفريزة الجنسية فى اعتقاده هى « اساس الحياة جميعا » ، فكل ما يعوق تيار الشهوة عن التحقق والاكتفاء التام يسبب تكديرا لتيار حياة الشخص ، والتواءات فى وعيه الباطن ، وعيوباً ومسخاً فى مسلكه . ذلك ان كبت الرغبات الجنسية - وقد يحصل هذا الكبت دون وعى من الانسان ، فيقف تيار الرغبة قبل ان يخرج من اللاوعى -



« فرويد »

يسبب « خرابيج » فى الوجدان أو العقل الباطن ، ينجم عنها هذا الاضطراب فى التصرفات ، ويسمى هذا « الخراج » النفسانى « عقدة النقص » !

تعديل معقول

♦ وقد ظلت هذه النظرية الفرويدية قائمة وحدها بعيب التحليل النفسى والتعليل لكل اضطراب سيكولوجى ، الى ان قام « ادلر » - تلميذ فرويد ثم زميله وصنوه فى اقامة صرح التحليل النفسانى - بتعديل هذه النظرية على ضوء التجارب الكثيرة التى مارسها مع استاذة اولا ، ثم منفردا بالعمل بعد ذلك .

واول ما نبه اليه آدلر ، ان « عقدة النقص » عامل فعال جدا فى ظروف نشأة الانسان ونموه ... وان مرد هذه العقدة الى اسباب كثيرة جدا ، ومتباينة جدا ، بحيث قد لا تمت فى احيان كثيرة الى الفريزة الجنسية بصلة ..

فربما كانت «(وحمة)» فى صدغ طفل سببا فى تكوين «(عقدة النقص)» عنده ، من جراء المضايقات التى قد يلقاها من زملاء الطفولة والصبا ، فيشرب رجلا عزوفا عن الاختلاط ، قليل الثقة بالناس .. وليس لهذا بالفريزة الجنسية اى اتصال ..

♦ ومن هذا المثل يتبين لنا ان « الشعور بالدونية » او النقص راجع فى الواقع الى مجرد اى تجربة مؤلمة تصد الطفل عن فتح قلبه للآخرين ، وتجعله ينطوى على نفسه .. فإى تجربة تجرح كبرياء الشخص امام نفسه وتسلبه جانبا من تقديره لذاته واحترامه لشخصيته ، عرضة لان يكبر فى ظلها هذا «الجرح» ، ولاسيما بتكرار الاهانة او الصدمة ، حتى يتقيح ويصير «خراجا» نفسيا او «عاهة نفسية» يحرص الشخص على مداراتها - كما يدارى صاحب العاهة الجسمية عاهته عن

العيون - بالانطواء والبعد عن المجتمعات والانصراف عن المساهمة الكاملة في النشاط الاجتماعي .. !

والفرد المصاب بهذا الشذوذ يقال ان لديه «مركب نقص» ... تختلف حدته أو درجة تعقده باختلاف «عمق الإصابة بالجرح النفساني» وباختلاف زمنها ودرجة تقيحها ، فثمت عقد مزمنة ، وأخرى حديثة ، وهكذا ...

فلباب عقدة النقص اذن هو «الخوف» من تجدد الجرح النفساني أو الإهانة اذا ترك الشخص نفسه على سجيتها ، فيضطر ازاء هذا الخوف الى مداومة «كبت» رغباته المتعلقة بهذا الموضوع ، ويكون سلوكه فيما يتصل به سلوكا سلبيا ، ولا سيما بعد ان يكبر ويحس انه فقد الحماية التي كان يتمتع بها زمن الطفولة من والديه .. !

♦ **والى هذا السبب يرجع ما نشاهده غالبا من « طفولة »** في تصرفات المصابين بعقدة النقص ، فهم «يحنون» الى العهد الذى كانوا فيه تحت حماية الاهل ، يدفعون عنهم الاذى ، ويشكون اليهم ما يلقونه من جرح أو إهانة ، فيجدون الترضية والتدليل ... الترضية والتدليل اللذين لا يجدون اليهم اليوم سبيلا وقد كبروا وصاروا رجالا ، وباتوا يواجهون اللطمات دون حماية ، ودون مواساة .. !

ادمان الخمر والقمار .. مركب نقص !

♦ **ويختلف رد الفعل الناشئ عن هذه اللطمات القديمة أو** عن « عقدة النقص » ، من النقيض الى النقيض : فهناك اشخاص يستولى عليهم الشعور بالفشل والعجز ، وتتلشى ثقتهم بانفسهم تماما ، فلا يجدون لهم ملاذا الا الهرب من الواقع المؤلم .. ولا يتسنى ذلك الهرب الا عن طريق شاذ ومرضى ، مثل ادمان الخمر ! .. ذلك ان الخمر تطلق العنان للمكبوتات

تحت تأثير التخدير الوقتي ، فينفس السكران بعض ما تجمع في «الخراج النفساني» من القيح والصيد الذي ثقل عليه .
وكم من شخص يبدو ذليلاً ، حتى اذا شرب وانتشى صار متفتح النفس للفكاهة ، جريئاً ، بل انه قد يصل في الجرأة الى حد السلاطة والعدوان !

♦ والميسر او القمار بنفس آخر كبير للمصابين بعقدة النقص : فان هزات القمار العصبية المفاجئة تعوض الشخص عن خموله في الحياة الواقعية وقعوده عن كل نشاط فعال ...

وقد يعجز الشخص عن الادمان على الخمر او المخدرات او الميسر ، مضطراً .. كأن تحول ظروف حياته دون ذلك ، او ان يكون امرأة محجبة محاطة بالقيود ، وفي هذه الحالة تكون اعراض عقدة النقص او «(رد الفعل)» الناجم عنها هو «(القلق الخالي من الغرض)» فيتحرك الشخص دائماً ولا يستقر ، ولكن حركاته لا هدف لها ولا نفع فيها ، وانما هي مجرد مظهر لعدم الاستقرار الداخلي ، او «(الحمى النفسانية)» التي تقيم الشخص وتقعهده ، كما تقيمه وتقعهده الحمى الجسمية سواء بسواء .

♦ ولكن هذا السلوك المتمثل في الخمر او الميسر او القلق ، سلوك سلبي في مجموعه ، يدل على معاناة الشعور بالنقص والهرب من المعتزك .. بيد ان هناك نوعاً آخر من السلوك الناجم عن عقدة النقص ، مضاد للسلوك السالف الذكر تماماً ، فهو لا يتمثل في الهرب او الازعان ، بل يتمثل في عكس ذلك وهو الاقتحام والتبجح وفرض الذات ، والى هذه الفئة ينتسب البلطجية وجميع الشواذ من المجرمين والرقعاء !

الفرق بين الشعور بالنقص .. ومركب النقص !

♦ والواقع ان كل شخص في الدنيا لابد ان يشعر بالنقص في ناحية من النواحي ، وهذا الشعور ناجم عن تفاوت الناس في الملكات والظروف والحظوظ ..

ولكن يجب التنبيه الى الفرق بين « الشعور بالنقص » وبين « مركب النقص » . فالشعور مجرد احساس بسيط يحاول الانسان علاج اسبابه ببساطة ، ولكن مركب النقص عاهة انتقلت من احساس بضربة الى جرح عميق او خراج .

♦ ومجال الشعور بالنقص هو الاحساس ، اما مجال مركب النقص فهو السلوك او عمل الشخص وتصرفاته .. فاذا كان الشعور بالنقص صفة انسانية عامة ، فان العقدة مرض فردي ، وان كان هذا المرض شائعا جدا في العصر الحديث ...

وعلى عكس مركب النقص ، نجد الشعور بالنقص مزية او نعمة ، لانه هو الدافع للفرد على تلافي اخطائه ، وباعثه على طلب الارتقاء والتفوق ... ولا يصبح هذا الشعور نقمة او بلية الا حين ينقلب بالشخص من قوة دافعة وباعث على العمل الى قوة معطلة ومثبطة للهمة ... فهنا يبدأ تكون العقدة الملعونة !

البداية هي الاساس

♦ وقد صار من الامور المحققة المقطوع بها علميا في الاعوام الاخيرة ان عهد الطفولة هو اهم عهود العمر من الوجهة النفسية ، وان كل ما يجرى فيه من الاحداث ذو اثر جليل فيما يلي ذلك من سنوات العمر . ففي هذه المرحلة الاولى توضع « الخطوط الرئيسية » لشخصية الطفل ، وتبذر البذور لجميع خواص

مزاج الطفل ، تلك البذور التي تنبت وتؤتي ثمارها الحلوة او المرة في كل الاطوار التالية من عمر الشخص ، حتى نهاية حياته ..

فمن القواعد المقررة الان ، حتى انها تعد من بديهيات علم النفس الحديث ، ان الانسان يتكون التكوين الصالح ، او يفسد الفساد الفادح ، قبل ان يغادر مهد طفولته .. أى في السنوات القليلة الاولى من عمره ! .. فالبداية هي الاساس وعليها المعول في حياة الشخص النفسية وصحته الوجدانية ..

ففي هذه السنوات الاولى ، سنوات المهد ، يتعلم الطفل درسه النفساني الاول ، ويعرف هل بيئته بيئة مواتية عطوف تساعد على التفتح ، او هي بيئة مدللة تفسده بالاقبال الزائد عن الحد اللازم ؟ .. وهل من حوله يفهمونه حق الفهم فلا يفسدونه بالتدليل ، ولا يفسدونه كذلك بالصد والاعراض الجاف ... ام هم قوم جهلة لا يدركون ما ينبغي وما لا ينبغي ؟ كل هذه الامور تستقر في وجدانه الفص وتترك آثارها في عقله واضحة لا تمحى حتى بعد ان تنتهى الطفولة ، بل تلازمه وتؤثر في عقله ، في صباه .. ويفاعته .. ونضوجه !

كلمة السر .. !

♦ واذا القينا نظرة على هذه المرحلة ، مرحلة الطفولة - اخطر مراحل العمر نفسانيا - وجدنا ان كلمة السر التي تفتح لها مغاليق تلك المرحلة هي « العجز » .. فالطفل بحكم ولادته وعجزه في بداية الحياة يعتمد على سواه - اى على والديه عادة - في الطعام والمأوى والحماية من عوادي المرض والالام ، والانس من الوحشة .. الخ - ومن ثم يكون من الطبيعي ان يشعر بناء على هذا الاحتياج الى غيره انه عاجز ، وانه ما من حاجة من حاجاته يستطيع تلبيتها وسدها بنفسه،

بل هو محتاج الى غيره في كل شيء بلا استثناء .. واذن فاول ما يستقر في ذهن الطفل هو الشعور بعجزه ، وقصوره .. وبانه عالة على غيره ! .. وهذا الشعور نفسه هو هو البداية الطبيعية للشعور بالنقص ..

♦ ويخيل الينا ان شعور الانسان بالنقص ليس له نظير لدى سائر الحيوانات الاخرى : ذلك ان مدة طفولة الانسان اطول نسبيا بكثير من مدة طفولة الحيوانات الاخرى . فغيره من الحيوانات سرعان ما يملك اطفالها زمام انفسهم فيستقلون بامورهم ويعتمدون على ذواتهم في تحصيل معاشهم دون حاجة الى ام او اب .. اما الانسان فيظل يرضع مدة طويلة ، ثم تتأخر أسنانه نسبيا في النمو . واذا انتقضت مرحلة الرضاعة والحاجة البدنية الى الاهل في الطعام ، بدأت مرحلة التربية والتعلم ، وهي مرحلة تطول سنوات كثيرة قد تبلغ ربع قرن من الزمان ، يظل فيها الفتى او الفتاة عالة على اهله ، لا يدبر معاشه ولا يستقل باموره ولا يحمي نفسه ومصالحه الخاصة ، الى ان يتم الدراسة ويبدأ في استقبال اعباء الحياة العملية ..

وبعبارة أخرى ان من الناس في العصر الحديث نسبة كبيرة لا تعتمد على نفسها قبل ان تبلغ مرحلة الرجولة او الأنوثة الناضجة . ومعنى هذا طبعا ان الشعور بالنقص ، اى العجز او القصور عن كفاية المرء لنفسه والقيام بكل لوازمها ، شعور يلزم المرء الى سن النضج .. ولا سيما من ناحية المطالب المادية والضرورات والتكاليف المالية ، والمركز الاجتماعى . وهذا الشعور بالنقص او القصور ينفص الناشئ او الشاب ويبقى ظلا قائما لا سبيل الى تجاهله على جميع افكاره وتصرفاته ...

♦ ولا شك ان طول العهد بالشعور بالنقص او القصور الى ان يبلغ الشخص سن الخامسة والعشرين تقريبا يجعله لا

يستطيع طرح هذا الشعور من نفسه حتى بعد زوال مقتضياته،
 أى حتى بعد استقلاله بامرره دون ولى أو وصى .. وإلى هذا
 السبب يرجع بعض الفلاسفة والكتاب الاجتماعيين طفولة
 الجماعة الحديثة وسرعة انسياقها للطغاة وجميع من يحاولون
 سوقهم قطعانا تحت راية زعامتهم بكلمات مزوقة وعبارات
 رنانة ! .. ذلك أن الاستقلال والاعتماد على النفس لم يتأصل
 فيهم ، فهم يحنون الى من يقودهم كما تعودوا ، فيلقون اليه
 زمامهم في الأمور العامة ، رغم بلوغهم مرتبة عالية من العلم
 والثقافة .. !

♦ ومصادق هذا ما يشاهد في هذا القرن الاخير من نجاح
 رقم قياسى من الطغاة والدكتاتوريين فى الاستبداد بامور امم
 راقية وشعوب مثقفة متعلمة .. فالدكتاتور يلقى التأييد من
 الشباب ، على الخصوص ، لانتكاسهم الى عهد الطفولة ..
 ولكنه انتكاس يضع مسئوليات الرعاية فى يد «الاب العمومى»
 بدلا من يد «الاب الخصوصى» الذى ظل مضطعا برعاية كل
 منهم فى مرحلة الشباب .

♦ ويعزون ايضا الى طول عهد القصور وعدم التعود على
 القيام بالمسئوليات ما فشا من الطلاق السدى لا مبرر له الا
 الاضطراب العصبى دون سبب ظاهر يدعو الى فسخ رباط
 الزواج .. وما فشا كذلك من حب الاخبار المثيرة فى الصحافة
 الرخيصة ، والاعجاب الخرافى بابطال تافهين مثل نجوم الشاشة
 البيضاء والمتفوقين فى الالعاب المختلفة ، فان هذا يدل على
 تأصل روح « الخضوع » فى الشبان لطول عهدهم به فى زمن
 الطلب والتعلم - وعلى عدم القدرة على «تكييف» النفس
 حسب المواقف ومعالجة المشاكل التافهة ، مما يؤدى الى
 المصادمات التى تسبب الطلاق بنير موجب وجيه ، والتمرد
 على الاعمال والرؤساء لاتفه المناسبات ... فذلك كله من

اعراض « طفولة العقل » الناجمة عن تأصل الشعور بالنقص والعجز .. !

مركب النقص من اسباب الحروب !

♦ بل ان « طفولة العقل » هذه هي داء البشرية الاكبر اليوم ، فما كانت الحروب لتحدث ، وهي المجازر البشرية البشعة التي لا نظير لها في وحشيتها ، لولا « طفولة عقل » الفريقين المتحاربين : فآلات الحرب الحديثة تدهش الانسان الساذج العقل والنفس ، بحيث تفتنه طرافة المدفع او القنبلة المدمرة وتلهيه عن رؤية الملايين الذين يذهبون ضحيتها ، وقد يكون هو من بينهم شخصيا ! .. اما اذا نضج العقل ونضجت نفسية البشر ، وذهب مركب النقص منهم ، فانهم لا ينساقون وراء المضللين من القادة ، ولا يغفلون بشاعة الدمار الحديث مفتونين بالفرحة الصبيانية « بالعبة الجديدة » التي يقدمها لهم اولئك القادة ، تارة باسم قاذفة القنابل ، وطورا باسم الغواصة ، وحيننا باسم القنبلة الذرية .. !

النقص الجسماني !

♦ وينبغي ألا يغرب عن البال ان حالة الطفولة وما يلزمها من شعور الطفل بالاحتياج الى سواه كى يعيش ، ليست هي السبب الوحيد لنشوء الشعور بالنقص او عقدة النقص .. فهذه حالة عامة يشترك فيها جميع الاطفال بلا استثناء ، ولا يمكن القول ان جميع الاطفال يصابون بمركب النقص ! .. واذاً فهناك حتماً - عدا حالة الطفولة العامة - احوال خاصة غير مشتركة بين جميع الاطفال ، ونعنى بها حالات الشعور بالنقص لاسباب خاصة بالشخص نفسه وباحوال طفولته هو بالذات ، لا بحالة الطفولة بوجه عام .

♦ **و اول هذه الحالات الخاصة - وعددها ثلاثة على سبيل الإجمال - حالة الشعور بالنقص العضوى ، ونعنى بها وجود عيب جسمانى او حيوى لدى الطفل يجعله مخالفا فى الشكل او فى السلوك الجسمانى للمألوف فى أطفال بيئته . فالطفل الأبيض فى بيئة من السمر ، والطفل الاسمر الداكن فى بيئة من الشقر ، يدخلان تحت هذا النوع . . . ويدخل فيه من باب اولى كل طفل ذو عاهة ، وكل طفل مصاب بانعدام ملكة من ملكات الجسم الاساسية او حاسة من حواسه الرئيسية . .**

وقد تفرغ العلامة ((بيران فولف)) لدراسة هذه الناحية، فلاحظ ان اى اختلاف عن المألوف قد يسبب ((الشعور)) بالنقص ويكون لدى الشخص ((عقدة)) النقص ، اذا كان هذا الاختلاف فى الشكل محل اضطهاد خاص أثناء مرحلة الطفولة . . حتى ولو كان هذا الاختلاف مجرد افراط فى الطول ، او افراط فى القصر ، او ضخامة فى الانف ، او غزارة فى الشعر ، او بروز فى الاسنان ، او حول العينين . . الخ . . بل ان الجمال او الوسامة الشديدة قد تكون عاملا من عوامل تكوين عقدة النقص، اذا كانت علة لاضطهاد الطفل او مضايقته وملاحقته بالمداعبات . .

♦ **فالملاحظ دائما ان فريقين من المخلوقات لا يعرفان الرحمة : الا وهما الحيوانات والاطفال ! - وتلك حقيقة قررها الشاعر الفرنسى « لافونتين » الذى امتاز بدراسته لنفسيات المخلوقات الحية من الحيوان والانسان . . وقد اثبتتها الملاحظة العلمية ايما اثبات . . فمتى وجد الاطفال فى زميل لهم نقطة ضعف استغلوها وانهالوا عليه بلا رحمة منتهزين عجزه عن المقاومة او الانتقام . لذلك نجد ضعاف الاطفال موضع عدوان زملائهم لغير سبب الا حب العدوان . ولما كان الضعيف لا يملك الا السكوت ، فانه « يكبت » غيظه وعواطفه ، وينطوى على**

كبريائه الجريحة ... وهذا الكبت بالذات هو سر تكون العقدة النفسية لديه من جهة هذا الموضوع المؤلم ...

♦ واذا فاول ما يجب العناية به ان يتاح للاطفال التنفيس عن آلامهم التي يسببها لهم زملاؤهم . ويكون ذلك التنفيس عند الاقوياء برد العدوان والعراك .. اما عند الضعفاء فبالعمل على «رد اعتبار» الضعيف امام نفسه ، بان يشعر انه موضع فهم وعطف وتقدير من شخص اكبر منه سنا او مقاما ، مثل زميل كبير او استاذ او قريب من اقربائه .. فينسى بهذا الاحترام والتقدير جرح كبريائه ، ويرى فيه «تعويضا» عما نزل به من زملائه «الصغار» .

الطفل المدلل ..

♦ واذا تركنا النقص العضوى أو الضعف الجسماني جانبا ، وجدنا ان النموذج الثانى للشعور بالنقص هو «الطفل المدلل» ! ... وقد يبدو هذا الكلام غريبا ، ولكنها حقيقة أليمة من حقائق المجتمع العصرى ، وما أكثر الحقائق الموجهة فى المجتمع الحديث ! .. ذلك ان أول ما تتطلبه حياة القرن العشرين هو الشجاعة ومواجهة التبعات فى ثقة وثبات .. فلا محل فى الحياة العصرية الا لمن يعرفون الاعتماد على النفس .. و «المدلل» لا يعوزه أو ينقصه شيء كما ينقصه الاعتماد على النفس والشجاعة فى مواجهة المواقف وتحمل التبعات فى ثقة وثبات .

♦ فمن هو الشخص «المدلل» ؟ ..

انه شخص تعود منذ نعومة اظفاره أن يجد كل حوائجه مقضية مهما كانت سخيفة واستبدادية ، وأن يكون الجميع من حوله تحت خدمته ورهن اشارته ، يتحكم فيهم بغير رادع

ولا وازع ! فلا شيء ينقصه ، ولا شيء يضايقه ، ولا يكلفه أحد ما لا يرضى . . . فهو دكتاتور في أسرته وبين أهله . . . ولا خبرة له بكل ما يتصل بمعاني « المشاكل » و « المصاعب » و « المسئوليات » . . . فكيف يراد منه اذن أن يواجه هذه الاشياء الغريبة عليه اذا استوى عوده وتعين عليه أن يخوض غمرات الحياة مستقلا بنفسه !؟

الصدمة الاولى

♦ وأول صدمة يتلقاها الشخص المدلل في الغالب هي أكثر الحتمات الواقعية بداهة لو انه كان يعقل ، وتلك الحقيقة هي أنه ليس الطفل الوحيد في العالم ، وأنه ليس محتكرا للعطف والرعاية في أسرته !

♦ وتصدمه هذه الحقيقة للمرة الاولى حين يكتشف أن منافسا آخر قد احتل حجر أمه ! . . أي عندما يولد له أخ أو أخت أصغر منه ! . . وهذه الصدمة على جانب كبير جدا من الخطورة من الوجهة النفسانية ، فيجب أن يمهد لوقوعها تمهيدا طويلا بارعا ، والا كان وقع الصدمة شديدا جدا ومزلزلا لكيانه الوجداني : فما بالكم بشخص قر في نفسه ورسخ انه السلطان الوحيد والملك المفرد لمملكة هي أسرته ، يجد نفسه في غمضة عين وانتباهتها وقد شاركه في « العرش » شخص آخر ! . . بل يجد هذا الشخص قد احتل دونه مكان الصدارة ، و « ركنه » هو فصار « على هامش الهامش » من عناية الاسرة . . . فهو « عزيز قوم ذل » ، و « عزيز القوم اذا ذل قد يجن » ، وقد تنطوى نفسه على الحقد والاجرام ! . .

والواقع ان الطفل في هذه الحالة يغلب عليه أن يكبت غيظه وكربه الشديد فيقال انه « واخذ على خاطره » . . وقد يؤدي شعوره بالمدلة والهوان الى هبوط في مستوى سلوكه

وتصرفه الاجتماعي والشخصي ، كأن يعود الى التبول في ثيابه بعد أن يكون قد أقلع عن هذه العادة من مدة ، أو يقوم في الليل صارخا من أوهام وتخيلات مرعبة لا أساس لها الا استرعاء انتباه والديه لعلهما يخلصانه ببعض ما سحبا منه من العناية ... الخ .

عجز « المدلل » عن مواجهة الحياة ..

♦ فاذا مرت هذه الصدمة الاولى وجدنا صدمة من نوع آخر في انتظار « المدلل » عندما يشب عن الطوق ، ويحين له أن يخوض غمار الحياة كادحا في سبيل العيش ... فويل له اذا كانت مهنته من تلك المهن الحرة غير الثابتة المرتب المضمونة الدخل ، فانه سيجد نفسه كالتائه في الصحراء أو الغارق في شبر من الماء ... فهو لم يتعود الكفاح والفشل واعراض الزبائن ... وهو ينتظر من بيئته في رجولته أن تكون نظير بيئته في طفولته : طريقا مفروشا بالورود والريحان ، وليس للناس من حوله شغل الا طلب رضاه ونفى الاكدار عن محياه !

♦ ولهذا نجد « المدلل » يفضل دائما العمل على مكتب ، موظفا صغيرا في ديوان ! .. وهو لا يخوض معركة الحياة الحرة ما وجد عنها محيصا . أما اذا أرغم على خوضها فانه سرعان ما يفشل ، لا لصعوبة المعترك ، بل لقصور في نفسه وتزعزع في يقينه بكفايته ! .. ثم يسلمه الفشل في الغالب الى اليأس ، أو « البلطجة » ، فيكون عالة على أمه ، أو أخته ، أو زوجته ، أو « دخله الموروث » .. أو ينحرف الى معاقرة الخمر والميسر والمخدرات ، ليغرق فيها أحزانه وعتابه على الحياة التي أخلفت ظنه ، وما ظنه الا أن تتوجه الدنيا ملكا عليها ، لا لشيء سوى « سواد عينيه » !

◆ فكما ان نبات الزينة الذى ينمو فى الظل لا يصلح للحياة فى الشمس والهواء وتحت المطر والزوابع .. كذلك لا يصلح الشاب «الدمية» الذى ربى فى «قمقم من الذهب» للحياة فى العراء حيث تضطرب التيارات ، لا يصدها أو يحد من شوكتها القوية شئ ، ولا تحمى منها الا «المناعة الطبيعية» ، تلك المناعة التى ليس لدى « المدلل » منها أدنى نصيب !

المنبوذ !!

◆ فاذا تخطينا النمط الاول وهو « الشـعور بالنقص العضوى » ، والنمط الثانى وهو الشعور بالنقص المعنوى ، عند الشخص المدلل .. وجدنا النمط الاخير هو الشـعور بالنقص المضاد لشعور الطفل المدلل ، ونعنى به شعور الطفل بأنه منبوذ !

فاذا ما شعر الطفل انه غير مرغوب فيه ، أو أنه مكروه ، كأن يكون وجوده فى أسرة غير طبيعية - اذا كان والداه قد انفصلا مثلا - بحيث بات الطفل عبئا على والده أو والدته ، ولا سيما اذا كان من تكفل به منهما قد كون أسرة أخرى بزواج جديد - أو لغير ذلك من الاسباب التى تزهد الناس فى الاطفال ، وتجعلهم يهملونهم ولا يولونهم العطف والرعاية .. فان الطفل فى هذه الحالة يشعر ويستقر فى نفسه ان الحياة لا تريده ، وان المجتمع يضطهده وينبذه . ذلك ان بيئة الطفولة وأهل الطفل هم صورة الحياة والمجتمع كليهما فى نظر الطفل !

◆ وليس المعول فى خلق هذا الشعور عند الطفل على العقوبات البدنية أو القسوة الجسمانية ، مثل الضرب والتعذيب والتجويع . كلا !! بل المقياس هو التصرفات التى تحدث - مهما كانت تافهة فى ظاهرها - أضرارا وجراحا فى « نفسية » الطفل الغضة .. لا فى جسمه !

♦ وخطورة هذا النمط من الشعور بالنقص ان فريسته تشب في الغالب على كراهة المجتمع البشرى ، فيصير منهم أخطر الخارجين على القانون . ذلك ان الحب هو عصب الاجتماع ، فمن لم يشعر به في طفولته فقد الاحساس بصلته بالمجتمع ، ومن شعر بعكس الحب في طفولته شب على الضغن والسخط والحسد لمن يتمتعون بنعمة الحب والمودة الاجتماعية . ولهذا السبب يقرر علماء النفس والاجتماع ان الاسرة ضرورية لتكوين مجتمع صالح متعاون متماسك . أما المبادئ التي ترمي الى الغاء الاسرة أو اضعاف رابطتها القوية فانها قميئة أن تقضى على الوحدة الاجتماعية كلها ، فيشب الناس أشرا أو على الأقل غير مكترئين للصالح العام ، وغير شاعرين بالتعاطف والتواد لغيرهم ، فكأنهم أشتات من الانانيين ، ينظر أحدهم الى الآخر نظرتة الى المنافس أو العدو، لا نظرتة الى الشريك والصديق ! . .

♦ ويجب ألا يتبادر الى الذهن أن الوالدين أو الاهل وحدهم هم الاسباب الوحيدة لهذا الشعور بالنبد ، كلا ، فقد يكون الاهل على خير ما يرام برا بطفلهم ، ولكن الطفل نفسه قد يكون محل اضطهاد زملائه ونبذهم ، ربما لتفوق ذكائه الشديد عليهم في المدرسة ، فيتجنبونه حسدا له وحقدا عليه . . فيكون ((عدم التعاون)) هذا سببا لشعور الطفل بالنبد ، وبذرة لمركب النقص ، لانه سيحس بالمهانة والوحشة ، وتأبى كبرياؤه - وما أشد كبرياء الاطفال ! - ان يستجدى العطف والمودة ، فينطوى على نفسه ويكتم عواطفه . وهذا الكتمان أو الكبت هو التربة الخصيبة التي يبيض فيها مركب النقص ويفرخ ! . .

♦ ويلحق بهذا النوع من الشعور بالنقص ما يحسه الطفل الفقير المتواضع النشأة ، لا في طفولته الاولى ، فقد يكون محل عطف من أهل متنورين ، ولكن الابهة في الاوساط التي يعمل فيها ، وينظر دائما الى من هم أغنى منه وأرقى حسبا وأغنى أهلا نظرة تنطوي على المهانة الخفية ، فيسيطر هذا الشعور بالنقص على جميع تصرفاته ، فاما أن يكون مثالا للخضوع لهؤلاء ، فيضحى « منقادا » . واما أن يعوض النقص بالتباعد والشموخ ، فتفسد علاقته بالناس لغير سبب ظاهر ، وان كان السبب مفهوما في ضوء التحليل النفسى لنشأته الاولى ! ..

الصنم الذهبى !

♦ ومهما يكن من شئ ، فالجانب الذى تتكون منه عقدة النقص يتوقف على كل حال على شكل « صنم الاحلام » . فلكل شخص حلم ذهبى أو مثل أعلى يقدسه : اما فى نفسه بالطموح اليه ، واما فى غيره باحترامه ! .. والى هذا الصنم - صنم الاحلام الذهبى - ترد جميع تقديرات الشخص ، ونظرته الى الحياة ومقاييسه فيها ..

فاذا كان صنم الاحلام هو الغنى الواسع والثراء العريض ، شعر الشخص بالنقص فى حضرة آلهة المال ، أو كل من هم أغنى منه بمقدار ملحوظ .. وربما شعر بالعكس ، أى بالتفوق والاستعلاء اذا كان من حوله أقل منه ثراء وغنى . وكذلك من « صنمه الذهبى » الثقافة والعلم قد يشعر بالنقص بين يدى ذوى الشهرة والمكانة فى العلوم والآداب ..

لكن ألعن هؤلاء جميعا من صنمه الذهبى ما يسمى بالمنصب أو الجاه أو المكانة الاجتماعية .. فانه سيظل طعمة لنيران الحسد والنقص أمام ذوى المناصب أو الوجاهة

والالقباب .. وسيحسب المسكين كلما نال رتبة أو درجة من درجات المناصب انه « كبير » ، فتتغير نظرتهم لنفسه ، ويطلب الناس بتغيير نظرتهم اليه ! ..

شعور شائع ..

◆ ولعل من أشيع أسباب شعور النقص ما ينجم عن شدة الحساسية « الدينية » .. فالشخص الذى يؤمن بالدين ايمانا قويا لا بد أن يشعر ، اذا زل وارتكب أية معصية ذات بال ، أنه قد هوى من القمة الى الدرك الاسفل من المهانة ، ويرى نفسه فى عينى دينه وربّه حقيرا مدنسا مهينا ، فيشعر انه منبوذ ، وانه « دون » مستوى المؤمنين . وذلك هو الشعور بالنقص فى أوضح صورته .

ويغلب على انسان هذا حاله أن يكون شديد الحياء ، فلا يفضى بسبب خزيه ، ويطوى النفس على مهانته وتأثمه ، ولكن هذا التأثم يقض مضجعه ولا يترك له سبيلا للراحة ليلا أو نهارا .. والى هذا النوع من التأثم يرجع أشيع عقد النقص فى الاوساط المتدينة .

◆ وليس معنى ذلك طبعا أن تخفف شدة الشعور الدينى حتى لا يتأثم الخطاة ، بل معناه ان ينشأ الناس على احترام أوامر الدين ونواهيه ، وأن يذكر الخطاة فى الوقت نفسه أن التوبة تغسل الدنس .. وأن الله غفور رحيم بمن تاب توبة صادقة ..

وكل الانماط السابقة - وهى النقص العضوى ، وشعور التدلل ، وشعور التنبذ والاعراض - يمكن علاجها بسهولة ، ما لم تتطور وتتعد وتحدث لها مضاعفات هستيرية ! ..

أعراض النقص

♦ لمركب النقص - كما لاى مرض آخر - أعراض تنم عنه ويعرف بها .. وقد جرى العرف على تقسيم النقص الى قسمين: « نقص بسيط » و « نقص خبيث » . فالنقص البسيط ما اقتصر على أمور سطحية فى الشعور ، ترجع الى سوء المعاملة أو سوء السياسة فى عهد الطفولة . والنقص الخبيث راجع فى الغالب الى تجربة عاطفية عنيفة كان لها أثر عميق فى مجرى الشعور ! ..

ونبدأ بالنقص البسيط أو الخفيف ، فنجد أعراضه مجملة فى : ١ - القلق أو النشاط الذى لا هدف له .
٢ - الخجل من المجتمعات وتحاشى الاجتماع بالناس .
٣ - فرط الحساسية وبخس تقدير الشخص لقيمة نفسه .
٤ - السطحية وفرط الرضى عن النفس . ٥ - فترات متناقضة من الصمت والثرثرة ٦ - التهكم الناجم عن حب للنقد الهدام ..

القلق الخالى من الغرض ؟ ..

♦ والمعنى الذى يستفاد من « القلق الذى لا هدف له » ، ان الشخص يشعر فى قرارة نفسه انه كان ينبغى أن يعمل شيئاً لم يعمل .. ولولا هذا الشعور لما صدرت عنه هذه الحركات التى لا لزوم لها ، ولاستقر فى مكانه واطمأن ! .. ومن هذه الحركات الخالية من الغرض ، الدالة على القلق وتوتر الاعصاب ، سوء النوم وكثرة الارق لغير داع مفهوم من الهموم أو المرض الجسمانى .. فلو كان الشخص مستريح النفس مطمئن السريرة لنام .. بيد أن الشعور المدفون الكامن فى أعماق ضميره بأن عليه شيئاً يجب أن يقوم به ولكنه تقاعد عنه ، هو الذى لا يترك له راحة فى ليل أو نهار .

♦ وقد يكون هذا الشعور بالتقصير أو التقاعد عن عمل واجب الاداء راجعا الى تجربة قديمة جدا ، في زمن الطفولة مثلا ، ربما تكون قد نسيت تمام النسيان ! .. ولكنها مثل الجرح العميق قد ينسى الشخص ملابساته كل النسيان ، ولكن هذا لا يمنع من بقاء أثره ماثلا في الجسم مؤثرا في قيامه بوظيفته .

الخجل الاجتماعي ! ..

♦ أما الخجل الاجتماعي والتباعد عن الناس فعرض من أوضح أعراض الشعور بالنقص ، ومرده في الغالب الى شعور بالنبذ والكرهية أثناء الصبي أو الطفولة .. كأن يلقي الطفل أو الغلام نفسه مرذولا مصدودا عنه من اخوانه أو اهله ، فيقضي ذلك على ثقته بنفسه ، وكلما ألفى نفسه بعد أن يكبر أمام غرباء طفت هذه التجربة الاليمة من العقل الباطن فحالت دون اندماج الشخص أو ارتياحه الى هؤلاء الغرباء ..

فرط الحساسية والتضاؤل

♦ ويلحق بالخجل الاجتماعي فرط الحساسية والتضاؤل - أي بخس الشخص لقيمة نفسه - ويرجع ذلك في الغالب الى التأثم ، أي الاحساس الشديد بارتكاب الاثم فيما مضى ، أو معاناة تحقير شديد في موقف من المواقف ، بحيث يرسخ في نفس الشخص أنه زهيد القيمة هين على الناس ، ويتطور هذا الشعور مع الزمن حتى يعتقد هو أيضا في هوان نفسه ، وان الناس محقون في الاستهانة به ! ..

♦ ويغلب على الذكور المصابين بهذه الآفة أن يهتموا بكل جانب من جوانب مظهرهم أمام الناس ، فلون ملابستهم ، ونوع

تلك الملابس ، وشكل الحذاء ، ونظافته ، وألوان الطعام وما الى ذلك .. كلها أمور يهتمون جدا بأن تكون مما يرضى عنه الناس ، فرأى الناس عندهم شيء مقدس ، له المقام الاول من الاعتبار !

◆ كما يغلب على الاناث المصابات بهذه الآفة أن يهتمن اهتماما مفرطا بجواربهن ولونها ونوعها وسعرها ، وشكل الشعر وطريقة تصفيفه ، لانهن يخشين أى انتقاد لزينتهن ووجاهتهن . كما يملن الى الغض من قدر جنسهن والانحاء عليه باللوم ، على سبيل التعويض عن الشعور بالنقص بالنسبة للجنس الآخر ، فكأن المصابة بهذا النقص تتبرا من جنسها ونقائصه بهذا التجنى !..

السطحية ..

◆ ومن أعراض الشعور بالنقص أيضا ما يسمى بسطحية الوجدان ، وعلامتها أن يكون الشخص غير مكترث لشيء ، قانعا بالسكوت كأنه الاله بوذا ، مكتفيا بالتأمل فى نفسه ، فى رضى عنها! .. لا يهمله الا مسراته ومطالبه الخاصة .. ولا يعنيه مصير أحد أو مصير شيء فى الدنيا غير رفاهيته الشخصية! ..

النوبات المتناقضة : من المرح والانقباض !

◆ وقد يصاب الشخص تحت تأثير شعور النقص بنوبات متناقضة ينتقل فيها من الصمت والانقباض الى الشرثرة والمرح والحبور ! فذلك دليل لا شك فيه على عدم الاتزان الوجدانى ، ووجود « فقاعات » تحت سطح الوجدان تسبب القلق وعدم الاستقرار على حال .. وغالبا ما ينجم ذلك عن تجربة عنيفة ،

أى صدمة وجدانية كبتت كبتا شديدا ، فصارت حائلا دون الاستقرار الوجدانى بما تسببه للشخص من تنغيصات ونزعات ، كأنها داء النقرس الذى يعاود الشخص بغير سابق انذار كما يتركه بغير سابق انذار ! .. !

حب الهدم !

♦ وغير نادر أن يصاب الشخص الشاعر بنقصه بداء التحقير ، فيميل الى تحقير كل جليل وتشويه كل جميل ، وانتقاد كل حركة أو فن انتقادا لا غاية له سوى المسخ والهدم . ومثل ذلك الشخص لا يؤمن بشئ ، ولا حرمة عنده لمبدأ أو عقيدة أو مزية خلقية ! .. !

رد الفعل ..

♦ ويضاف الى هذه الاعراض السلبية أعراض ايجابية ، هى بمثابة رد فعل للشعور بالنقص ، أى ما يسمى « التعويض » عن النقص ! -

♦ ولكن هذا الضرب من التعويض ليس الغرض منه النفع العام ، بل حماية الشخص لنفسه من جرائر الشعور بالنقص الذى يعانيه ... وينصب غالبا على المظهر دون المخبر ، فيكون هم الشخص فى هذه الحالة ان « يتظاهر » بعكس ما يعانيه من الشعور بالنقص ، فالمسألة ادعاء مواهب ومزايا ، لا حصول حقيقى على تلك المواهب والمزايا ! .. !

من قبيل ذلك ان يعمد الشخص القصير القامة الى لبس حذاء له كعب عال وطربوش طويل ، ثم يمتد قامته ، ويكثر من التلويع والتكشير ، و « الشخط والنظر » كى يوقع فى الازهان

انه شخص عظيم مهيب ! .. كما قد يعتمد الشخص القليل الحظ من التعليم ، او المتواضع الاصل والبيئة ، الى استطاع لكنة اجنبية في كلامه ، وحشر ألفاظ فنية وعلمية - اجنبية غالبا - في كلامه بغير مناسبة ، مع التظاهر بالوقار والثراء وسائر مظاهر المتقلبين في النعمة !

♦ أما الشخص الذي يرجع شعوره بالنقص الى النبذ وتباعد زملائه في طفولته عنه ، فيميل الى التألق في ملبسه تألقا خارجا على المألوف ليكتسب صفة الواجهة ! ..

♦ ومن مظاهر التعويض أيضا ان تميل المرأة لتقليد الرجال ، ويميل الرجل لتقليد النساء ، في الزينة والحديث والاشارة !

♦ وقد يميل من يشعر بزهد الناس فيه الى العزلة مع الاستعلاء ، وادعاء التفرد والتفوق على سائر الناس بمزايا لا يعلم حقيقتها الا الله . ويميل مثل ذلك الشخص الى خرق العرف في لبسه وزينته ، لانه «نمط وحده» و «فريد عصره» فلا يصح أن يقلد أحدا ، بل يعتبر نفسه المشرع الوحيد لذاته الفريدة !

♦ وقد يشتط الشخص المزهود فيه في التعويض فيصبح من الاشقياء الشرسين والطغاة المتمردين على كل قانون أخلاقي أو ديني أو وضعي ، الذين يميلون الى القسوة والعنف في كل شيء ! ..

التعويض الصحيح

♦ كل هذه الضروب من التعويض ليست في محلها ، فهي تعويضات زائفة تعتبر من أعراض حدوث «مضاعفات» في الداء الاصل . : .. وانما التعويض الصحيح أن يحاول الشخص

الشاعر بالنقص الحصول على مزايا حقيقية ، لا ادعاء تلك المزايا ، بحيث يشعر الناس أنه شخص فاضل حقا وصادقا وانه لاغنى لهم عنه ، ولا مفر لهم من تقديره واحترامه وخطب وده ، وبذلك يزول سبب الشعور الاصلى بالنقص تمام الزوال ..

الكبت هو السبب !

◆ ولكي نفهم «عقدة» أو مركب النقص على حقيقته ينبغي أن نعرف كيف يتكون .. كيف يتحول من «شعور بالنقص» - أى من شعور قد يكون سطحيًا عابرًا - الى «عقدة نقص» - أى الى داء مقيم مستقر يعوق قيام النفس بوظيفتها على الوجه الاكمل . والعامل الاكبر فى تحول الشعور بالنقص الى عقدة مستعصية هو «الكبت» . فكبت الشعور بالنقص وتكرر ذلك الشعور مع تكرر الكبت هو سبب تحول ذلك الشعور الى عقدة ، كما يلتئم الجرح على فساد فيتحول الى خراج خبيث ...

◆ فلو عمد المرء الى «التنفيس» عن كل شعور بالنقص ، وكل جرح يصيب الكرامة والكبرياء ، دون خزى من ذلك التنفيس أو تخرج ، وذلك بالافضاء بما وقع بصراحة لشخص يطمئن اليه ، لتلاشى أثر الشعور بالنقص فى وقته ، قبل أن يتحول بالتكرار وبعامل الوقت الى عقدة مستعصية الحل ..

◆ ويأتى ضرر العقدة من اتصال الصراع الوجدانى ، فالشعور بالنقص يحاول دائما أن يخرج ، أى أن يحدث له «تنفيس» لانه مكتوم مكبوت ، والوعى يضغط عليه دائما حتى يظل مكبوتا ولا يطفو الى السطح .. وهذا الصراع أو الاشكال الدائم هو سبب القلق وعدم الاستقرار وعدم

الاتزان الذى يشاهد دائما على المصابين بعقدة النقص ، بحيث تتلون شخصيتهم فى جميع مظاهرها بهذه العقدة الملعونة ..

التوجس !..

♦ وقد تبدو العقدة فى شكل توجس أى خوف دائم من حصول ما يمس موضوع العقدة ، أى سبب الشعور الدائم بالنقص ... وقد يشتد التوجس فيصير نورستانيا مصحوبة بالارق ... وربما تطورت النورستانيا الى انهيار عصبى تام يودى بمستقبل الشخص ، وربما أودى بحياته ، لما يصحب ذلك من فقد الشهية والقيء والارق المتصل .

♦ وقد يؤخذ الشخص الى « زار » أو « حفل تحضير أرواح » فتهدا أعصابه مؤقتا بفعل الموسيقى ، أو يعالجه طبيب بالكهرباء والحقن وما الى ذلك فيتحسن قليلا ، ولكنه يعود غالبا الى حالته الاولى أو أشد ... ذلك ان علاج عقدة النقص لا يكون بعلاج أعراضها ، فالاعراض نتيجة ، والعلاج يجب أن يكون علاج العلة أو السبب . وبغير استخراج السبب المدفون فى أعماق السريرة ، لا يفتح الخراج ، وبغير تنظيف الخراج لا يتم الشفاء !..

عندما يخلق المرء لنفسه عالما وهميا !

♦ وقد لا يصاب صاحب عقدة النقص بالنورستانيا أو التوجس أى الخوف الدائم من اثاره أشجان نقصه .. ولكنه يعمد الى الهرب من الواقع المؤلم الذى يذكره دائما بنقصه ، فيرفض ذلك الواقع ، ويرفض الحياة الواقعية ، وينصرف الى ادمان الخمر ، أو الميسر ، أو المخدرات .. لانه تحت تأثير تلك السموم يستطيع تخيل حياة توافقه ولا يكون مكانه فيها مما

ينغصه . . . فهو يخلق عالما جديدا يعيش فيه نصف مجنون ، ولكنه معذور في ذلك ، لانه يستحيل عليه احتمال حياة الواقع التى يحياها العقلاء ، نظرا لان نصيبه فى تلك الحياة زرى مؤلم . . .

الفشل فى الحب

◆ وقد كثر فى الزمن الاخير اعراض الناس عن الزواج بحجة أن الزواج والاسرة من أسباب تعاسة الحياة ، وان النسل شئ سخيـف ! . . لكن سبب هذا القول انما يرجع فى الغالب الى فشل الشخص فى الحب أى فى الاتصال الجنسى اتصالا طبيعيا ناجحا . . فيدارى الشخص هذا الفشل الذريع بستار من « الآراء التقدمية » ، متناسيا أن تطبيق هذه الآراء معناه انقراض الجنس البشرى فى مدى جيل واحد ! . .

◆ فالواقع ان الحب والزواج ليسا اصلاحا اجتماعيا فحسب ، بل هما ضرورة بيولوجية ، بصرف النظر عن مقتضيات العرف والدين . فلا بد من النسل لاستمرار الحياة . اذن لابد من الحب . ولا بد من الاسرة وتعاون الاب والام على تربية الطفل تربية نفسية صحيحة ، لامجرد اطعام وكسوة . . . فالحب العائلى والرعاية الوالدية هما البذرة الاولى لكل عاطفة سامية فى الطفل . ولا يمكن قيام ذلك كله بدون أسرة مستقرة لا يتغير فيها الاب كلما ولدت الام طفلا جديدا . . . أى لاقـيام للاسرة الابالزواج كما نعهد فى مجتمعا . .

◆ واننا لنجد الحيوانات التى تحتاج صغارها الى رعاية خاصة طويلة ، تقارب الرعاية الواجبة للطفل البشرى ، يقوم



فيها نظام الاسرة مماثل للاسرة البشرية من وجوه كثيرة جدا .. فليس الزواج قيذا اجتماعيا تعسفيا ، وانما هو ضرورة بيولوجية ونفسانية لا محيص عنها .

أوهام العظمة !

♦ وقد يعمد صاحب عقدة النقص الى الهرب من الواقع ، لا بمعاقرة الخمر والميسر ، والمخدرات ، بل باصطناع جو من العظمة يحيط به نفسه ، ويا حبذا لو انخدع فيه نفر من الناس وطاوعوه في ذلك ، فانه يعوض ما يشعر به من النقص بذلك الوهم الذي لا يحتاج لتحقيقه الى خمر أو أفيون ... ومن هذا القبيل أوهام الاباطرة القدماء أمثال كاليجولا ونيرون اللذين ادعيا الالهة ... وما العهد بغليوم الثاني وهتلر بعيد ...! ولو أننا دخلنا أى بيمارستان (مستشفى للأمراض العقلية) لوجدنا ضحايا هذه الاوهام بالعشرات ، بل بالمئات ..

يوليوس قيصر

قيصر .. وبيتهوفن .. وروزفلت

♦ ومن حكمة العناية الالهية أن جعلت لكل شىء الى جانب ضرره نفعاً . فاذا كانت عقدة النقص - وهي مضاعفات الشعور بالنقص - من عاهات النفس وأدوائها المعطلة لقواها ، فان الشعور البسيط بالنقص - وهو شائع جدا لا يكاد يخلو منه

أحد - كان سببا في تنافس الناس ومحاولتهم التفوق على أقرانهم والتغلب على نقائصهم ..

♦ وأعظم من هذا وأجل خطرا ، ان الشعور بالنقص كان السبب الكامن وراء عظمة كثيرين من عباقرة الزمان ونوابغ بني الانسان : فهذا يوليوس قيصر كان مصابا بالصرع منذ صباه ، حتى خشى أن يعوقه ذلك عن احتراف الجندية والانتظام في سلك الجيش ، فاذا ذلك يدفعه الى التفوق والتغلب على نقصه ذاك ، حتى صار فارس العصر وعاهل الدهر ، وأنبغ قواد روما القديمة غير منازع !

♦ وهذا بيتهوفن أعظم عباقرة الموسيقى كان يشكو من ضعف خاص في سمعه ، فاذا به يعوض ذلك النقص بأن يكون أعظم من شنف الآذان ، بحيث كان يميز بين ٤٠٠٠ طبقة مختلفة من طبقات الاصوات !

♦ وهذا الرئيس روزفلت الذي قاد أمته في أخرج أوقات تاريخها ، بل قاد العالم الديموقراطي كله في أخرج أوقات تاريخه ، وكان أول رئيس تجدد انتخابه مرارا وتكرارا رغم معاداة الرأسماليين واليهود والمحافظين والعمال لسياسته ... هذا الرجل الجبار كان مصابا منذ سن باكرة جدا من شبابه بشلل الاطفال ، فظل يقاوم هذا النقص مقاومة جبارة حتى وصل الى قمة النجاح والنشاط : محاميا ، وحاكما لنيويورك ، وعضوا في الشيوخ ، وخطيبا ، ورئيسا للجمهورية ، وزعيما للديموقراطية في العالم أجمع ، وختم حياته بهزيمة قوى الدكتاتورية العاتية ...

♦ فليس الشعور بالنقص في ذاته علة وداء خطيرا ، بل العلة في تزعزع الثقة بالنفس الذي ينجم عن ذلك الشعور .

أما اذا قويت الثقة بالنفس وشحذت الهمة للتغلب على النقص ، فتلك هي النعمة التي تكمن في باطن النعمة ، والتي تدين لها الانسانية بأكبر عدد من عظمائها وقادتها النابهين ..

من هنا نبدأ •

◆ فيجب اذن أن نعرف هذه الحقيقة جيدا ، وأن نعمل على مراعاتها كل المراعاة ، فلانتألم وتهن عزائنا لشعورنا بالنقص ، بل نعمل الى التنفيس عن ذلك الشعور ، بتهوينه ومحاولة التغلب عليه وتعويضه بتنمية مواهبنا الايجابية الاخرى بحيث تغطي على ذلك النقص وتطمسه •

◆ أما اذا كان النقص مما لا يعالج ، كأن يكون عاهة ظاهرة ، فيجب أن نركز همنا في مواجهة ذلك الواقع بشجاعة ، وعدم الخزي منه ، لانه لا يعيبنا في الواقع أن نصاب بعاهة ، وانما يعيبنا أن نستسلم لها بحيث يستفحل اثرها ويفسد علينا كل حياتنا .. فالشجاعة وعدم الاستخذاء والتضاؤل بسبب العاهة هو مفتاح التغلب عليها وعلى عقدة النقص التي قد تنجم عنها .. ولنعلم ان في كل انسان نقصا ، وان الانسان خلق ضعيفا ، وان الرابطة التي تربط الناس بعضهم ببعض هي الضعف المشترك ، والحاجة الى التواصي والتعاطف ، فليست الحياة كلها مضمار سباق ، بل هي قبل كل شيء رابطة ألفة ومودة وسلام ..

عزيزى القارىء ...

« التقزز » والزراية ، شعوران
يلازمان فى النفس معنى التجسس !
ومع ذلك فما برحت الجاسوسية أداة
لا تستقيم بغيرها الحروب ! .. وهى فى
غموضها وخطورة شأنها تقتضى القائم
بها مرونة أعصاب وحضور ذهن لا يتوفران
الا لافراد قلائل من البشر ! ..

وقد عمل (سومرست موم) جاسوسا
لبريطانيا فى الحرب العالمية الاولى .
وقصته هذه التى اقدمها لك اليوم
(واسمها الاصلى « اشندن » - وهو
الاسم المستعار الذى اطلقه موم على
نفسه اثناء اضطلاع به عمله فى
التجسس) هى من المراجع الهامة التى
تحتم ادارة المخابرات البريطانية على
رجالها الجدد ان يقرأوها ويتدبروها
بامعان ، كنموذج لما يعرض لهم فى
عملهم الشاق الرهيب ! ..

وفى الاعداد القادمة اعترزم ان اقدم
لك بعون الله مجموعة متنوعة من اشهر
قصص الجاسوسية التى جرت وقائعها
خلال اوقات الحرب والسلام ، فى مختلف
البلاد والعصور .. والحروب .. ومنها :
« ادريين » جاسوسة البوسفور ، القطة ،
هيلينا الحسنة ، جاسوسة فى سفارة
لندن ، المانية فى بريطانيا ، جاسوسة
اسرائيل ، ابنة ماتاهارى ، زوجة الخائن ،
ذو اللحية الحمراء ، طبيب فى الحب ،
جاسوسة من كوريا ... الخ

رياضة الذهن



من قصص الجاسوسية

فى الحرب
والسلام



سومرست موم
غرام قانتل

قصة واقعية من قصص الجاسوسية العالمية

الكاتب



في فيلا (موريسك) الفاخرة
بفماحية (كاب فيرا) - على
شاطيء الريفيرا الفرنسية -
يعيش (سومرست موم) هذه
الايام ، وقد بلغ السابعة
والسبعين ، معيشة تحوطها
اسباب الرفاهية والترف ..
ومع ذلك فان المؤلف الذي
سود عشرات الآلاف من
الصفحات خلال أكثر من خمسين
عاما ، لا يستطيع أن يهجر
الكتابة .. فهو لا يكاد يفرغ من
تناول افطاره ، في الساعة الثامنة
صباحا بالضبط ، حتى يجلس

الى مكتبه فيدير ظهره لمناظر الطبيعة الساحرة في تلك البلاد ، للسماء
والبحر والصخور .. ويتناول قلمه ليكتب .

ولد سومرست موم سنة ١٨٧٤ ، في باريس ، حيث كان والده
يشغل منصب المستشار القانوني للسفارة الانجليزية بها .. ثم ماتت
أده بالسل وهو في الثامنة ، ولحق بها أبوه في العام التالي ، فانتقل
الصبي الى أهله في لندن ، حيث التحق عام ١٨٩٢ بكلية الطب ..
لكنه كان يهوى الادب ، فخرج من تجاربه في الاختلاط بالمرضى في
أحقر أحياء لندن ، بقصته الاولى (ليزا ، عادة حي لامبث) ، وكان
يومئذ في الثالثة والعشرين ..

ومرس موم هوايته المفضلة أحد عشر عاما ، عاشها فقيرا مغمورا ..
حتى مثلث رواية له على المسرح سنة ١٩٠٧ ، فلاقت من انجاح ما جعل
المخرجين يتهافتون على تقديم بقية مسرحياته للجمهور .. ثم أصيب موم
عام ١٩١٥ بمرض السل ، فانتقل الى سويسرا .. حيث استعان على
كسب معاشه بالعمل في قلم المخابرات السرية البريطانية ، وهناك
جرت له وقائع القصة الواقعية التي تقرأها على هذه الصفحات ..

ثم أصيب موم بانهيار عصبي ، سافر ليستشفى منه في بحار الجنوب ،
فخرج من رحلته بعشرات القصص التي تدور حوادنها في تلك البلاد ..
ثم عاد ليستأنف عمله في التجسس لحساب وطنه على الروس في هذه
المرّة .. وعند عودته من روسيا ، نصحه الاطباء بالاستشفاء في
أحدى مصحات اسكتلندا لمدة عامين ، خرج بعدها ليستأنف الكتابة
.. طيلة الثلاثين سنة الأخيرة حتى لقد أربت مؤلفاته على الستين كتابا ،
من القصص والمسرحيات والمقالات .. الخ

◆ ثبت فى الرئيس عينيه النفاذتين ثم قال لى بصوته البين المقاطع : « لك عندى عمل جديد » . . . وصمت قليلا ثم استطرد : « هل تعرف من يدعى « شندرالال ؟ » . . . فلما أجبته سلبا لم ينبس ، وانما أخرج لى من مكتبه صورة « فوتوغرافية » متوسطة الحجم وضعها أمامى ، فطالعنى منها وجه من تلك الوجوه الشرقية التى نعهد لها فى مهراجات الهند ، يميل صاحبه الى البدانة ، وان تكن عيناه الواسعتان وعمامته الكبيرة قد أضفت عليه وقارا ومهابة . . . وعاد محدثى يسألنى :

— ماذا ترى فى الرجل ؟

— أراه ذا شخصية لا تخلو من قوة

وما أتممت عبارتى هذه ، حتى أخرج لى من مكتبه ملفا صغيرا عليه اسم الرجل ، فوجدت فيه ورقتين تتضمنان موجز سيرته : فاذا هو محام من كلكتا شغفته السياسة فانصرف اليها فى حماسة ، وقد استطاع أن يقيم حكومة الهند ويقعدها بحوادث القلاقل التى يدبرها فى حنكة ثم يروغ روغان الشعب من قبضة المطاردين والمتربصين ! . . . ولكن لم تكد تعلن الحرب العالمية حتى هرب الى أمريكا ، وتسلى منها الى السويد ، ثم استقر آخر الامر فى برلين ، يدير منها خطط القلاقل التى يثيرها أعوانه الكثيرون فى الهند ! . . . وأضاف التقرير الى هذا أن صاحبنا قد خلف وراءه فى وطنه زوجة وولدين ، وانه رجل مستقيم السيرة ، ليس له

هوى فى النساء .. لا يدخن ولا يشرب الخمر .. نظيف اليد ،
لا سبيل الى شراء ذمته أو رأيه بالمال .. وهو فوق هذا مناضل
شجاع ، شديد الحذر ، دائم النشاط ، ذو همة لا تفتر !

رجل لا يهوى النساء .. ولكن ؟

♦ وما أن فرغت من استيعاب هذا كله حتى أعدت الملف الى
الرئيس وأنا أقول فى لهجة المأخوذ :

- أرى الرجل خصما عنيدا صعب المراس !

- هو ذاك ، بل انه أخطر من أنجبت الهند من المتآمرين .

وقد ظلمت أترصده عاما كاملا دون جدوى !

وصمت قليلا ، ثم تصلبت عضلات وجهه وضرب المائدة

بجماع يده .. ثم أردف وهو يدنى وجهه منى كالمتحفز للوثوب :

- أما الآن يا صاح فقد حانت الفرصة بعد طول انتظار ..

وأقسم لأنتهزنها !

وسرت فى جسدى من لهجته رعدة ، على ما فى طبعى من

صلابة وقوة مراس :

- وماذا تراك صانع به اذا وقع فى يدك ؟

- أعدمه رميا بالرصاص ، وفى الحال ! .. فان نشاطه

الخطر يعرقل مجهود الحلفاء فى الحرب ..

قالها بلهجة قاطعة مكتومة الرنين زادت فى توجسى الخفى

من هذه المهمة ! .. ثم سكت لحظة ، عاد خلالها الى مألوف

هدوئه .. واستطرد يسألنى :

- رأيت الفقرة التى يذكر فيها التقرير ان الرجل لا يهوى

النساء ؟ لقد كان هذا صحيحا فيما مضى .. أما الآن ؟ ..

وناولنى مجموعة من الخطابات يضمها شريط من الخيط
الازرق :

— هذه خطابه الغرامية ، خذها فستنفك تلاوتها فى
فهم ملابسات الموضوع .. وشترى منها أن حبيبته امرأة ايطالية
تدعى « جوليا لاراي » .. وهو جد مفتون بها !
— ترى من أى طراز من النساء هى ؟

— انها راقصة مغنية من الطبقة الدنيا .. تغنى فى
الحانات الرخيصة ، وترقص رقصا تزعمه اسبانيا .. وقد
طوفت بأقطار أوروبا جميعا خلال هذه السنوات الاخيرة ، وأتاح
لها زواجها من اسباني أن تدخل ألمانيا خلال الحرب ، حيث
عملت فى حانات برلين .. وهناك التقت بشندرالال ، وأغرم كل
منهما بصاحبه غراما شديدا .. وما ان انقضت بضعة أشهر على
حلولها ببرلين ، حتى أخرجت بين يوم وليلة من ألمانيا باعتبارها
شخصا « غير مرغوب فيه » ، فطلبت الاذن بدخول انجلترا للعمل
فيها ! .. وهى لعبة قديمة قدم الحرب نفسها ، أن تغضب الحكومة
على فرد معين وتنفيه ليحتضنه أعداؤها فيسهل عليه أن يكون
جاسوسا عليهم للبلد التى اصطنعت الغضب عليه ! ..

ولكننا سمحنا لها — عامدين — بدخول انجلترا ، وأغلب
الظن أننا كنا من المهارة بحيث لم تدرك الغبية انها كانت خاضعة
لرقابة شديدة تحصى عليها الحركة والسكون ! .. وثبت لدينا
بوسائل ملتوية انها تراسل شندرالال اسبوعيا عن طريق عنوان
مزعوم فى هولندا ، وقد تكرر فى خطاباتها ذكر أخبار هامة تود
الافضاء بها اليه عندما تلقاه فى هولندا حين تسنح الفرصة
لذلك .. وكانت هى خلال هذه الفترة تولى بعض « الشبان »
من ضباط بحرية جلالة الملك اهتماما خاصا .. وتوطد صلتها

بهم ٠٠! حتى تجمع لدينا ضدها منذ اسبوعين ما يكفي لادانة فيلق من الجواسيس ، فقبضنا عليها ٠٠!

وسكت الرئيس برهة ثم ابتسم ابتسامة خفيفة تفيض مكرًا وقسوة وعاد الى حديثه :

- وقد تركناها اسبوعا كاملا في سجن رهيب راعينا أن يكون أسوأ سجون العالم نظاما وأقساها ، دون أن نوجه اليها تهمة ما أو ندعها تعرف شيئا عما تحت يدنا من أدلة ضدها ٠٠! حتى جاءتنى الاخبار ان أعصابها قد تهدمت وأصبحت مسلووبة الارادة ، تهذى هذيان المحموم ٠٠ فذهبت الى زنزانتها وأفهمتها بما لا يدع للشك مجالا ، انه لا مفر من الحكم عليها بقضاء عشر سنين على الاقل في هذا السجن المروع ! - ولك أن تتصور مبلغ جزعها وخوار نفسها لهذا النبأ ! - وأخيرا قلت لها ان هناك بارقة أمل واحدة في نجاتها : هي أن تستدرج شندرالال الى مقابلتها على الحدود الفرنسية السويسرية ٠٠! فترددت التعسة بادية الامر ٠٠ ولكنها لم تلبث أن لانت عندما رأتنى أستدعى السجنان ليغلق عليها الباب بعد أن أنصرف ٠٠

وتوقف رئيسي عن الكلام لحظة ٠٠ ثم نظر الى وأردف :

- وعليك الآن يا صاح مهمة اصطحابها الى فرنسا وارغامها على اتخاذ ما يلزم لاستدراج الصيد الى الكمين !

فتش عن المرأة !

◆ ولكن صيد الثعالب أمر عسير ! ٠٠ لهذا كان على أن أتذرع بالاناة والحيلة حتى لا ينكشف الامر كله وتضيع الفرصة الفريدة ضياع الأبد ٠٠ فبدأت باستكتاب جوليا خطابا الى صاحبها تذكر له فيه استحالة الحصول على اذن بالسفر الى



هولندا ، كي تلقاه .. بعكس
السفر الى سويسرا فانه سهل
ميسور .. فضلا عن كونها
بلدا محايدا لا خطر عليه في أن
يقصد اليه ! ثم جعلتها تضرب
له في نهاية الخطاب موعدا
للقاء في فندق عينته له في
مدينة « لوزان » ! ..

♦ ورحلت معها الى «تونون»،
وهي بلدة على الحدود الفرنسية
تشرف على بحيرة لوران ،
في مواجهة تلك المدينة .. وكانت
الرحلة شاقة مضنية للاعصاب،
فقد كانت المرأة في حالة

اعياء شديد .. وبرغم ذلك فانها أبت أن تمس الطعام! .. ولمحت
على وجهها طول الوقت امارات معركة باطنية حامية الوطيس :
فالنجاة مرة ، والهلاك أمر ! .. ولو كان الموت هو ما يتوعدونها
به لكان الامر على نفسها أخف وأهون ، أما وهو البقاء في ذلك
السجن الرهيب عشر سنوات ، فذلك ما لا قبل لها به مهما كان
الثمن ، وهي المرأة العـابثة التي تعودت من دهرها التحرر
والانطلاق ، والحياة الصارخة الالوان ! ..

♦ وفي (تونون) استكتبت « جوليا » تذكرة بريد الى
صاحبها بعنوان الفندق الذي تواعدت معه على اللقاء فيه ، ذكرت
له فيها بايجاز انها فوجئت عند اجتياز الحدود ببعض الحوائل
التي عاقتها ، لكن هذه الحوائل لن تلبث أن تذلل ، وما عليه الا
أن ينتظرها بعض الوقت في لوزان حيث هو ! ..
ولما كانت طبيعة عمل الجاسوس تقتضيه أن يبعد عن نفسه
كل شبهة في ذلك ، فقد صرفت حراسنا من الجنود الفرنسيين،

وأفهمت المرأة انها حرة تذهب أين تشاء .. بشرط ألا ترحل عن (تونون) ، وألا تحاول الاتصال بصاحبها دون علمي ! .. لكنني لم أطمئن طبعاً الى وعدها باحترام هذين الشرطين، فأطلقت وراءها عيوني يرصدون حركاتها وهي لا تدري !

وهكذا تبين لي أنها حاولت ، من أول يوم ، أن ترحل الى سويسرا دون جواز سفر ! .. لكنها عجزت عن ذلك .. ثم حاولت رشوة حراس الحدود ، فسخرها منها وردوها خائبة ! .. وبلغني ذلك كله في حينه ، لكنني لم أقم له وزناً أو أطلعها على علمي به ، فلم يكن من بأس علي في أن يوهن الوعل تحرنه بنطاح الصخرة ما طاب له النطاح ! ..

هل يقع الصيد في الفخ ؟

◆ وفي الغداة ذهبت الى لقاءها ، فقابلتني أسوأ استقبال ، وهي تبكي وتسب ! .. فجلست أدخن غليونني كأن ليس في الحجرة سوى ، حتى انتهت من ثورتها ونحيبها فقلت لها في هدوء :

- هل جفت دموعك ؟ هذا خير .. أرجو اذن أن تكتبي الى صاحبك خطاباً تقولين له فيه انه قد استحال عليك عبور الحدود ، وان هذا المكان الذي تعيشين فيه مكان هادئ وجميل ، لا يكاد الانسان يحس فيه بوطأة الحرب المستعرة الاوار حوله في كل مكان ، وانه يحسن أن يوافيك هنا ..

- أتحسبونه غراً ؟ هبه رفض الحضور ؟

- عليك عندئذ أن تعيدي المحاولة حتى يرضخ لرغبتك

- أتعني أنه لو رفض الحضور فلا بد من سجنى ؟

- طبعاً .. اما أنت .. واما هو !



وكتبت الخطاب .. وجعلتها
تضيف في آخره أن الذي
يحمّله اليه سويسرى ثقة، وانها
آثرت عدم ارسال الخطاب
بالبريد حتى لا يفتحها الرقيب ..
وغنى عن الايضاح ان ذلك
« السويسرى الثقة » كان من
معاونى وجواسيسى ! ..

وجاء الرسول برد الهندى
الماكر، فاذا به حافل بالشوق
وبالاعتذار فى آن واحد ، وقد
ختمه بعبارة قصد بها الى المزاح

ولكنها جاءت من وحى الغيب : « أخالك يا حبيبتي غير مشوقة
الى رؤية صديقك السمين يعدم برصاص فصيلة من الجنود ! » ..

— ألم أقل لكم انه لن يأتى ؟ انه أذكى منكم جميعا ، ولن
تنالوه أبدا .. لن تنالوه أبدا ! .. أتسمعون ؟

— فلنحاول مرة أخرى .. اكتبى اليه انك غاضبة ، وقولى
له انه لا خطر هناك ولا مخاطرة ؟ وانه انما يحتال بهذه الاوهام
لان حبه لك قد انتهى !
— لا أستطيع !

وانطلقت فى ثورة أخرى هستيرية باكية ، تركتها تأخذ
مجراها المألوف وأنا أدخن غليونى على الارىكة بجانب الباب ،
حتى انتهت « جوليا » من هياجها وبكائها ، وعندئذ أملت عليها
الخطاب الذي أردته .. فكتبته !

عندما تحب « بائعة الهوى » !

♦ وفى الصباح التالى جاءنى فى مستقرى من أخبرنى انها حاولت أن ترشو بعض النوتية لينقلها عبر البحيرة الى لوزان تحت جناح الليل ، وذهبت فى سبيل ذلك الى حد اغرائه بنفسها ! .. فلما رفض هذا العرض أيضا ، كلفته - لقاء مبلغ دسم من المال - بأن يحمل خطابا منها الى صاحبها ! ..

ولكن النوتية فى نقط الحدود على صلة دائمة برجال المخابرات السرية ، ولهذا فقد أوصلوا خطابها ، ولكن الى يدى أنا ، لا الى صاحبها « شندرالال » ! .. واذا هى تقول له بايجاز : « لا تقم وزنا لخطابتي السابقة ، فانه ليست غير شرك منصوب لك .. فحذار من أن تحضر يا حبيبى ، وكان الله فى عونى ! »

انقبض قلبى اشفاقا على هذه المرأة التى تحب وتخاطر بعمرها من أجل صاحبها ! .. ومن هى ؟ بائعة هوى ! .. وأحسست أن تلك النعمة من الاخلاص والطهر كانت خليقة بالاشفاق والرعاية من جانبى ولكن .. ولكننى طويت الورقة فى صمت ودسستها فى جيبى !

♦ وبعد قليل جاء رسول من طرف « شندرالال » لا تخطئ العين فيه سمة الصديق ، صدق العبارة وصدق الاحساس ، يحمل الى صاحبتة رسالة يرجوها فيها أن تكف عن دعوته اليها ، فان الخطر كبير ، ولكن حبه لها أكبر وأقوى .. فلو انها واضلت الطلب والدعوة للباها ، وليكن بعد ذلك ما يكون ! .. ولكنه يسألها باسم حبهما ألا تفعل ، حتى تبقى على حبيبها .. وطفق يصف لها بعبارة مؤثرة كيف قضى ليلته على الشاطئ المواجه لمقامها ، وهو مضطرب كالمحموم ، لا يدري ماذا يفعل وهو

يرى أمام ناظره أنوار تونون - حيث تقيم هي - على قيد البصر
منه .. دون أن يستطيع بلوغها ! .. وختم رسالته قائلا أنه
لم يشعر في حياته بالعجز والقهر كما شعر بهما في تلك الساعة!
واستجمعت كل شجاعتى ومرونة أعصابى ورباطة جأشى
- وكنت فى أشد الحاجة إليها جميعا - وذهبت الى حجرة جوليا،
فواجهتها - وأنا أصطنع الهدوء - بخطابها الذى كلفت النوتى
بحمله الى صاحبها ، فحمله بدلا من ذلك الى .. فلم تكد المسكينة
تراه فى يدي حتى خلتها تكاد تصعق جزعا ولوعة .. ثم انفجرت
باكية !

وعندما طلبت إليها - بعد أن هدأت نوبتها - أن تستجمع
حواسها لكتابة رسالة أخرى الى حبيبها ، أبت على ذلك اباء
شديدا ، عجزت عن أن أثنيها عنه .. ولم يجد معها التوعد
بإعادتها الى سجنها البغيض ، فلم أجد بدا من استدعاء الجند
وتكبييلها بالاغلال فى خشونة بالغة ، ودفعها أمامهم فى فظاظة
الى الباب، حتى بدأت تحس بجو السجن احساسا واقعيا ملموسا
.. وعندئذ فقط رضخت لارادتي فكتبت الخطاب، ودمعها يهطل
فيلطخ الورق ويختلط بالحبر ! ..

قالت له فى خطابها - أو بالاحرى قلت أنا وأنا أمليتها اياه،
بين فترات من نشيجها المكتوم : « ما كنت أحسب اننى أحبيت
جيانا وعديدا لا يقيم وزنا للعهود والمواثيق ، ولكن لو انك كنت
تحبني كما تزعم لما استطعت أن ترفض الحضور الى بالغاما بلغ
حرصك على الحياة وتوجسك من الاوهام ! .. فعد يا صاحبي الى
برلين، فهى آمن لك، ودعنى أنا أذهب الى باريس حيث ينتظرني
على أحر من الجمر رجل موسر كان قد عرض على أسخى العروض
فرفضتها - وما أحمقنى - من أجل رجل خائر من طرازك ! ..
ولتعلم اننى أبرقت الساعة اليه ، وسأوافيه متى جاءنى رده ..
وختاما فاني لست ألومك يا صاحبي ، فالحب طلبتى لا الصدقة ،

ولعلك أدركت الآن أنه لم يعد من الخير أن أضيع من حياتي في انتظارك أكثر مما ضيعت ! »

وجاءني الرسول برد من صاحبنا على هذا الخطاب، ولكنني أعدته به دون أن أفضيه، موصيا إياه بأن يقول للرجل أن السيدة أبت أن تتسلم خطابها، وأنه لا جدوى من إرساله بكتاب آخر إليها، لأنها تجزم حقائبها استعدادا للرحيل !

عندما يتخاذل الرجال !

♦ وفعلت هذه الحيلة فعلها، فسعى الرجل الى حتفه بقدميه ! .. وقبض عليه وهو يهيم بالنزول الى الشاطئ الفرنسي، فأودع حجرة في بناء الجمر ك ريثما أحضر .. لكنه غافل الجاهل وهو يتظاهر بخلع معطفه وشرب البسم من انبوبة صغيرة كان يحملها معه، فقضى لتوه قبيل وصولي !

هل ساورني الالم لمصرعه ؟ لا شك في هذا ! .. فقد كان عسيرا على نفسي أن تتقبل بالارتياح اعدام وطني مناضل ذكي مثله جدير بكل تقدير ..

وعدت الى جوليا - ادارى خجلي من نفسي ومنها - لاهيبي لها أسباب الرحيل الى اسبانيا، ثمنا لخدماتها ! .. فوجدتها جالسة الى المرأة، تتزين .. وابتدرتني بقولها :

- ما بالك شاحب الوجه ؟

- انه ... مات !

- ها ! لقد تجرع السم اذن ! .. لقد أفلت منكم .. ألم

أقل لكم مرارا انكم لن تنالوه ؟

- ولكن، من أخبرك بقصة السم ؟

فقلت في زهو :

- لقد كنت أعلم انه يحمله معه علي الدوام، استعدادا

لمثل هذا الموقف !

وكانت هادئة تمام الهدوء ، حتى كأنها ليست المرأة
الهستيرية التي هدمت أعصابي طوال الأسبوع الأخير !!
فسألتها عما اذا كانت تبغى رؤيته، فقالت بصوت متزن النبرات:
- لا .. ولماذا أراه ؟

قلب المرأة !!

♦ وأخذت تحزم حقائبها ، وفيما هي مشغولة بذلك توقفت
فجأة ونظرت الى ، فقلت لها :
- ماذا ؟

- أريد أن أسألك معروفا ، فان لك قلبا غطوفا تحت هذه
الغشاوة من الجمود ..

- سلى ما تشائين ، وثقى اننى أقضيه ما دام فى
استطاعتى ..

- ماذا ستصنعون بما وجدتم معه من أشياء ؟

- لا أدرى .. لماذا ؟

فنظرت الى نظرة ضراعة وتوسل ، وقالت :

- الساعة ...

- أية ساعة ؟

- الساعة التى يحملها ، اننى أنا التى أهديتها اليه فى
عيد الميلاد المنصرم .. وقد كلفتني كثيرا ، اثنى عشر جنيها ،
فهل من المستطاع أن أستردها لبيعها ؟

فأعطيتها اياها ، وفى قلبى غصة .. لان تلك الجذوة
من العاطفة العلوية قد انتهت الى الاهتمام بالتافه الزهيد من
عروض الحياة ...
ولكنها الحياة !!

عزيزى القارىء ...

ان المتصفح لدوسيهات المحاكم
وسجلات القضايا والمحاكم الجنائية ،
يجد فيها من القصص والصور النفسية ،
والماسى أو المهازل الانسانية ، ما يفوق
فى روعته اعظم ما تتفق عنه قرائح
الروائيين والمؤلفين .. وستجد فى هذا
الباب فى الاعداد التالية بهيئة الله ،
مجموعة شائقة متنوعة من هذه المحاكمات
الجنائية التى جرت وقائعها فى مختلف
بلاد الغرب والشرق ، والتى كانت
المحاكم فيها مسرحا هائلا مثلت عليه
قصص تزدى بالتى تمثل على خشبات
المسرح فى دور اللهو .. ومعرضا
مفجعا لنزوات النفس البشرية فى كل
زمان ومكان !

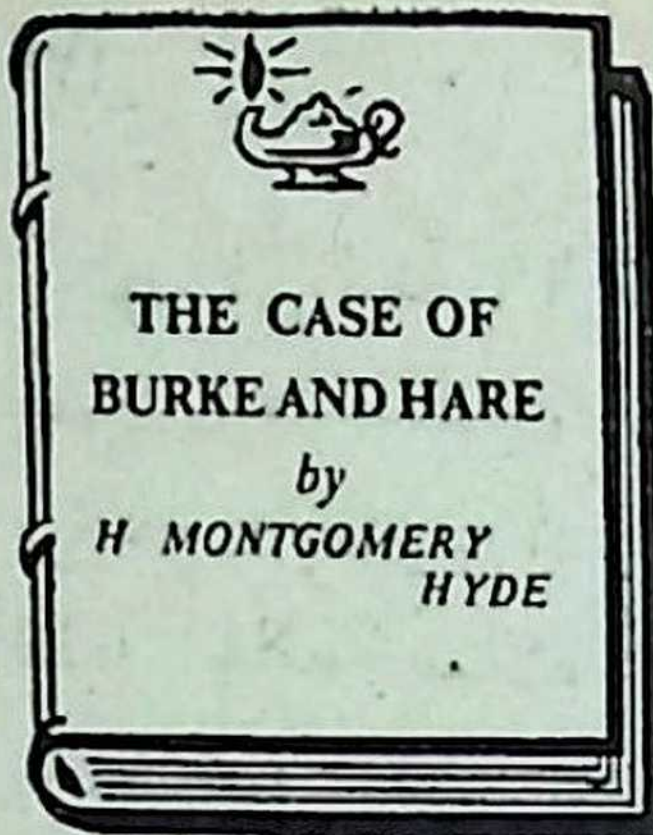
وقد قدمت لك فى كتابى السابق
قصة محاكمة ملكة الجمال الباريسية
(جورجيت هودو) ، وهى المحاكمة التى
تمثل قصة الصراع الاذلى بين العشيقات
والزوجات ، عندما ينتهى بالعشيقة
المهجورة الى ارتكاب الجريمة ، انتقاما من
العشيق الذى تزوج ! .. وهى كماً تعام
مشكلة متغلغلة فى كل مجتمع ، وكل
بلد ، تنخر كالسوس فى بنيان الهناء
العائلى لكثير من الاسر والبيوت .

.. واليوم اقدم لك فيما يلى محاكمة
من نوع آخر ، كشفت عن مشكلة خطيرة
هددت أمن الافراد زمنا حتى اضطرت
الدولة الى معالجتها بتغيير نص هام من
نصوص القانون .. كما سترى

الجريمة .. والعقاب



المحاكمات الكبرى فى الماضى والحاضر



جیسے لایسے !

القضية الجنائية التي أهدت انقلاباً في القانون !

للمحقق الإنجليزي مونتجمرى هايد



♦ في ليلة ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٢٧ شوهد رجلان غريبان يسيران متصلصين في اتجاه بناء كلية الطب بجهة « ساوث بريدج » بمدينة أدنبرة ٠٠ واذا صادفا في الطريق طالبا من طلبة الجامعة سألاه عن مقر الدكتور « مونرو » أستاذ التشريح بالكلية ٠٠ لكن المصادفة شاءت أن يكون الطالب المذكور من تلاميذ أستاذ آخر للتشريح يدرس العلم نفسه بكلية الجراحين القريبة ، هو دكتور « نو كس » ٠٠ فأشار عليهما صاحبنا بالتوجه الى الأخير في مقره بميدان « سارجان » رقم ١٠ ٠٠ فاستدار الرجلان ومضيا في الاتجاه الذي أرشدهما اليه ٠٠

و حين وصلا الى مقر الدكتور نو كس استقبلهما ثلاثة من مساعدي الجراح الكبير كانوا يؤدون نوبة عملهم الليلي في مؤسسته ٠٠ وبعد حديث تمهيدي يشوبه التحفظ ، أفصح الرجلان عن نيتهما ، قائلين ان عندهما جثة يملكان التصرف فيها ٠٠! فقد سمعا ان الحصول على جثث لاسـتخدامها في الدراسة والتشريح أمر متعذر ، وان الثمن الذي يدفعه الراغبون في الحصول على جثة لهذا الغرض يبلغ أحيانا عشرة جنيهات ! وتم الاتفاق على الصفقة في الحال ٠٠ وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة ذاتها سلمت « البضاعة » داخل جوال ٠٠! وبعد أن تولى الجراح الكبير فحصها بنفسه دفع مقابلا لها مبلغ سبعة جنيهات وعشرة شلنات ٠٠ وقبيل انصراف البائعين أعرب لهما المساعدون الثلاثة عن ترحيبهما بالتعامل معهما كلما حصلوا على جثة جديدة ٠٠!

محاكمة أحدثت دويا ٠٠!

♦ ولو تتبعنا حياة المساعدين الثلاثة الشبان في الاعوام

التالية لرأيناهم ينبغون فى الجراحة ويتسلقون سلم الشهرة والمجد ، فيعرفون بأسماء : سير وليم فرجسون ، وتوماس هوارتون جونز ، وألكسندر ميللر ! ٠٠ أما أستاذهم دكتور روبرت نوكس ، الذى كان قد نبغ فى سن مبكرة - لم تك تتجاوز يومئذ السادسة والثلاثين - فان ذلك الحادث جلب عليه الكثير من المتاعب والنتائج السيئة ٠٠

وأما بئعا الجثة ، وكان أحدهما يدعى «بيرك» والآخر «هير» ، فقد قفز اسماهما فجأة الى الصفحات الاولى من صحف انجلترا بأسرها ، يوم قدما الى المحاكمة فانكشف من جرائمهما البشعة ما شغل الاذهان فترة طويلة ، وجعل محاكمتها أشهر محاكمة فى تاريخ القضاء الاسكتلندى على الاطلاق ! ٠٠

بل ان تلك المحاكمة كانت السبب المباشر فى تعديل احدى مواد قانون العقوبات الانجليزى - كما سيجىء ! ٠٠ ثم فى ادخال لفظ جديد على قاموس اللغة الانجليزية ، هو لفظ To Burke - نسبة الى اسم المتهم الاول - وقد صار معناه فى اللغة اليوم : «يقتل خنقا ٠٠ أويزهق الانفاس» !

ماضى المتهمين ٠٠

◆ كان «وليم بيرك» و «وليم هير» ايرلنديان نزحا الى اسكتلندة قبل ذلك التاريخ بسنوات كى يشتغلا «عاملين» فى انشاء قناة «يونيون» ٠٠ وكان كلاهما فى سن الخامسة والثلاثين ، ذا خلق وضيع ، ومكر ، وقسوة ، ولوان «بيرك» كان أكفا من زميله وأذكى ، وأفصح منطقا ولسانا ٠٠ بينما كان هير أقوى فى الجسم وأقسى قلبا وأكثر توحشا ! ٠٠

وكانا يعيشان سويا فى «بنسيون» متواضع تملكه زوجة ثانيهما «مسز هير» ، وتتولى ادارته خلية الاول ، وهى امرأة ذات سيرة مربية تدعى مسز هيلين ماكدوجال . . .
وقد حدث فى اليوم السابق لزيارة الرجلين لاسـتـاذ التشريح ، أن توفى شخص من قاطنى البنسيون يدعى «دونالد» ، كان مجندا متقاعدا من مجندى الجيش القدامى . . . وقد اعتلت صحته شيئا فشيئا ، حتى عجل بخاتمته أمران كانا مألوفين فى ذلك الوسط والذى اللذين يعيش فيهما ، هما ادمان الخمر ، والاهمال . . .

وحين أدركت الرجل منيته ، كان مستحقا عليه أجر اقامته فى البنسيون - وقدره أربعة جنيهات . . . ومن هنا ومضت فى ذهن «هير» تلك الفكرة الجهنمية : فكرة أن يتقاضى دينه هذا من جثة الميت ، ببيعها الى طبيب من المشـتـغلين بالتشريح . . . وكان صاحبنا يعلم عن يقين ان أولئك الجراحين كثيرا ما يحصلون على حاجتهم من تلك الجثث من اللصوص وحفارى القبور الذين يكسبون معاشهم من نبش المقابر وبيع جثث الموتى أو حليهم وأسنانهم الذهبية . . . الخ

◆ وكانت الخطوة الاولى التى خطاها «هير» فى هذا السبيل أنه كاشف بسره هذا زميله «بيرك» القاطن معه فى بنسيونه ، فلما استوثق من استعداده لمشاركته فى مشروعه مضى الاثنان فحصلا من مدبغة قريبة على كمية من الجلود ولحاء الشجر وكتان أشرعة المراكب ، ثم عادا الى الحانة - أو البنسيون - ففتحا نعش الميت ، الذى كان حانوتى الضاحية قد أغلقه وثبته بالمسامير . . . فأخرجوا منه الجثة ووضعوا مكانها كمية من تلك

الجلود والكتان تعادل وزنها ، كى لا يكتشف الحانوتى الامر ..
ثم خرجا متلصصين يبحثان عن جراح يشتري منهما الجثة ..
الشركة الجهنمية !

◆ فى تلك الايام لم يكن لدى الجراحين وأساتذة التشريح مورد «رسمى» يحصلون منه على الجثث اللازمة لابحاثهم غير مايتاح لهم بين الحين والحين من الاستئثار بجثة منتحر ، أو طفل لقيط ، أو يتيم مات فى اصلاحية الاحداث ، أو مجرم مات فى السجن فصرحت لهم الدولة بالتصرف فى جثته ! .. وفيما عدا هذه المصادفات النادرة كان القانون يحرم على أى انسان أن يتصرف حتى فى جثث أفراد أسرته لهذا الغرض .. ومن هنا راجت - فى القرن الثامن عشر - تجارة نابشى القبور .. حتى بلغت ذروتها فى أوائل القرن التاسع عشر .. لكن توريد الجثث للطباء عن هذا الطريق عاد فتضاءل قبيل اشغال «بيرك» و «هير» به بفترة وجيزة ، ويرجع تضاوله لسببين : أولهما شيوع عادة دفن الموتى فى نعوش حديدية محكمة ... والسبب الثانى لجوء أفراد الطبقات الموسرة الى تشديد الحراسة على مقابر موتاهم ! ..

فلما مات ذلك المجند المتقاعد ، فى بنسيون «هير» ، وأفلح الاخير فى بيع جثته مقابل سبعة جنيهات ، بدأ المذكور يتحين الفرص لتكرار تلك الصفقة التى تدر عليه المال بهذا السخاء وهذه السهولة ! .. فوضع مع زميله « بيرك » خطة للاثراء من بيع الجثث ، ولكن بطريقة أبسط خطرا من نبش المقابر .. وفى الوقت نفسه أكثر «نشاطا» من الانتظار حتى تسوق لهما المصادفة نزيلا بموت فى حانتها « ميتة طبيعية » ! ..

وهكذا أسس الزميلان تلك الشركة الجهنمية !

منجم للذهب !

◆ وقد حانت فرصتهما الاولى فى أحد أيام ربيع سنة ١٨٢٨ ، يوم مرض بالحمى نزيل من نزلاء البنسيون ، وكان «طحانا» يدعى جوزيف ، فخشى «هير» أن يؤثر ذلك فى اقبال النزلاء الآخرين على الاقامة فى البنسيون . فمضى مع شريكه «بيرك» الى فراش النزيل المريض ، الذى كانت الحمى قد أضعفته بطبيعة الحال عن ابداء أية مقاومة جدية ، فوضع الشريان وسادة على وجهه ، ولبتا يضغطانها عليه حتى مات التعس مختنقا !..

وأخذت الجثة طريقها المرسوم الى عيادة الجراح الكبير الذى دفع فيها هذه المرة عشرة جنيهات كاملة ، فقد كانت فى حالة جيدة ، ماتزال ساخنة بآثار الحياة !

وأقنعت «السهولة» التى تم بها الامر كله صاحبيننا «هير» و «بيرك» بأنهما قد اكتشفا المنجم الذهبى الذى سوف يدر عليهما المال الوفير ..

وقد بدا فى الشهور الاولى أنهما كانا على حق فى هذا الاعتقاد .. فخلال العام التالى ارتكب الاثمان لأقل من خمس عشرة جريمة من هذا القبيل .. أخذت جثث ضحاياها جميعا طريقها الى مشرحة الدكتور نوكس .. قبل أن يكتشف السر الرهيب !

وكانت الخطة التى ألف المجرمان اتباعها للتخلص من ضحاياهم - الذين كانوا ينتمون عادة الى أفقر الطبقات ، التى

من مستوى ذلك البنسيون - انهما كانا يفران ضحيتها
بالافراط في شرب الخمر ، حتى يشمل ، وعندئذ يخنقانه
بسهولة لا يبدو معها على جثته أى أثر لاستعمال العنف !

♦ وكان بعض أولئك الضحايا على درجة من الفاقة تشير
الاشمجان حقا ، ومنهم خادمة تدعى « مسز هوسلر » ماتت وهى
قابضة بشدة على أجر يومها المتواضع ، وقدره تسعة بنسات
ونصف بنس ، بحيث عجز القاتلان عن انتزاعه من قبضتها
حتى بعد موتها !

الجمال القليل .. على المشرحة !

♦ وقد ثبت من التحقيق ان القاتلين كانا يجيبان على أى
سؤال مخرج يوجهه اليهما الجراح أو مساعده بشأن مصدر
الجثث التى يوردانها اليهم ، زاعمين أنهما يشتريانها من أقارب
المتوفين أو أصدقائهم .. وقد وجه المسئولون فيما بعد انتقادا
شديدا الى دكتور نو كس ، لعدم تحريره صحة ذلك الزعم بمزيد
من الدقة .. لكن الانصاف يقتضى المحقق أن يبرئه من تهمة
الاهمال فى هذا الصدد ، فان أقوال المجرمين كانت بادية
الصدق فى الواقع .. من قبيل ذلك أن المجرمين باعا الى الطبيب
يوما جثة فتاة من بنات الهوى تدعى ماري باترسون ، كان جمالها
الرائع حديث المدينة بأسرها فى ذلك الحين .. فشأت
المصادفة أن يتعرف على شخصية الفتاة طالب من الحاضرين كان
قد قضى معها ليلة قبل « وفاتها » بأيام ! .. فسأل الرجلين عن
مصدر حصولهما على الجثة ، فأجابه برك بأنه قد اشتراها من
عجوز شمطاء عثرت عليها فى إحدى الحانات بعد أن قتلها

الافراط في الخمر ! .. ونظرا
لان رائحة الخمر كانت تفوح
من الجثة ، فقد صدق القوم
رواية الرجل ! ..



ووجد فيها الطبيب الكبير
نموذجا نادرا للجسم الانثوى
المتناسب التكوين ، فأغرق
الجثة بالمحاليل التي تمنع تعفنها،
ثم عرضها على طلبته في قاعة
التشريح الكبرى ، حيث تكأ كآ
الطلاب حول المنضدة التي رقدت
عليها .. بل لقد أقبل على
الكلية الكثيرون من رجال الفن، ليدرسوا نموذجا من نماذج الجمال
جدير بأن يسجله مثال من مثالي الاغريق مثل « فيدياس » ! ..
وبالفعل بلغ من اعجاب طالب من هواة الفن بجسم الفتاة أنه
رسم لها لوحة رائعة ماتزال معروضة في أحد المتاحف الى
اليوم ! ..

« الكبوة » التي أوقعت بالقاتلين !

♦ وكانت الهفوة التي أدت الى افتضاح المجرمين ، مأدبة
شراب ساهرة أقامها ذات ليلة ودعيا اليها الجيران ، ومعهم
امرأة غريبة شمطاء كن برك قد صادفها أثناء النهار في حانة
قريبة حين دخلت تسأل صدقة .. وعلم منها صاحبنا أنها
تدعى « دوهرتى » ، وانها قادمة من ايرلنده ، فأجابها من فوره
بأن من غرائب المصادفات أن أمه كانت تحمل نفس الاسم ،

وتنحدر من نفس البلد ، واذن فلا بد ان هناك صلة قرابة بعيدة بين أسرتيهما ! .. وبعد ثرثرة طويلة افلح برك في اقناع العجوز بأن تصحبه الى «المسكن المفجع» الذى يقطنه .. وهناك رحبت بها كل من مسز «هير» ومسز ماكدوجال - خليـلة برك - أيما ترحيب ، ثم دعيت الضيفة الى حضور المأدبة التى يعدها القوم .. بينما خرج برك يبحث عن «شريكه» حتى وجده فى احدى الحانات ، فبشره بأن فى البيت «صفقة طيبة للطبيب !»

وبدأت السهرة فى حجرة برك .. وكان بين الحاضرين ، عدا قاطنى البنسيون ، اثنتان من الجيران هما مسز لو ومسز كونواى ، ومجنـد قديم يدعى جراى وزوجته ، وكانا يقطنان فى المنزل لكنهما انتقلا منه فى تلك الليلة فقط كى يتركا مكانا للضيـفة الشمطاء .. وسرعان ما انهمك الحاضرون فى الغناء والرقص والشراب .. حتى العجوز قد رقصت حافية القدمين ! وقرب منتصف الليل انصرف الجيران الى بيوتهم ، وبعد فترة أخرى عاد جار آخر لم يدع الى المأدبة يدعى «ألستون» الى غرفته فى الطابق العلوى من المنزل .. فلم يلبث حتى خيل اليه أنه يسمع صوتا نسائيا فى الطابق الاسفل يهتف «النجدة !» ، ثم تلتـه شهقة كالتى تصدر من انسان تزهق أنفاسه .. فهرع الى الطريق لبحث عن شرطى ، ولكنه لم يصادف واحدا .. فعاد الى البيت حيث وجد الهدوء شاملا لا يوحى بوقوع شيء ! ..

وفى صباح اليوم التالى حضر جراى وزوجته ليتناولوا افطارهما فى البنسيون .. فلما لم يريا أثرا للضيـفة الشمطاء

سألا عنها .. فأجابت خليلة بترك قائلة فى لغة سوقية : ان المرأة قد تشاجرت مع بترك فطردها من البنسيون !..

جثة تحت السرير

◆ لكن شكوك مسز جراى لم تلبث أن ثارت ، حين مضت لتأخذ جوربا كانت قد تركته تحت حشية سريرها ، فنهاها بترك عن الدخول وأوصاها بالابتعاد عن الغرفة !.. لكنها انتهزت أول فرصة فعادت بعد ذلك خلصة الى الغرفة .. وكم كان ذعرها وذهولها حين رفعت طرف الحشية ففوجئت برؤية جثة الضيفة الشمطاء عارية تحتها !..

وللحال سارعت مسز جراى الى جمع حوائجها وتركت المنزل كى تبلغ الامر الى البوليس .. وفى الطريق التقت أولا بمسز ماكدوجال - خليلة « بترك » ، ثم بزوجة شريكه « هير » .. فحاولت كل منهما بدورها أن ترشوها بالمال كى لاتشى بمارأت للجهات المختصة !.. لكنها أصرت على عزمها وأفلجت فى الوصول الى مركز البوليس ، حيث سردت كل معلوماتها بأمانة !..

وفى هذه الاثناء كان الرجلان قد سلما طرد « البضاعة » فى مقر عميلهما الطبيب الكبير ، بعد أن أودعاه كالعادة داخل صندوق خشبى من صناديق الشاى .. وبعد عودتهما الى البنسيون بقليل دهم رجال البوليس المكان ، بصحبة وارشاد مسز جراى ، لكنهم لم يعثروا على أى أثر للجثة ، سواء تحت حشية السرير أو فى أى مكان آخر من البنسيون !.. ورغم أنهم حين فتشوا غرفة بترك وجدوا فيها بضع بقع من الدم على

فراشه ، فان خليلته فسرت وجود الدم تفسيراً بدا طبيعياً
ومعقولا ..

الى هنا كان مركز القاتلين سليماً لا غبار عليه .. لكن
الاقدار حين تشاء الايقاع بمجرم لاتعجز عن ايجاد الثغرة التي
تنفذ منها العدالة اليه .. فقد سئل برك متى رأى العجوز
لاخر مرة ؟ فأجاب بأنها قد تركت البنسيون في الساعة
السابعة «صباحاً» .. فلما وجه السؤال ذاته الى خليلته مسز
ماكدو جال قالت ان المرأة تركت البنسيون في الساعة السابعة
« مساء » .. !

وازاء هذا التناقض الواضح ألقى القبض على الاثنين ! ..
ثم قبض على هير وزوجته بعدهما بقليل .. واستطاع المحققون
أن يتوصلوا الى معلومات تثبت تردد المتهمين على مقر الجراح
الكبير ، فدهم البوليس المكان وعثر في مخزن المشرحة على
الصندوق الذى فيه جثة العجوز ، وكان مايزال مغلقاً ومربوطاً
بالحبال .. وعند فتحه استطاع الشهود أن يتعرفوا فى الجثة
على الضيفة التعسة مسز دوهرتى ! .. !

لكن الاطباء «الشرعيين» الذين فحصوا الجثة عجزوا عن
أن يتبينوا فيها «طبياً» أى أثر يثبت أن صاحبها ماتت ميتة
جنائية ! .. وزاد الاشكال تعقيداً ان المتهمين المقبوض عليهم
أنكروا أن ابصارهم وقعت على المرأة من قبل ، بحيث بات من
العسير اثبات التهمة عليهم أمام القضاء ! .. ومن هنا قرر ممثل
الاتهام - وكان يدعى سير وليم راى - أن السبيل الوحيد
لتدعيم الاتهام هو اقناع أحد المتهمين بأن يشهد ضد شركائه
فيستمتع بحصانة « شاهد الملك » !

◆ وبدأ الرجل بعجم عود الخليفة - مسز ماكدوجال - لكنها
أبت الادلاء بأية معلومات تخدم الاتهام .. فكرر محاولاته مع
زوجة الشريك «مسز هير» ، فلم تستجب بدورها لاغراء الشهادة
ضد زوجها .. وهكذا بات الامل فى نجاح المحاولة منحصرا
فى الرجلين : هير وبيرك ! .. ورجح المحقق أن يكون الثانى
هو بمثابة الرأس المدبرة لتلك السلسلة من الجرائم .. وعلى
هدى هذا الترجيح ركز همه فى محاولة استدراج الاول الى
الوشاية بزميله ، فنجح هذه المرة فى محاولته ! .. ونتيجة
لذلك ومكافأة للشريك على خيانة شريكه ، أعفيت زوجته أيضا
من المحاكمة !

المحاكمة

◆ وقد بدأت محاكمة المتهمين الآخرين - بيرك وخليته -
فى الساعة العاشرة من صبيحة ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٢٨
وتولى مهمة الدفاع عن بيرك المحامى الشهير «سير جيمس
مونكرىف» ، بينما وكل عن خليته مسز ماكدوجال محام
آخر لا يقل عنه مكانة هو سير هنرى كوكبورن .

وأغفلت دعوة الدكتور نوكس الى الادلاء بشهادته فى
القضية ، الامر الذى خيب آمال النظارة وال جماهير .. وعلل
اغفاله بأنه لم يكن حاضرا فى مستشفى وقت استلام حارس
الباب لجثة الشمطاء .. وقد شهد الحارس المذكور بأن الطبيب
قد طالما اشترى فى الماضى من بيرك وشريكه جثا لاشخاص
مختلفى الاوصاف والاعمار ..

وفى تلك الايام لم يكن مألوفاً أن تنفض جلسة المحاكمة قبل أن تفرغ المحكمة من القضية وتصدر حكمها فيها .. وهكذا استمر نظر هذه القضية طيلة الليل ، فسمعت أقوال ثمانية عشر شاهداً كان منهم بطبيعة الحال «شاهد الملك» ، أو الشريك الواشى ، «هير» ، الذى أدلى بكل ما طلب الاتهام منه أن يدلى به ! ..

وفى منتصف الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى - يوم عيد الميلاد - رفعت الجلسة للمداولة ، التى استمرت خمسين دقيقة ، عاد المحلفون بعدها الى مقاعدهم لينطقوا بالحكم : بادانة «بيرك» ، واخلاء سبيل خليلته مسز ماكدوجال «لعدم كفاية الادلة» !

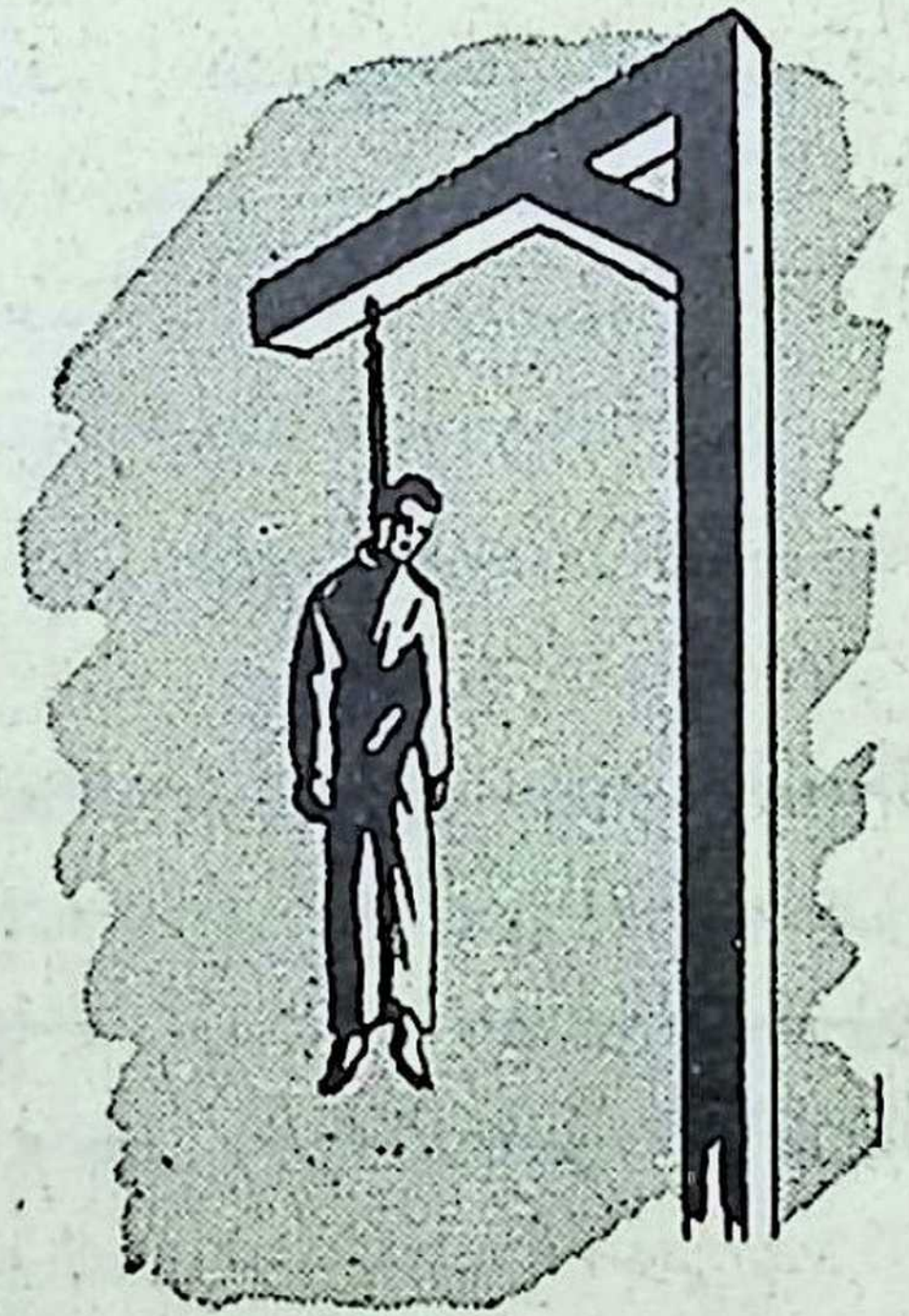
وبعد أن انتهى المحلفون الى تقرير ادانة بيرك ، بقى على رئيس المحكمة أن يحدد نوع ومدى الحكم بالادانة - كما يقضى نظام القضاء فى بلاد الغرب - فأصدر حكمه « باعدام المتهم شنقا » .. ثم تسليم جثته لاحد أساتذة التشريح كى يجرى عليها تجاربه فيوقع بها المصير الرهيب الذى ألحقه صاحبها بضحاياه !

.. ثم أضاف القاضى مخاطباً المتهم : «وأعتقد أنه اذا استلزمت الظروف فى بعض الاحيان الاحتفاظ بالهيكل العظمى لجثة ما ، فان هيكلك العظمى سوف يحفظ ، كى تظل الاجيال القادمة تذكر على الدوام جرائمك البشعة ! »

تنفيذ الاعدام .. أمام الجماهير !

◆ وادّ قضى الامر ، وتقرر مصير المتهم نهائياً فأودع زنزانه المحكوم عليهم بالموت .. لم يبق مبرر لامعان الاثيم فى الانكار ،

فأدلى آخر الامر باعتراف مفصل
بجميع الجرائم التي اشترك
فيها ! ..



وفي الساعة الثامنة من
صبيحة ٢٨ يناير سنة ١٨٢٩
نفذ في « بيرك » حكم الاعدام
شنقا ، في ميدان سوق « لون
ماركت » ، أمام جمهور من النظارة
قدر عدده بخمسة وعشرين
ألفا ، ظلوا يتصايحون بالجلاد
وهو يصلح الجبل حول

رقبة المحكوم عليه : « اخنقه ! .. اخنقه ! .. » ثم تلت ذلك
صيحات تطالب برأس شريكه الواشي « هير » ، بل ورأس أستاذ
التشريح « الدكتور نوكس » نفسه ! ..

وبمرور الايام وجدت جثة « وليم بيرك » طريقها الى مائدة
التشريح ، حيث بدى بفحص عقله أولا ، فاذا هو « ناعم
جدا ! » على حد تعبير الطبيب الشرعى ! .. ثم نفذت تعليمات
رئيس المحكمة بشأن الاحتفاظ بهيكله العظمى ، بحيث يعتز
اليوم متحف التشريح بجامعة أدنبرة بهيكل « وليم بيرك » ،
باعتباره من أهم الهياكل العظمية التي تدرس بعناية ، سواء
من جانب الاساتذة والطلاب ! ..

المحاكمة التي أحدثت انقلابا في القانون !

♦ وكانت للمحاكمة آثار كثيرة متعددة : فان دكتور

«نوكس» - الذى بات موضع حملات عدوانية متصلة سواء على صفحات الصحف ، أو على شخصه حضوريا - لم يلبث أن اضطر للمهاجرة الى لندن ، حيث تضاءلت أرباحه شيئا فشيئا وأفل نجمه ٠٠ !

وأما «هير» - الذى كنز قد أطلق سراحه ، ثمنا لشهادته ضد زميله - فانه قد فر بدوره الى انجلترا ٠٠ وفيما هو منطلق بعربة البريد نحو هدفه تعرفت عليه الجماهير الغاضبة ، منادية بقتله خنقا مثل شريكه ٠٠ ! فلم ينج من الهلاك الا فى آخر لحظة ، وبشق النفس ٠٠ ! لكنه لم ينج من مصير أفجع من الموت ، فقد ألقى فى حفرة من الجير أفقدته بصره ٠٠ ! وهكذا لم تمض سنوات حتى صار يرى فى شوارع لندن شيخ مسن أعمى يسأل الناس الصدقات ، وكانت الاصابع فى كل مكان تشير اليه باعتباره شريك « بيرك » الواشى الوضيع ٠٠

◆ على أن أهم نتيجة للمحاكمة على الإطلاق ، كانت اقرار البرلمان الانجليزى فى سنة ١٨٣٢ لقانون التشريح الجديد ، الذى بات يجيز لاقرباء الميت - أو فى حالة غيابهم : للسلطات المحلية - أن تسمح بإرسال جثته الى إحدى كليات الطب ، بحيث يمكن استخدامها - قبل دفنها - فى دراسة علم التشريح وفنونه ، وممارسة الجراحات ٠٠ الخ

وبسبب صدور هذا القانون لم تتكرر جرائم «بيرك» و «هير» الشاذة فى انجلترا منذ ذلك التاريخ ٠٠ ولا ينتظر أن تتكرر !

عزيزى القارىء . . .

فى كتابى الاول قدمت لك فى هذا الباب قصة ستيفان زفايج الخالدة « اموك » او (غرام تحت سماء الشفق) . . وفى كتابى الثانى قدمت لك قصة « جون جالزورثى » الخالدة (شجرة التفاح) - او (قلب عذراء)

واليوم اقدم لك من قصص القرن الماضى : (مرتفعات وذرنج) ، التى خلدت اسم مؤلفتها اميلى برونتى . وفى الاعداد التالية ستقرأ فى هذا

الباب من كتابى بعون الله اروع ما كتب اساطين القصة العالمية المعاصرين ، امثال : بورجيه ، كوليت ، زفايج ، موم ، لورنس ، جراهام جرين ، دافنى دى هوربيه ، ه . ج . ويلز ، بيرل بك ، همنجواى ، توماس مان . . الخ

اما من القصص (الكلاسيكية) الخالدة التى طالما سمعت عنها دون ان تتاح لك فرصة قراءتها فسوف اقدم لك مجموعة منتقاة متنوعة منها : جين اير (شارلوت برونتى) قصة مدينتين ، دافيد كوبر فيلد ، اوليفر تويست (تشارلس ديكنز) ايفانهو (والتر سكوت) صورة دوريان جراى (اوسكار وايلد) سافو الفونس دوديه (البؤساء ، احب نونردام (فيكتور هوجو) غادة الكيميليا (ديماس) مانون ليسكو (بريفو) مدام بوفاى (فلوير) نانا (زولا) تاييس (اناتول فرانس) الجريمة والعقاب ، اخوة كارامازوف (داستوفسكى) الحرب والسلام ، انا كارنينا ، البعث ، انشودة كرويتز (تولستوى) . . الخ

الحياة قصص



روائع القصص العالمى

امیلی برونتی

مرغوبت و فریاد

WUTHERING
HEIGHTS
by
EMILY BRONTË



المؤلفة

القصة الخالدة التي تقرأها على هذه الصفحات ، والتي تحتل منذ أكثر من قرن مكانة ممتازة بين القصص العالمية الباقية على الزمن .. من الشواهد الماثورة على أن المرأة تستطيع أن تكون .. عبقرية !

ولدت (اميلي جين برونتي) يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨١٨ في - ثورنتون - باقليم يوركشاير .. بعد عامين من مولد شقيقتها شارلوت مؤلفة قصة (جين آير) التي ستقرأها باذن الله في عدد قريب من كتابي ... وقد تلقت اميلي علومها في مدرسة (كوان) ثم في مدارس بروكسل ببلجيكا .. وعملت فترة من الوقت مربية خاصة عند الاسر الكبيرة ، لكنها كانت تحن دائما الى



العودة الى موطنها الاصلي في احراراش وغابات يوركشاير - حيث اختارت ان تجري حوادث قصتها هذه - فعادت اخر الامر اليها لتشتغل مديرة منزل راعى كنيسة (هاورث)، بينما اشتغلت شقيقتها بالتدريس في المدرسة التابعة لتلك الكنيسة .

وقد نشأت اميلي ، واختاها آن وشارلوت ، في جو (مفلق) شديد التحفظ - فقد كان والدهن قسيسا - فلم يجدن منفذا لخيالهن الحاد غير التحليق في عالم الشعر والادب والقصص .. فمارسن - على الورق - شتى العواطف الحارة التي حرمن من ممارستها في الحياة !

وقد نبغت (اميلي) بصفة خاصة في الشعر ، فنظمت عددا من القصائد الرائعة، منها «الذكرى» و«السطور الاخيرة» .. ثم ادلت بداوها في ميدان القصة ، فكتبت قصتها هذه - الاولى والاخيرة - فذا هي تتفوق فيها على جميع قصص اختيها ، اللتين طرقتا هذا الباب قبلها بسنوات

لكن اميلي لم تستمتع بالمجد الادبي الذي استحقته .. فبعد عام واحد من نشرها (مرتفعات وذرنج) ، اشتدت عليها وطأة داء الصدر - الذي قتل الشقيقات الثلاث جميعا ! - فماتت في التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٨٤٨ .. غير متجاوزة الثلاثين من عمرها

ماتت وهي تجهل مدى الشهرة والخلود اللذين سيظفر بهما اسمها على مر الاجيال بفضل قصتها «اليتيمة» : (مرتفعات وذرنج)

- ١ -

لم يكد يستقر بى المقام فى مسكنى الريفى الجديد بجهة
« تراشكروس جرانج » - من أحراش اقليم يوركشاير - حتى
اعتزمت أن أبدد وحشة انزوائى فى تلك البقعة الجميلة المنعزلة
عن كل مجتمع ، بالتعرف الى « جارى » الوحيد ، ومالك مسكنى
فى الوقت ذاته ، وكان يقيم فى قصره العتيق المعروف باسم
« مرتفعات وذرنج » ، الواقع فوق ربوة مرتفعة مكشوفة للرياح
الصرصر العاتية التى تهب عليها من الجهات الاربع ..

وهكذا امتطيت ذات يوم جوادى وانطلقت به صوب
القصر ، وأنا أمنى نفسى بهذا الصديق الجديد الذى سوف
يقاسمنى وحدتى فى هذا الريف الساحر ، هذه الجنة المثالية
لمحبى العزلة وعشاق الخلوة بالنفس ، بعيدا عن ضجيج البشر
ونفاق المجتمع ! ..

واذ دنوت من « بوابة » المزرعة الصغيرة المحيطة بالقصر ،
أرخيت لجوادى العنان وقد لمحت وراءها رجلا طويل القامة ،
أسمر البشرة ، ذا حاجبين غزيرين ومظهر نفور .. فانه لم يكد
يزانى مقبلا نحوه حتى رمقنى من عينيه السوداوين بنظرة
ارتياب ، أحسست معها بشئ خفى يجذب قلبى الى الرجل ..
فقلت أستوثق من شخصيته وأنا أترجل من جوادى :

- مستر هيثكليف ؟

لكنه لم يجبنى بغير هزة من رأسه تفيد معنى الموافقة ..
فاستطردت أعرفه بنفسى :

- أنا « لوكوود » ، المستأجر الجديد لبيتك الريفى فى
« تراشكروس جرانج » ..

- تفضل ..

لكنه نطق بالدعوة مغمغما من بين أسنانه ، فى لهجة توحى بأنه يقول فى أعماقه « فلتذهب الى الشيطان ! » . ولم يمد يده ليفتح البوابة الا بعد أن كاد جوادى يدفعها ب صدره ، وقد نفذ صبره ! . . .

السيد النفور

♦ وأثار فضولى هذا الرجل الذى بدا مفرطا فى التحفظ والانطواء على النفس ، فسرت خلفه نحو مدخل البيت حيث نادى أحد الخدم قائلا : « جوزيف . . خذ جواد مستر لوكوود ، واحضر لنا بعض النبيذ »

كان جوزيف خادما نحىلا طاعنا فى السن ، وان يكن محتفظا بصحته وقواه . . وقد غمغم متذمرا بصوت خافت وهو يتناول منى عنان جوادى : « فليكن الله فى عوننا ! » . ولم نكد نخطو الى الداخل خطوات حتى كنا فى حجرة جلوس العائلة ، وكانت تتصدر عتبتها كلبة ضخمة من كلاب الصيد ، لونها بنى يميل الى الاحمرار ، يحيط بها عدد من الكلاب الصغيرة الرضيعة تنبح بأصواتها الحادة الثاقبة . .

وجاءت الكلبة الكبيرة تتمسح فى ساقى مهممة ، فربت عليها ملاطفا . . لكنها قابلت حركتى الودية بزمجرة طويلة مخيفة ! . . فقال لى مستر هيثكليف وهو يطلق زمجرة مشابهة ، وقد زادها عنى بركلة من قدمه :

- يحسن أن تدع الكلبة هادئة . . انها لم تألف التدليل .

وفيما كان جوزيف يغمغم غمغمات غير مفهومة صادرة من قبو الخمر ، حيث كان ينتقى زجاجة من النبيذ المعتق ، دون أن تبدو عليه أية عجلة أو تأهب للصعود . . استبطأ سيده فهبط اليه ، تاركا اياى وجهها لوجه أمام الكلبة المستوحشة ، و « نصف دسته » من الكلاب الصغيرة التى ثارت ثائرة غضبها

فجأة فأخذت تهاجمني من كل ناحية .. حتى اضطرتني الى أن أصبح بصوت مرتفع ، طالبا النجدة ، وأنا أذودها عني بالعصا الحديدية التي تستعمل في تحريك الفحم في المدفأة ! .. وهنا خفت لانقاذي مديرة البيت المدعوة « زيلا » .. فلما صعد هيثكليف من القبر قال مستفسرا :

— ماذا حدث بحق الشيطان ؟

فغمغمت :

— ماذا حدث ؟ وماذا تنتظر أن يحدث وقد تركت شخصا

غريبا وسط قطيع من النمر ؟!

— ان الكلاب لا تتعرض للشخص الذي لا يتداخل فيما

لا يعنيه .. خذ كأسا من النبيذ .

.. وقبل أن أعود الى بيتي كنت قد اعتزمت — بدافع

الفضول — أن أعيد الكرة فأزور جاري الجديد النفور مرة

أخرى ، رغم ما بدا عليه من عدم ترحيب بزيارتي !

سيدة القصر !..

◆ وقمت بزيارتي الثانية لمرتفعات وذرنبج .. وكانت

الارض فوق ذلك المرتفع المكشوف شبه مغطاة بالضباب الاسود،

والهواء القارس ينفذ الى العظام ، فأحسست بكل أطرافى ترتعش

من البرودة ... ومع ذلك فاني ظللت أطرق الباب فترة طويلة،

حتى كلت يدي ونبحت كلاب الدار .. وأخيرا أطل جوزيف ،

ذو الوجه العابس الكريه ، من نافذة مستديرة في « شونة »

المزرعة .. وصاح بي :

— ماذا جئت تبغى ؟ لقد خرج سيدي ، ولا توجد في

البيت غير سيدتي ..

ثم انسحب المسن العابس من نافذة الشونة .. ولم يلبث

أن جاءني شاب لا يرتدى سترة ، وعلى كتفه مذراة القمح

الثقيلة .. فحياني مرحبا ورجاني أن أتبعه .. ثم قادني الى الجناح الذى استقبلت فيه فى المرة السابقة بعلامات التذمر والتأفف من سكان البيت جميعا : السيد ، والخادم ، والكلاب ! .. وهناك دعانى الى الجلوس قائلا فى جفاء ان سيده لن يلبث أن يحضر ..

كانت تجلس فى الحجرة امرأة شابة ، لم تكد تجاوز العشرين ، ترتدى السواد ، وتلوذ بالصمت المطبق ! .. وكانت نحيلة القوام ، ذات وجه فاتن - لعله أجمل وجه وقع بصرى عليه ! .. أما عيناها ، فلو كان التعبير الذى انطوتا عليه « وديا » لاعتبرتاهما ساحرتين .. لكن التعبير الوحيد الذى قرأته فيهما كان مزيجا من الاحتقار و .. اليأس !

أما الشاب الذى قادني الى الحجرة فقد وضع على كتفيه سترة رثة ، ووقف بجوار المدفأة يحدجنى بنظرة من أركان عينيه ، كما لو كان بيننا ثأر قديم !

وأنقذنى من هذا الموقف الحرج المعقد دخول هيثكليف .. وأثناء تناولنا الشاي عقب ذلك فهمت من الحديث أن المرأة هى أرملة ابن هيثكليف ، فعجبت لمسلك الأخير الجاف نحوها ولهجته الخشنة فى مخاطبتها ! .. كما علمت أن الشاب الريفى ، الخشن - الذى شاركنا الشاي - يدعى « هيرتون ايرنشو » .. ومن فورى تذكرت اننى قبل أن أعبر عتبة البيت قرأت الاسم بعينه محفورا على بابة الرئيسى ، والى جواره تاريخ « سنة ١٥٠٠ » .. فأدركت أن للقصر ولا بد قصة طويلة !

ليلة عاصفة ! ..

◆ وحين تهيأت للانصراف ، اكتشفت أن الجليد قد تساقط أثناء وجودى فى الداخل بغزارة جعلت عودتى الى بيتى عبر الاحراش فى عتمة الغسق أمرا متعذرا .. بل مستحيلا !

وهكذا صار حتما على أن أقضى الليلة في القصر ، فوق
كنبة عتيقة الطراز كانت تملأ تجويفا بارزا في إحدى غرف البيت
المهجورة .. وقد قادتني إليها مدبرة البيت (زيلا) .. سرا !

لكن الارق زاد النوم عن عيني أكثر الليل ، فحاولت أن
أحتال عليه بتصفح بضعة كتب وجدتتها متناثرة في أنحاء
الغرفة .. فإذا أنا أقرأ على بعضها اسم « كاترين ايرنشو » ..
ثم عثرت في أحدها على « يوميات » مكتوبة في هوامش
الصفحات ، بخط صبياني .. وقد جاء فيها : « ان (هندي)
شخص كريه .. سوف نتمرد أنا وهيثكليف قريبا .. ما كان
يخطر لي يوما ببال أن هندي سيبيكني هكذا كل حين ! ..
مسكين هيثكليف ! ان هندي يدعو « متشردا » ، وقد حرم
عليه أن يجلس معنا أو يتناول الطعام على مائدتنا بعد الآن ! .. »

وفيما أنا أتصفح تلك الكتب ، والعبارات المكتوبة على
هامشها ، حانت مني نظرة الى افريز النافذة ، فقرأت هذه
الاسماء محفورة على طلائه الملون : « كاترين ايرنشو .. كاترين
هيثكليف .. كاترين لنتون ! » ..

يد باردة .. في الظلام !

◆ ثم غلبني النوم ، فحلمت حلما مزعجا .. رأيت نفسي
نائما فوق الكنبه بعينها ، تحت النافذة ، والعاصفة تزار في
الخارج وتزمجر .. وغصن شجرة قريبة من أشجار الحديقة
يضرب - بفعل الريح - زجاج النافذة ضربات شديدة متكررة ..
فنهضت في حلمي لاكسر الغصن أو أبعده ، لكنني عجزت عن
فتح مقبض النافذة ، فحطمت زجاجها ومددت ذراعي لأمسك
الغصن .. لكن أصابعي انطبقت بدلا من الغصن على يد بشرية
رقيقة ، باردة كالثلج !

وحاولت أن أسحب يدي ، لكن تلك اليد تشبثت بها بقوة ، وسمعت صوتا يمشج باكيا : « دعني أدخل .. أنا كاثرين لنتون » .. ثم رأيت صورة غامضة أشبه بوجه طفل تطل على من خلال الزجاج .. فجعلت أفرك اليد المتشبثة بيدي في حافة الزجاج المكسور حتى سال دمها .. ومع ذلك ظلت على تشبثها بي .. وعندئذ صرخت !

وكانت الصرخة حقيقية ، أيقظتني من حلمي وبلغت مسامع مضيفي هيثكليف ، فأقبل على أثرها مسرعا .. ولم يكد بصره يقع على حتى أبدى دهشته وغضبه لوجودي . لكنه حين سمع قصة الحلم الذي تراءى لي تحول غضبه الى تأثر واندفع الى النافذة يهتف بصوت يفيض أسى وبلوعة : « كاتي .. تعالى ، تعالى ! »

وفي الصباح خرجت متجها نحو بيتي في « تراشكروس جرانج » وأنا أتنفس الصعداء لابتعادى عن القصر الكئيب « المسكون » .. وودعني مضيفي عند الباب وهو يرشدني الى أقصر طريق أسلكه لعبور ذلك المحيط الشاسع من الجليد المتراكم .. فلما بلغت بيتي كان التعب قد نال مني كل منال ، والبرد قد هرا عظامي وأصابني بقشعريرة وشبه حمى خفيفة ..

وفي ذلك المساء ، حين أويت الى فراشي ، وحملت الى مديرية المنزل « مسز نيللي دين » طعام العشاء .. سألتها أن تقص على ما تعرفه من قصة « مرتفعات وذرنج » وقاطنوها هيثكليف .. فروت لي القصة التالية :

- ٢ -

قالت محدثتي :

« قبل ان أجيء لالعيش هنا قضيت شطرا كبيرا من حياتي في قصر « مرتفعات وذرنج » ، الذي كان مملوكا وقتئذ لرجل من أسرة عريقة يدعى مستر « ايرنشو » الجد .. وكانت أمي هي المربية الخاصة لابنه « هندلي

ايرنشو» ، فنشأت مع هذا الصبي واخته «كاثرين ايرنشو» كاخت لهما ، أو واحدة من اسرتهم ، اشاركهما لهوهما وجدتهما ، العابهما ودروسهما .. وذات يوم ذهب أبوهما الى ايفربول ، لينجز بعض اعماله ، واعد اياهما بأن يحضر لهما منها عند عودته هدية لطيفة .. لكنه لم يحضر معه من المدينة الكبيرة غير صبي قدر أسمر البشرة ، أسود الشعر والعينين ، قال أنه عثر عليه شريداً فى الشوارع ، لا يعرف له ابا ولا اما ولا ماوى ، فاشفق عليه وأخذ على نفسه عهداً أن يربيه فى بيته مع أولاده ! ..

« وأطلق الرجل على الصبي اسم «هيثكليف» ، وأظهر نحوه عطفاً ورعاية كبيرين ، الامر الذى أثار حفيظة ابنه «هندلى» وغيرته من ذلك الدخيل الذى جاء ليشاركه عواطف أبيه ! .. فابغضه وصار يسىء معاملته فى كل مناسبة .. بعكس اخته «كاثرين» التى الفت صحبة الصبي وانست اليه ، فصارا صديقين .. وان لم يمنع ذلك من اشتياكهما معا أحيانا فى مشاجرات عابرة ، بسبب عنف طبيعة كليهما وحدة مشاعرهما ! .. وكنت أنا أعاون الخادم «جوزيف» فى العناية بشؤون الاثنين .

« وذات أمسية من شهر اكتوبر ، مات مستر ايرنشو ميتة هادئة وهو فى مقعده بجوار المدفأة ، فبات ابنه الشاب هندلى رب الاسرة ! .. واذا ذاك استغل سلطته فى صب كراهيته العمياء على رأس غريمه هيثكليف ما وسعه ذلك .. فطرد معلمه الخاص ، وهبط به الى مرتبة الخدم ، ولم يدع وسيلة لتحقيره وامتهانه الا انتهزها .. فشب هيثكليف يطوى قلبه على عاطفتين مدمرتين : حبه لكاثرين .. وبغضه لاختها هندلى !

« وزاد اضطهاد هندلى لهيثكليف من تعلق كاثرين به ، فصارا يتجولان سويا فى الاحراش القريبة ، ويقضيان اكثر وقتها معا .. فاثار ذلك ثائرة هندلى ، حتى عمد ذات مساء الى اغلاق باب القصر دونهما ومنعهما من الدخول ، فمضيا ليقتضيا ليلتهما فى العراء .. لكن كاثرين أصيبت بكسر فى راسها ، فاضطرت وصاحبها الى أن يطرقا باب جيرانهما «آل لنتون» ، الذين كانوا يقطنون دارهما القريبة المعروفة باسم «ثراشكروس جرانج» .. فاستضاف هؤلاء كاثرين ، لكنهم ابوا قبول مرافقها «الاسبانى الطريد» - كما اطلقوا على هيثكليف !

« وقضت كاثرين فى ضيافة اسرة لنتون خمسة اسابيع ، عولجت خلالها من كسرهما ، وتوطدت أواصر الصداقة بينها وبين ابنة الاسرة المدعوة «ايزابيلا»

وشقيقها ((ادجار)) - وكان فتى مدللاً ، تافها ، نكدا ، معتل الصحة ، اشفقت كاثرين عليه بحكم طبيعتها المرفهة ، فمنحته ودها .. وان بقيت عاطفتها نحو هيثكليف على قوتها وتواصلها ! ..

((على أن كاثرين اكتسبت خلال فترة اقامتها في ضيافة اسرة لنتون الكثير من عادات تلك الاسرة العريقة المترفة ، فلما عادت الى ((مرتفعات وذرنج)) بعد انقضاء تلك الاسبوع كانت قد صارت فتاة اخرى ، مكتملة النضج ، ريانة الحسن .. في الوقت الذي ازداد فيه هيثكليف انطواء على نفسه ، ووجوما ، وقد عذب روحه الثائرة احساسه بانه فتى خشن ناقص التهذيب ، لا يحمل اسما عريقا ، ولا يعتز بحسب او جاه مثل ((منافسه)) ادجار ، الذي يهدده في قلب فتاته كاثرين !

♦ ((في تلك الاثناء كان ((هنداي)) شقيق كاثرين ، قد تزوج من فتاة جلبها معه من المدينة ، لا يعرف احد عن اسرتها شيء ! .. ثم رزق الزوجان بابنهما «هيرتون» - الذي استقبلك امس في مرتفعات وذرنج حملا مذراته ! - وباتت الزوجة تشارك زوجها اضطهاده وتحقيره لهيثكليف .. ولكن لم تمض على مولد الطفل اسابيع حتى ماتت امه بالسل ، فحزن عليها زوجها حزنا مفرطا ، اوقعه في هاوية الياس واغراه بادمان الخمر .. وبالامعان في تعذيب هيثكليف ومعاملته معاملة كانت كفيلة بان تخلق من القديس شيطانا ! .. حتى لقد اقسم الفتى لنفسه : ((اسوف ارد لهنداي الكيل كيلين .. لست اعبا كم سيكلفني ذلك من انتظار ، ما دمت استطيع الوصول الى هدفى في النهاية !))

((وهكذا صار هيثكليف يزداد كآبة ووجوما كل يوم ، وهنداي يزداد شراسة وادمانا للشراب .. حتى امسى البيت بالنسبة لنا جميعا جحيما لا يطاق ، ولم يعد يدخله زائر له احترامه ومكانته .. اللهم الا ((ادجار لنتون)) الذي كان ياتي لرؤية كاثرين - او كاثي - وكانت قد بلغت الخامسة عشرة وغدت عروس الاقليم باسره ، فتدله الشاب في هواها .. حتى حل اليوم الذي طلبها فيه للزواج !

((وجاءتني كاثرين تنبئني بالخبر ، وتضيف انها قد اجابت ادجار بالقبول ! .. ثم سالتني : ترى هل اعتقد انها اخطأت ؟ .. فلما سالتها بدورى عن حقيقة شعورها نحو الشاب ، اندفعت تقول انها واثقة من كونها قد اخطأت ، فان عاطفة ما لا تربطها بادجار ، لكن الذنب كله ذنب اخيها

هندلى ، الذى اذل هيثكليف وهبط به الى مرتبة وضيعة بحيث بات زواجها منه خليقا بان يحط من قدرها .. رغم انها تكن له حبا يجعلها تحس كان روحها وروحه شىء واحد ! .. بعكس حالها مع ادجار ، الذى تختلف طبيعته عن طبيعتها اختلاف الصقيع عن النار .. وضيء القمر عن وميض البرق !

« جرى ذلك الحديث بين كاترين وبينى فى المطبخ .. فى الوقت الذى كان هيثكليف فيه جالسا وراء النافذة دون ان نعلم .. فلما سمع الفتاة تقول ان زواجها منه يحط من قدرها تسلل الى بعيد دون ان ينتظر تنمة حديثها ! .. وفى تلك الليلة ، بينما كانت تجتاح المنطقة عاصفة مدمرة .. اختفى هيثكليف !

« وحين علمت كاترين باختفائه قضت الليلة باكملها تبحث عنه وتنتظر عودته ، تحت سيل من المطر المنهمر ، فاصيبت من تأثير البرد والحزن بحمى شديدة ، خلفت فيها حتى بعد شفائها منها ضعفا دائما فى صحتها .. بحيث باتت عواطفها الحادة مصدر خطر مستمر على حياتها !

العاشق الشامت !

◆ « وبعد عامين تزوجت كاترين من ادجار لنتون ، وجاءت معه الى هذا البيت .. فتركت انا امر العناية بابن هندلى الصغير «هيرثون» وجئت فى رفقتها .. وبعكس ما توقعت ، انقضت عليها الاشهر الستة الاولى من الزواج فى سعادة وارفة ! .. بدا كان طبيعتها الحادة العنيفة قد هدأت واستكانت .. لكنه كان الهدوء الذى يسبق العاصفة !

« فلقد ظهر هيثكليف فجأة ، كما اختفى فجأة ! .. جاء ليرى كاترين ، وقد تبدل امره من حال الى حال .. امسى رجلا مكتمل النضج ، انيق الهندام ، بادى الشراء والتهذيب ! .. ولم يستطع احد يوما ان يعرف اين قضى العاشق المجروح تلك الاعوام ، ولا كيف انقلب من ريفى خشن فقير الى سيد مهذب ، وثرى امثل !

« ووجئت كاترين فرحا برؤية هيثكليف .. بينما اغتم زوجها واثارت نائرة غضبه وغيظه - سيما وقد اظهر له زائره منذ اللحظة الاولى احتقاره البالغ .. وبات هذا يتردد على البيت كل حين ، فى جراءة لم تكن من طبعه .. فاحبته شقيقة ادجار المدعوة ايزابيلا ، وكانت فتاة غريرة فى الثامنة عشرة ، حبا ملك عليها قلبها .. وعبثا حاولت كاترين تحذيرها ، وتبصيرها بخلق هيثكليف على حقيقته ، بكل ما ينطوي عليه من عنف وقسوة ، وسعى الى هدف واحد: سحق

اعدائه ..! فان الفتاة قد ابت ان تصفى للنصيحة ، واستمرت تهدد فى حناياها عاطفتها الخاسرة ..

طبقا لخطة مرسومة !

« وفى هذه الاثناء افلح هيثكليف فى الانضمام الى مائدة القمار التى كان يتزعمها هندلى فى قصره ، فان الديون الطائلة التى تراكمت على هذا الاخير جعلته يرحب بالصيد الجديد الدسم الذى جاء متخيم الجيب بالمال ..! واستغل الضيف الفرصة لتنفيذ خطته الانتقامية فعرض على غريمه ان يقيم معه فى قصره مقابل مبلغ سخي يدفعه اليه كل شهر .. ثم راح يغريه بالانغماس فى المقامرة والشراب .. حتى انتهى به الى الدمار، واضطره الى ان يرهن له القصر والمزرعة وبقية املاكه سدادا لديون القمار !

♦ « واذا فرغ هيثكليف من الاجهاز على غريمه الاول «هندلى» الذى اذاقه العذاب فى صباه وشبابه ، استدار يبقى الاجهاز على غريمه الثانى « ادجار »، الذى سلبه محبوبته كاترين ..! ووجد فى تدله شقيقة ادجار فى حبه فرصته المنشودة للانتقام من اخيها فى شخصها .. فشجعها على التمدادى فى عاطفتها .. حتى اضطر ادجار الى الاشتباك معه فى شجار عنيف انتهى بطرده من البيت ، ومنعه من ان يطا عتبه بقدمه !

« واثرت صدمة هذا المشهد العاصف فى اعصاب الزوجة ، الموزعة القلب بين الغريمين ، فاصيبت بنوبة انفعال حادة جعلتها تعتصم بغرفتها وتمتنع عن الطعام اياما ثلاثة .. سقطت على اثرها فريسة لحمى مخية شديدة ..

سراب الحب ..

♦ « وفى نفس الليلة فرت ايزابيلا مع هيثكليف ، الذى احتفل بهذه المرحلة الاولى من انتقامه بخلق كلبها الصغير وتعليقه على بوابة الحديقة ..! وانقطعت اخبار الهاربين ستة اسابيع ، وصلنى فى نهايتها خطاب من الفتاة تقول فيه انها قد شفيت من حبها للرجل الذى عامها منذ اليوم الاول بقسوة وحشية ، ولم يخف بفضه المتاصل الجذور لها ولاخيها ! .. ثم تصيف انه قد عاد بها الى مرتفعات وذرنج ، حيث باتت شبه سجيئة ، لا يؤنسها غير هندلى

التعس ، الذى لا يكاد يفىق من الخمر .. ولا يكف عن التهديد بقتل هيثكليف ، وقتل الخادم جوزيف .. بل قتل ابنه وفائدة كبده هيرتون ، الذى غدا - بإشراف هيثكليف - « حيوانا » ضاريا منحل الخلق !

« اما كاترين فقد تماثلت اخيرا للشفاء من الحمى المخية التى أصابتها ، لكن عقلها ظل مضطرب الادراك . وكان هيثكليف طيلة مرضها يحوم كل ليلة تحت نافذتها كالمخبول ، حتى انتهز ذات ليلة فرصة تغيب زوجها والخدم فتسلل الى مخدعها .. وفيما العاشقان متعانقين ، عاد الزوج فجأة ، فاصيبت الزوجة باغماء طويل .. عاودتها فى اثره الحمى !

« وفى تلك الليلة وضعت طفلة عمرها سبعة اشهر .. ثم لفظت أنفاسها !

الآباء يأكلون الحصرم .. والابناء يضرسون !

♦ وسميت المولودة باسم امها (كاترين) .. وكان معنى حرمان ابيها من مولود ذكر ان تنتقل املاكه جميعا بعد موته الى شقيقته ايزابيلا ونسلها ، وبعبارة اخرى الى هيثكليف ، الذى استأثر من قبل بأملاك غريمه الاول هندلى .. وهكذا رأى صاحبنا خطته الانتقامية تؤتى ثمارها ، واحدة بعد الاخرى .. لكنه كان قد فقد متعة الحياة ، بفقدانه المخلوقة الوحيدة التى أحبها ! ... وأمضه حزنه الرهيب فامعن فى تعذيب ايزابيلا - تنفيسا عن اساء - حتى ألجأها الى الفرار من القصر ذات ليلة ، الى حيث استقرت فى بلدة بالقرب من لندن .. وهناك وضعت بعد شهور مولودا ذكرا : ابنها من هيثكليف !

« وفى هدم الاثناء انهارت صحة هندلى ، بتأثير الخمر واليأس ، حتى انطلقت روحه ذات يوم من جسده المخمور المحطم .. فاكتملت بذلك سيطرة هيثكليف على املاكه ، وعلى ابنه «هيرتون» ، فدبر ان يذله ويحط من قدره ، كما فعل هندلى به هو ! .. ومن هنا أبى ان يلقنه حتى مبادئ القراءة والكتابة ، وشجعه بكل وسيلة على أن يشب جاهلا سىء السلوك ، تافه الشخصية .. ورغم ذلك فانه عجز عن اتلاف ذكائه الفطرى وطيبة قلبه !

غرام الظباء ..!

♦ «وكانت كاترين الصغيرة قد شبت صبية رائعة، لها عينا امها السوداوان،

وعزيمتها القوية ، وتمردا .. فلما ماتت عمتها ايزابيلا في « منفاها » وجيء بابنها (لنتون) - وكان قد بلغ السادسة عشرة - ليعيش في البيت ويؤنس وحدة ابنة خاله ، اعجبت هذه به ، من النظرة الاولى ، رغم هزاله واعتلال صحته .. لكنه قبل ان يبيت في البيت ليلته الاولى ارسل ابوه - هيثكليف - رسولا اخذه ليعيش في كنفه في القصر ... فاضطدمت العاشقة الصغيرة لتوها بالخلاف المستحكم بين الاسرتين ، فقد حرم عليها ابوها ان تطا عتبة « مرتفعات وذرنج » مهما كانت الظروف !

« لكن الماكرة انتهزت فرصة خروجها معي يوم العيد السادس عشر لمولدها فاستدرجتني الى التنزه قرب حدود القصر .. وهناك التقينا بهيثكليف وابنه يتنزهان ، فدعانا الاب الى بيته . ورغم محاولتي عرقلة الزيارة بكافة الطرق فان الفتاة قبلت الدعوة واضطرتني الى قبولها ، محرجة .. فانتهزت اول فرصة وصارحت مضيفا باقتناعي بخبث الدوافع التي تدفعه الى تشجيع كاثارين الفريرة على التعلق بابنه ! .. فصارحني هو بدوره بانه يبغى من وراء ذلك ان يمهّد لزواجهما ! .. ثم حدثني عن خطته الانتقامية لاضعاف شخصية الفتى هيرتون وقتل ثقته بنفسه ، حتى يشب عيب اللسان عاجزا عن الخطوة باعجاب النساء .. ولاسيما كاثارين ! .. ولو انه في طوايا نفسه يحترم هيرتون ، بقدر ما يحتقر فلذة كبده «لنتون» !

« وعند خروجنا ضم الاب صوته الى ابنه في مناشدة كاثارين ان تكرر زيارتها للقصر كل حين .. لكنها حين عادت الى ابيها تلقت منه تحذيرا جديدا في هذا الشأن ، مصحوبا ، بحديث طويل عن ماضي هيثكليف وجنائته على عمتها ايزابيلا وطريقته في الاستيلاء على املاك هندلي .. الخ .. ورغم ان الحديث قد صدم الفتاة فانه عجز عن ان يطمس في قلبها عطفها على .. لنتون ! .. وهكذا اكتشفت ذات يوم ، بعد اسابيع ، وجود بريد غرامي منتظم بين الاثنين .. وادركت من «اسلوب» رسائل الشاب المفعمة رجولة وحرارة ، انها من املاء ابيه !

يمرض .. من الحب !

♦ « وانقضى الصيف ، واقبل الخريف .. وكانت صحة ادجار تنحدر سريعا ، ومعها نفسية ابنته كاثارين .. وذات يوم التقى هيثكليف بها بالقرب من البيت فاوهمها ان ابنه مريض في حالة خطيرة بسبب هيامه اليائس بها

ورجا منها أن تزوره قبل أن يموت شهيد غرامه الخاسر ! .. فلما ذهبت
غالى الشاب في اظهار اعيائه ، تنفيذاً لامر أبيه ، حتى أفلح في استدرار
عطفها .. واقناعها بحاجته اليها ، وتدلّيه في حبها !
(ثم اصبت انا ببرد شديد الزمنى الفراش اسبوعين ، فانتهزت كاترين
الفرصة وصارت تمتطى جوادها كل يوم الى حيث تلقى الشاب فى الاحراش
خلصة .. !

(لكن صحة الفتى استمرت فى التدهور بسرعة ، بحيث خشى أبوه
عليه من أن يموت قبل ادجار ، فلا يرث ثروة الاخير المنشودة ! .. فاعتزم
هيثكليف أن يحتال على تزويجه من كاترين بأسرع ما يستطيع ، بأية وسيلة !
.. وكان ادجار قد بدأ يعدل تدريجياً عن معارضته فى ذلك الزواج ، سيما
وانه كان يجهل كل شيء عن شخصية الفتى أو حالته الصحية ، فوافق أخيراً
على أن تلقاه ابنته فى الاحراش ليقوما سوياً بنزهة على ظهور الجياد ..
(وتم اللقاء ، فى بقعة قريبة من « مرتفعات وذرنج » ، وكنت بصحبة
كاترين ، فوجدنا لنتون بادی المرض والياس والفرع ! .. لكنه انتزع من الفتاة
وعدا بأن تقول لهيثكليف - اذا سالها - أن ابنه كان مكتمل العافية والمرح ..
وتقول لابيهما هي أن صحة الفتى قد تحسنت كثيراً ! .. ثم انتهت المقابلة على
وعد بقاء آخر فى أحد أيام الاسبوع التالى ..

(وكان يوماً جميلاً من أيام اغسطس ، ذهبنا فيه الى مكان اللقاء ، فى
الاحراش ، فاذا الشاب أسوأ حالا من أى وقت مضى ، وقد بدا عليه الخوف من
شيء ما ! .. وكانت تصرفاته من الشذوذ بحيث هددته كاترين بالانصراف الى
بيتها .. وعندئذ ارتمى المسكين على قدميها متوسلاً اليها أن تبقى ، قائلاً انه
سوف يقتل اذا هي ذهبت ! .. ثم اضاف ان فى الامر سرا لكنه لا يجرؤ على
البوح به لها ، خوفاً من أبيه !

(وفجأة ظهر هيثكليف نفسه وطلب إلينا أن نصحبه الى القصر ! ..
ورغم معارضتي فقد وافقت كاترين .. وكن لنتون من الاعياء بحيث يكاد يعجز
عن السير ، فاضطر الى الاتكاء على الفتاة .. وبمجرد دخولنا القصر أغلق هيثكليف
علينا الباب بالمفتاح ! .. ثم قال اننا سنبقى لتناول الشاي عنده ! ..

المؤامرة !

◆ (وادركنا أن فى الامر سرا ، فتقدمت كاترين نحو هيثكليف وعيناها
تلمعان بمزيج من الغضب والخوف ، وطلبت منه المفتاح .. وحين تجاهل طلبها

حاولت ان تختطف المفتاح من يده ..! واذا ذاك قبض على يدها وانها على راسها بوابل من الصفعات الشديدة .. ثم قدم لنا الشاي ومضى الى الخارج ليفك وثاق جيانا ويطلقها !

« اما لنتون فقد زايله الرعب القاتل الذى كان يملكه ، ولم يجد باسا فى ان يصارحنا بان اياه كان قد كلفه باستدراج الفتاة الى القصر باية وسيلة .. وانه قد دبر خطة الاحتفاظ بنا سجنين فى القصر حتى يعقد زواج الشابين فى الصباح ..! فلما عاد هيثكليف بعد برهة توصلت اليه كاترين ان يطلق سراخا، واعدة باتمام زواجها من لنتون فى اى وقت اذا هو تركها تعود الى ابيها فى نفس الليلة ، خشية ان يقلق عليها ... »

« وهنا افصح هيثكليف للفتاة - لاول مرة - عن بغضه الشديد لابيها ، قائلا انه لا شئ يسره اكثر من ان يقلق ابوها ويتعذب ..! واصر على ان نقضى الليلة فى حجرة مديرة المنزل حتى الصباح ، بعد ان اغلق علينا بابها .. وفى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى اقبل فاخذ كاترين معه ، وتركنى انا سجينة فى الغرفة اربعة ايام اخرى ، لا اعلم شيئا عما جرى لها ، ولا ارى احدا غير الفتى هيرتون الذى كان يحضر الى الطعام !

فرار العروس ..!

« وحين افرج عنى عامت ان كاترين قد زوجت من لنتون ، وانها سجينة فى غرفته ... فعدت انا الى هذا البيت لاطمئن اباها المحتضر على مصيرها .. ولم تلبث هى ان اغرت « زوجها » بان يفتح لها باب الغرفة ثم لاذت بالفرار وحيدة فى ظلمة الليل ، عائدة الى ابيها .. وقد وصلت فى الوقت المناسب قبل ان يلفظ انفاسه ، فمات وهو يعتقد انها سعيدة فى زواجها !

« وهكذا صارت املاك جيرالد ، ومنها بيته هذا (ثرا شكروس جرانج) فى قبضة هيثكليف .. الذى اخذ كاترين الى القصر ، واجبرنى انا على البقاء هنا كمديرة للبيت المهجور ..! ولم يتاخر لنتون فى اللحاق بصهره فى القبر ، بعد ان اهمل ابوه العناية به وكف عن جلب الاطباء لمعالجته ، على اثر بلوغه هدفه بتزويجه من وريثة غريمه الثرى !

« واصيبت كاترين عقب وفاة زوجها اليافع بصدمة الزمتها الفراش ، من فرط الجهد والارهاق اللذين عانتها فى تمريره .. وحين ابلت من مرضها كانت قد تغيرت تماما ، من فتاة مرحة دافئة العواطف، الى امرأة ممرورة النفس جامدة

الشعور، لا ينطوى قلبها على غير الحقد والكراهية العمياء لكل فرد من سكان القصر!
« ولم يجد بعد ذلك جديد .. حتى جئت أنت ياسيدى فاستاجرت هذا
البيت واقمت فيه .. وها أنت ذا تعاصر الآن بقية القصة... »

- ٣ -

◆ بذلك ختمت مسز « نيللى دين » مديرة بيت « تراشكروس
جرانج » حديثها لى على أثر عودتى من قصر « مرتفعات وذرنج »
حيث قضيت تلك الليلة اللئلاء التى ظهر لى فيها شبيح كاترين
« الام » من خلال زجاج النافذة ! ..

ومنذ سمعت هذا التاريخ المفجع انتابنى نفور من الاقامة
فى البيت الذى شهد كل تلك المآسى .. فلم أكد أشفى من البرد
الذى أصابنى حتى عدت من فورى الى لندن ..

◆ وفى الصيف التالى كنت مسافرا فى رحلة مررت خلالها
بالقرب من مرتفعات وذرنج ، ففكرت فى زيارة هيثكليف كى
أتفاهم معه بشأن رغبتى فى عدم تجديد عقد استئجارى لبيته
الكائن فى (تراشكروس جرانج) .. فلما أشرفت على القصر
ألفيت كل شىء قد تغير : البوابة الخارجية لم تعد مقفلة كالعهد
بها .. ولا أثر لكلاب تنبح فى وجهى وتهاجمنى ! .. وفى الحديقة
التى « كانت » جرداء ، قد نبئت أزهار جميلة ! ..

ورأيت كاترين وهيرتون جالسين جنبا الى جنب وقد
تلاصق رأساهما ، يطالعان كتابا ! .. ومديرة البيت الآخر
« مسز نيللى دين » قد انتقلت لتدير هذا البيت .. ومنها وقفت
على بقية القصة : قالت انها قد استدعيت الى القصر ، عقب
سفرى بأيام ، كى تؤنس وحشة هيثكليف ، الذى تفاقت
كآبته .. وعزلته .. وشذوذه ! .. وذات ليلة أغرته نوبة يأس
بأن يفتح قلبه للمرأة الطيبة . قال انه منذ ماتت حبيبته الاولى
كاترين صار شغله الشاغل أن يتصل بروحها .. لكنه كلما
حسب أنه قد اقترب منها راغت منه ولاذت بالفرار ! .. وبقدر

ما عذبتة في حياتها ، عذبتة بعد موتها ، وما تزال . . . وحين فتح قبرها ليوضع فيه زوجها جيرالد بجوارها ، تسلل العاشق القديم تحت جناح الليل ففتح نعشها وأطل على . . . ما بقى من وجهها !

نهاية هيثكليف . .

◆ ومنذ ذلك اليوم تزايد احتجابه يوما بعد يوم . . . في الوقت الذي تزايدت فيه اللفة بين كاترين «الابنة» وهرتون . . . فقد ندمت الشابة على احتقارها لابن خالها فتطوعت بتعليمه القراءة والكتابة . . . وسرعان ما تورط الشاب في حبها ، وأحبته هي بدورها . . .

و ذات صباح ، عقب ليلة عاصفة ممطرة ، دخلت مسـر دين غرفة رب القصر ففوجئت برؤيته ممددا في فراشه على ظهره ، وعيناه مفتوحتان ، ووجهه مبلل بماء المطر الذي اندفع من النافذة المفتوحة . . . وكان ميتا !

ويردد أهل القرية انهم كثيرا ما رأوا شبحه وشبح حبيبته كاترين يتجولان خلال الاحراش كلما جن الليل . . . ! ثم أضافت المرأة ان كاترين «الابنة» وهرتون سوف يتزوجان قريبا ويقيمان في (ثراشكروس جرانج) ، وستصحبهما هي لتتولى ادارة البيت . . .

◆ واذا فرغت مسـر دين من سرد ختام المأساة ، ودعتها ومضيت لسبيل . . . وفي طريقى الى العربة التى سوف تقلنى الى لندن مررت بالقبور الثلاثة : قبور كاترين ، وادجار ، وهيثكليف . . . كانت الحدأة والغربان تحوم فوقها ، مرفرفة بأجنحتها الكئيبة . . . وأصغيت للنسيم الناعم يوسوس للحشائش الصغيرة ، التى كأنها تتنفس . . . وساءلت نفسى : كيف يستطيع أحد أن يرتاب فى السكينة التى لا بد ينعم بها الراقدون تحت هذا التراب . . . ؟!

تحضير الامتحانات



١٣ شارع عدلي بابا بالقاهرة . فوق مكتب التلفزيون

تقودكم إلى النجاح
باتباع مناهجها
اللغات . الاختزال
الآلة الكاتبة
الحسابات . التجارة

عزيزى القارىء ..

الحياة الخاصة هي التى تصنع
العباقة .. هي التى توحى للفنان
بفنه : للشاعر بشعره ، وللرسام
برسمه ، وللموسيقى بلحنه ، وللاديب
بأدبه .. وهى التى تلهب عزائم الرجال ،
وتغرى بالبطولة الابطال .. وكثيرا ما
تكون زوجة العظيم ، أو صديقه ، أو
عشيقة ، هي صاحبة الفضل عليه
وعلى الانسانية فى عظمته .. ولو استمد
هذه العظمة من تعاسته !

ولو علمت ان مؤلف الكتاب الذى
الخصه لك فى هذا الباب ، والذى
«يفصح» فيه نفسية فيكتور هوجو فى
حياته الخاصة ، عارية من كل زيف
أو نفاق أو تكلف .. هو من أسرته
وذوى قرباه ، لآمنت معى بان الادب
الحق هو الذى يعتمد على الصدق ،
والاخلاص فى تصوير أدق خلجات
النفس الانسانية ، واخفى مشاعرها
وخفاياها ..

وسوف تقرا فى هذا الباب من
«كتابى» قريبا باذن الله ، طائفة من
الكتب الخالدة التى تصور الحياة
الخاصة لنفر من أعظم عباقة الانسانية
.. سواء باقلام غيرهم أو باقلامهم ..
ستقرأ فيه : «اعترافات جان جاك
روسو» .. و «اعترافات تولستوى»
.. و «غرام تشارلس ديكنز» .. وقصة
الشاعرين الخالدين روبرت براوننج
واليزابيث باريت .. وحياة جورج
صاند» .. الخ .. الخ .

خلف النوافذ المغلقة



عباقة الانسانية فى حياتهم الخاصة



La Vie Tragique
de
VICTOR HUGO
Par
LÉON DAUDET



ليون دوديه

مائسة قلبه !

قصة غراميات وفواجع
فيكتور هوجو
في حياته الخاصة



كان « فكتور هوجو » فى زهرة شبابه ، وقمة مجده الادبى ، حين اكتشف ذات يوم ان زوجته المحبوبة (اديل) ، التى تزوجته بعد علاقة حب دامت اعواما .. تخونه مع اعز صديق له : الناقد المشهور القبيح الخلقة « سانت يوف » !

وبعد تردد طويل ، كاشف هوجو زوجته بشكوكه فى سلوكها! .. فانكرت انها تخونه ، وان اعترفت بان الرغبة فى خيانتها لا تنقصها ، وانها تحب سانت يوف حبا « شريفا » ! .. ثم اتهمت هوجو بان خياناته المتكررة لها مع ممثلات المسرح وفتيات الحوانيت هى المسئولة عن انصراف قلبها عنه ! لكنها لم تكن تجد الفرصة سانحة حتى تنطلق الى احد الفنادق حيث ترتوى فى احضان عشيقها النذل ، لتشكو اليه زوجها .. !

وتكررت المواقف الموحجة بين الزوجين ، حتى غدت الحياة بالنسبة لهما جحيما لا يطاق ! .. وبدأت رائحة الفضيحة تفوح ، والناس يلوكون اسم الشاعر العظيم فى معرض الغمز واللمز .. حتى فكر هوجو فى الانتحار ..

فى تلك الازمة النفسية القاسية ، وتلك المرحلة الحرجة من حياة الزوج المخدوع ، التقى فيكتور هوجو يوم ٢ يناير سنة ١٨٨٢ ، فى ندوة من ندوات اهل الفن ، بالمشكلة الشابة « جوليت دروييه » ، اجمل نساء باريس فى ذلك الوقت ! .. وكانت جوليت قد ملت ملات الجسد العابرة ، فى احضان عشاقها العديدين من رجال الفن ، واشتاقت الى ان تهب قلبها وعواطفها الملتهبة لرجل واحد ! ..

لكنها لم تكن قد اهدت بعد الى رجل احلامها .. حتى التقت بفكتور هوجو ، فاحست من فورها انه ذلك الرجل ! كان شابا ، جميلا ، مشهورا ، تعشقه النساء ! .. وكانت هى بدورها رائعة الحسن ، رشيقة الجسم والحركات ، لها مائة طريقة وطريقة تمحو بها من راسه الخيالات الفاضحة لزوجته الغادرة وصديقه النذل ! .. وهكذا تركها تقوده ذات ليلة الى مسكنها الانيق فى « بوليفار سان دونى »

وعاش هوجو بعيدا عن بيته اثنى عشر يوما ! ..

غيرة الزوجة .. من العشيقة !

♦ فى أثناء ذلك بلغ مسامع مدام هوجو من بعض أصدقاء « هاريل » مدير المسرح أن جوليت ممثلة دور الاميرة نجروني فى مسرحية زوجها « لو كريشيا بورجيا » قد اختفت من على خشبة ! .. وأيدت شكوك الزوجة فى مغزى هذا الاختفاء رسالتان قصيرتان تلقتهما من زوجها فى فترة غيابه .. فكان لهذا اليقين أثره فى ازالة ما كانت تحسه أديل من وخز ضمير خافت ، وندم غامض ضعيف .. على خديعتها هى له ! ونقلت أديل هذه المعلومات الى عشيقها ، وهى تسأله فى دلال :

- أترى تلك المرأة رائعة الجمال حقا كما يقولون ؟
- فأجاب سانت بوف وهو يأخذ زوجة صديقه فى ذراعيه :
- انها لا يمكن أن تكون فى جمالك أنت !
- ثم أضاف وهو يخفى قلقه :
- أو لم يحدد فيكتور فى رسالته موعد عودته ؟
- كلا ، لكنه سيعود حتما قبيل ليلة افتتاح مسرحيته الجديدة .. وبهذه المناسبة .. لكنك لست مصغيا الى ؟!
- بل أنا مصغ ..
- لقد نسيت ما كنت أريد أن أقول !
- انك تحسين ألما ومذلة .. أليس كذلك ؟
- لست أحس مذلة على الاطلاق !
- كيف .. أو لم يهجرك ؟
- الاله من ذلك أنه هجر أولاده أيضا ! .. ان
- ليوبولدين تسألنى كل صباح : متى يعود بابا ؟
- يا له من وحش أنانى !
- حقا ، لكننا بدورنا أنانيون . انى أنسى كل شىء حين
- أكون معك !

عند ما تؤتمن المرأة على سر !

♦ وأصيب سانت بوف يوما باضطراب في المعدة والمرارة ..
وحين ذهب يستشير الطبيب في أمره سأله هذا :

— هل لاحظت تغيرا في شهيتك .. أعني كلا شهيتك ..
شهيتك للطعام وشهيتك للنساء ؟
— أما الاولى فهائلة .. وأما الثانية فمعتدلة .

واذ وجد المريض نفسه في حالة نفسية تغرى بالثرثرة
وافشاء الاسرار ، قص على طبيبه قصته مع عشيقته من ألفها
الى يائها ، دون أن يذكر اسم المرأة .. وان أفصح وصفه لها
عن شخصيتها ، بنفس الوضوح الذي أفصح به عنها في ديوانه
الشعري « كتاب الحب » !

وفي ذلك المساء قال الطبيب لزوجته : « لقد وقفت اليوم
على سر هائل باح لي به الناسك بلسانه — أعني سانت بوف ..
ان زوجة مؤلف « هرناني » و « أحسب نوتردام » قد غدت
خليته منذ شهور !

— ما أقبح أن يطلعك الرجل على سر كهذا !

— الطبيب بحكم مهنته مستودع الاسرار يا عزيزتى ..
.. وفي اليوم التالي أسرت زوجة الطبيب بالقصة الى
« دستة » من أخلص صديقاتها ، فتولت كل منهن الافضاء به
بدورها الى دستة من صديقاتها ! .. وهكذا انتشرت الفضيحة
وذاعت بسرعة البرق في كل مكان ، حتى بلغت مسامع ملك
فرنسا .. فعلق عليها بقوله : « ان الجميع قد انغمسوا في
الملذات ! »

ورحب « بولوز » محرر صحيفة « العالمين » Deux Mondes
بالفضيحة أيما ترحيب — وكانت صلته الشخصية بهوجو
سيئة — فألمع اليها في صحيفته بلهجة تلفت الانظار ، الامر

الذى جعل الشاعر يصرح بعزمه على دق عنقه .. لكنه قنع فى النهاية بالتفرغ لقبلات جوليت !

الحب يفصل جميع الاوزار ..

♦ ونجحت هذه المرأة الساحرة فى تطهير نفسها من أحوال ماضيها مع الماجنين من أهل الفن .. وأيقظت صلتها مع هوجو مواهب وصفات نادرة كانت كامنة فيها ، فجعلت من نفسها خلية وخادمة له فى وقت معا ! .. ورسمت لنفسها « رسالة » اضطلعت بآتمامها ، هى تيسير الحياة وتوفير وسائل الراحة للعبرى الذى نكب فى زواجه وفى شرفه ! .. فأعدت جوليت لعشيقها العظيم حجرة من مسكنها - وان تكن صغيرة ومعتمة - كى يزاول فيها انتاجه الادبى الخالد .

وكانت لها ارادة من حديد ، ويقظة ذهنية نادرة ، فأمكنها أن توفق بين متعة الحس ومتعة النفس، المستمدة من التضحية وانكار الذات .. فوطنت نفسها على أن تعتبر هوجو كل شىء، وتعتبر نفسها الى جانبه لا شىء ! .. وبوحى هذا التفانى منها



فى شخصه صارت تكتب اليه بعد انصرافه من عندها خطابا كل يوم ، فى البداية .. ثم خطابين .. فثلاثة .. وأخيرا أربعة خطابات يوميا ! .. وهى خطابات تفوق فى سموها ونبلها ورقتها رسائل أشهر كتاب فرنسا وأدبائها ! .. أرادت أن تستحوذ على عقل الرجل الذى استحوذت من قبل على جسمه ! .. أن تجعل من نفسها ملكته وجاريته فى وقت

واحد .. أن تغمره بالغزل الذهني والغزل الحسي في وقت
معا .. أن تشق طريقها الى رأسه كما شق هو طريقه الى قلبها،
وبذلك يتم لهما تبادل التوغل بين شخصيتيهما ! ..

وقد نجحت ! .. كانت عقبتها الكبرى ماضيها الملوث ،
فوضعت أسلحتها الماضية وفنون أنوثتها التي لا تقاوم عند
قدمي حبيبها ، في اخلاص صادق . ودبرت أن توقظ اهتمامه
بفكرة التكفير وافتداء روحها الدنسة من هاويته .. اتخذته
لها الها قنعت هي منه بمكان الخاطئة المستغفرة . وقد طالما
تحدثا معا في هذا المعنى خلال زيارتهما المتكررة للكنائس
ودور العبادة ! .. واعتنقت هي فلسفة خاصة مؤداها ان
المرأة الساقطة تستطيع أن تسترد عفتها بالانغماس في التعبد
للطبيعة : بالانصات لتغريد الطيور .. وتعريض جسمها
- عارية أو نصف عارية - للندى والطل ، ولاشعة الشمس
الفاربة ، كتمثال من المرمر تتواتر عليه ألوان الغروب :
الذهبية ، فالبنفسجية ، فالحمراء ! .. ثم العدو خلال
الحشائش الطويلة أثناء هطول الامطار ، وهي رافعة ذيل
ثوبها معرية ساقها لدغدة قطراتها المنهورة ، غائصة بقدميها
في الجدول كحورية .. أو مندفة بين أشجار الغابة أو عبر
المروج الساكنة الخضراء ! ..

ولم يكن هناك من هو أكثر من هوجو استعدادا للمشاركة
في هذه المباحة .. لقد أنقذته جوليت من امرأة تنضح غشا
وخداعا ، وأخرجته من هاوية الشك الخائق الى المراعى الخضراء
كى يمرح فى العراء وينعم معها بالريح والمطر ، والشمس
المحرقة والقمر الساكن ، حيث لا يسمع صوت غير نقيق
الضفادع وزقزقة صرصار الليل .. حتى اغتسل هو من
تعاسته الزوجية ومن أساء على شرفه الجريح ، واغتسلت هي
من كل أثر لادران عشاقها السابقين !

واتخذ لها « هوجو » مسكنا فى ضاحية بعيدة عن بيته ،

فصارا يلتقيان كل يوم فى مكان ، دون مبالاة بالطقس ، مثل
نصفين اجتمع شملهما بعد فرقة طويلة .. وما أكثر وما أبلغ
الكلام الذى كانا يتبادلانه بعد غيبة اثني عشر ساعة ! ..
وما أطول وما أمتع القبلات التى كانا يتراشقان بها بعد فراق
ليلة كاملة !

.. ثم اقترب الخريف ، وتوهجت النيران فى المدافئ ،
فأمست جولات العاشقين محدودة ، وانتقل مسرح غرامهما
من الفضاء العريض الى ما وراء النوافذ المغلقة !

عندما تتجرد المرأة من كل شيء .. فى سبيل الحب !

♦ على أن هوجو كان يعانى أحيانا نوبات متقطعة من الغيرة
الهوجاء ، التى لم تكن تفلح فى تبديدها فلسفة الطبيعة ، والتى
جعلته يدرك أن القديس « فرانسس » الذى غفر للمرأة ماضيها
الملوث غفرا كاملا ، انما كان شخصا مثاليا !

وهكذا كان يحدث أن يأخذ هوجو جوليت بين ذراعيه
بعد وجبة طعام كثيفة وقبيل فراق محتوم ، ويخاطبها جادا :
- أريدك أن تكونى لى بأكملك ، قلبا وقالبا .. ينبغى
أن لا يكون بيننا سر خاف .. من أجل هذا صارحتك بخيانة
زوجتى وسانت بوف ، فان العرى الذهنى لا يقل أثرا عن
العرى الجسدى أثناء مطارحة الهوى !

- وما الذى تريده منى يا منقذى ؟

- الحقيقة ! لماذا كنت شديدة اللهفة على العودة الى

خشبة المسرح ؟ ألم يكن ذلك بسبب ديونك ؟

فأرخت عينيها الجميلتين وأجابت :

- بلى ، انى مدينة بمبالغ طائلة ، ثمننا لثيابى وقبعاتى

ومجوهراتى وعطورى التى اقتنيتها قبل أن أعرفك .. ان

المثلة لا تستطيع أن تقاوم اغراء هذا الترف ..

- نعم ، وعندئذ تقع فى الفخ ! .. فان « الفرج » يأتىها

ذات يوم فى صورة « خياطة » أو قارئة غيب تهمس فى أذنها بعنوان معجب ثرى .. فتستسلم الممثلة لاغراء الحزمة المكتنزة من أوراق البنكنوت !

- أوه ، فيكتور ! .. كيف تخاطبنى بهذه اللهجة ؟
- اذن حدثينى كيف عرفت ذلك الجلف « ديميدوف » ؟
كان تعبير وجهه هوجو وهو يتكلم قاسياً صارماً ، وكان رأيه قد استقر على خطة محددة تواجه بها جوليت متاعبها المالية .. فاستطرد بعد لحظات :

- جوليت ، لقد اعتزمت أن أوفى جميع ديونك ، بالتدريج .. فعليك أن تكتبى لى بيانا مفصلاً بها .. وفى مقابل ذلك اليك شروطى : أريدك أن لا تتصلى منذ الآن - سواء بالرسائل أو الوسطاء أو أية وسيلة أخرى ! - بأى شخص من عشاقك السابقين .. فهل تقسمين على ذلك ؟
- أقسم !

- ثم لا مفر من تغيير أسلوب معيشتك تغييراً كلياً ، بحيث تلتزمين شيئاً من الحرمان والتقشف . وسأزودك كل شهر بمبلغ متواضع هو سبعمائة فرنك ، لتغطية نفقاتك الضرورية .. فانك لكى تستردى عفتك ينبغى لك أن تجربى الفقر ، بل الفاقة الشديدة .. فهل تقبلين هذه الشروط ؟
- أقبلها !

- ويجب أن تنتقل الى مسكن أصغر ، وتبيعى أثاثك وحليك ، وكل أدوات الترف التى وصلتت من سواى !
- وأنا أوافقك على كل هذا ..
- ولن تغادرى مسكنك ، أو تعودى اليه ، فى غير صحبتى !

- حتى عند شراء حاجيات البيت ؟
- سوف تشتريها لك خادمتك ، أما أنت فمهمتك أن تعملى من أجلى ، تنسخى مخطوطاتى .. وأثناء غيابتى عن البيت

لا تقابلي انسانا عدا النساء اللواتي كتبت لك أسماءهن في هذه القائمة ، واللواتي ستتحدثين معهن عنى وعن انتاجى .. فاذا أصابك مرض فسوف أحضر لك طبيبا بمعرفتى ، واذا أرهقك دائنوك وكلت عنك محاميا أعرفه .. وعليك أن تعرضى على كل مساء الخطابات التى تلقيتها .. وبالاختصار فأنا أصر يا جوليت على أن تتخلى عن شخصيتك تماما ! هل أنت مستعدة للتفكير فى ما عرضته عليك ؟

- لقد فكرت فيه وانتهى الامر ..

- معنى هذا انك تقبلينه بغير تحفظ ؟ تدبرى الامر بامهان .. لقد خانتنى زوجتى يوما ، ولست أبغى أن تخونينى أنت هذه المرة ! .. خطوة واحدة خاطئة من جانبك تكفى كى أهجر ك الى غير رجعة !

أحست جوليت ازاء هذا البرنامج الصارم بخليط من الفرح الطاغى والحزن الساحق .. ان لعشيقها العظيم الجميل نقائصه وعيوبه ، كما ان لها هى نقائصها وعيوبها .. ولقاؤهما الذى رسمته الاقدار قد أنقذه من محنة خيانة زوجته، كما أنقذها هى من حياة الدنس التى ملتها وباتت تشمئز منها ! .. وهى تأمل أن تحتفظ برجلها بخضوعها لبرنامج الحجر الكامل على حريتها ، والحرمان من مباحج حياتها السابقة الناعمة ، وتقويم ذوقها المترف بسوط خلقى لا يرحم !
ونفضت جوليت من « كرسى الاعتراف » الذى تلقت فيه وصايا التكفير عن ذنوبها .. واتجهت الى هوجو بلسانها وقلبه :

- أتذكر ذلك الوعد الذى بذلته لك فى تلك الحانة الصغيرة فى بداية تعارفنا ؟

- وهل تحسبيني قادرا على نسيانه أبد الدهر ؟
- حسنا، ها أنذا اليوم أكرر لك الوعد ذاته ! .. أعلم أن الوفاء به سوف يكلفنى جهدا شاقا طويلا : يكلفنى النوم على فراش

قاس ، وارتداء القميص الخشن ، والمعيشة فى عزلة تامة ،
والقناعة بمورد ضئيل . . لكن شمس الحب سوف تنير
لى طريقى !

« ضعفه » الفطرى نحو نساء الطبقة الوضيعة !

♦ وتخلت جوليت عن ثيابها الانيقة ، وحليها الثمينة التى
أحببتها . . وكفت عن ممارسة متعتها القديمة الكبرى : تقبل
مغازلات الرجال والاصغاء الى ملقهم واطرائهم ! . . وبعد أن
ألفت أن تنفق المال كالماء ، قنعت الآن بأن تعيش فى حدود
المرتب المتواضع الذى أجراه عليها حبيبها المعبود . . وفى ٨
مارس سنة ١٨٣٦ انتقلت ، لثانى مرة ، الى مسكن أكثر
تواضعا فى شارع سانت انطوان . . وكلما أعوزها الوقود
كانت تلوذ بفراشها تستمد منه الدفء فى انتظار حضور
معبودها « توتو » ! . . وثيابه التى كانت فى حاجة الى اصلاح
أو رتق صارت تتولاها بالاصلاح اللازم الذى ضنت عليه به
زوجته السادرة فى غوايتها مع الصديق الغادر !

والعجيب فى الامر حقا ان حياة الفاقة التى فرضها
هوجو على معشوقته لم يكن مبعثها ضيق موارد الى هذا الحد ،
بل كانت علتها ذلك « الضعف » التقليدى الذى كان يحسه
نحو طبقة النساء الوضيعات ، والخادمات . . فاشتهى أن يرى
معشوقته الفاتنة فى مستوى لا يزيد كثيرا عن مستوى نساء
الطبقة الكادحة ، سواء فى مسكنها أو مأكلا !

وسنرى أن هذا الضعف قد لازم هوجو من سن الثلاثين
الى آخر حياته ، أى قرابة نصف قرن ! . . كان يلذ له دائما
أن يلمح رقعا من بشرة المرأة الناصعة تطل من ثيابا ثوب
ممزق ، أو قدما صغيرة تنتعل حذاء قديما ، أو صندلا . .
أو ماء يشرب فى وعاء عتيق مشروخ . . أو شهية لم تنل كفايتها
من الطعام ! . . فأراد أن يهبط بالغانية الجميلة تدريجيا الى
هذا المستوى . وقد أدركت جوليت بذكائها نزعته هذه

فأقدمت على هذه « اللعبة » المسلية راضية ، كي تقوى قبضتها
على الرجل الذى كرس له حياته !..

وذات مساء ، انسرق هوجو من سهرة باهرة كان قد
أقامها فى داره وحضرها رهط من « حاشيته » والمعجبين به ،
كى يهرع الى حيث يفاجئ « جاريته » الحبيبة وهى تنسخ
كتابات .. وبعد طوفان من العناق والقبل جلس « السيد »
أمام المحبرة وراح يسود صفحة بعد صفحة بأبيات الشعر
وسطور النثر المستوحاة من اغراء الجسد الشهى الذى ينتظره
قيد خطوات منه ، نصف نائم تحت الالحفة الباردة !

المرأة .. ملهمة الشاعر !..

♦ وكان هوجو فى ساعات وحيه هذه يغدق انتاجه على الورق
بسرعة فائقة ، وباتقان لا يحوج الى تنقيح أو مراجعة ..
فتفيض مشاعره الملهمة للحظتها فواحة عطرة فى سطور ذهبية
ناضجة من الشعر أو النثر الخالدين .. وبين حين وآخر
يستدير بنظره نحو الرأس الفاتن الذى تتردد أنفاسه فى رفق
وانتظام على الوسادة القريبة ، فيمنى نفسه بصاحبته ..
ولكن فيما بعد .. عندما يسلم « أبوللو » (اله الشعر) زمام
الشاعر الى « ديونيسوس » .. اله المتعة !

وأخيرا .. بعد ساعة ونصف ساعة من العمل المتواصل
- يكون هوجو قد أنجز خلالها ما يساوى المكافأة التى تنتظره -
ينهض من مقعده ليثب الى أحضان فاتنته التى تنتظره على أحر
من الجمر !

وفى الصباح التالى ، تجمع جوليت ما كتب هوجو
فتتلوه لنفسها وهى تتيه اعجابا بروعته ، تمهيدا لنسخه ..
بينما ينطلق هو الى مقابلاته وأعماله ، بعد أن يمر ببите
لبضع دقائق .. مر الكرام !

المجد السياسى والاجتماعى .. بعد المجد الادبى !

◆ وظفر هوجو بشرف استقبال الملك اياه ، بل واطرائه موهبته وحيويته الذهنية .. وأحاطت به عوامل تغريه بالدخول فى معترك السياسة ، أملا فى الفوز بعضوية « المجلس الاعلى » .. وكان لابد له كى يبلغ هذا الهدف أن ينتخب أولا عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، فظل يسعى الى ذلك من عام ١٨٣٦ الى ١٨٤١ ، حين نجحت محاولته الخامسة فانتخب عضوا فيها يوم ٧ يناير من العام الاخير .. واحتفلت الاكاديمية بضمه الى موكب « الخالدين » احتفالها المهيب المؤلف .. وبذلك انفتح أمامه الطريق الى المجلس الاعلى فعين فيه فى ١٥ أبريل سنة ١٨٤٥ .. ثم اختير على التوالى : عضوا فى الجمعية التأسيسية ، فالجمعية التشريعية ، فمجمع بوردو .. وأخيرا مجلس الشيوخ !

الجمعية الثانية .. بعد فجيعة فى شرفه !

◆ فى المقعد الخارجى العالى من عربة الركاب المسافرة من روشفور الى لاروشيل ، بجوار الحوذى ، جلس فيكتور هوجو فى أحد أيام الاسبوع الاول من سبتمبر سنة ١٨٤٣ يبكى وينتحب بمرارة ، معرضا جسمه لريح الخريف العاصفة ! .. لقد دهمته - وهو فى سن الاربعين - كارثته الثانية ، الاشد نكرا من الاولى .. انقضت عليه مثل طائر أسود مخيف . فسحقته سحقا .. ان ابنته الكبرى الغالية ليوبولدين ، قد ماتت غريقة فى مصب نهر السين مع عريسها «شارل فاكرى» الذى تزوجته منذ أيام !

.. وكان هوجو قد قرأ نبأ الكارثة فى بقايا جريدة ممزقة فى حانة بجهة «سويينر» وهو فى طريق عودته الى بيته بعد رحلة قصيرة مع عشيقته .. فلم يكد بصره يقع على

النبأ هتلى هب من مقعده مذعورا وخرج هائما على وجهه فى الشوارع والحقول ، حتى استقر به المطاف فوق ذلك المقعد العالى من العربة التى تقله الى أسرته ، الى بقية أولاده ، وربما الى جثة ابنته ليوبولدين التى لابد قد قذفتها الامواج على الشاطئ !

عذاب الذكريات !

◆ وتقاذفته الذكريات الموحجة ، ورؤى الماضى ، وطعنات الضمير النادم ، متلاحقة ، متضاربة ، لا ترحم ، فاذا هو يرى بخياله ابنته «ديدين» - كما اعتاد أن يدللها - طفلة صغيرة واقفة عند رأس فراش ابويها تنتظر منهما قبله الصباح .. وفجأة تختفى هذه الصورة لتخلفها صورة العروس النضرة فى لحظاتها الاخيرة ، وهى متشبثة بزوجها الشاب تبتهل الى الله أن ينقذهما ، ثم تضيع صرخات حشرجتها تحت طيات الامواج حين يجذبهما التيار الى القاع ! .. ثم تهاجمه صورة ليوبولدين وهى صبية يافعة وقد أقبلت باسمه الشجر كى تنتزعه من غرفة مكتبه الى نزهة فى الحديقة المشمسة بين الازهار ! .. لكنها الآن هامدة فى أعماق النهر تثلجها برودة الموت : «أواه ياربى ، ماذا فعلت هذه الزهرة البريئة ؟ لماذا تعاقبنى هكذا فيها ؟ لم لم تأخذنى أنا ، اباها ؟ لقد نات حظى من بهجة الحياة وقسوتها ، أماهى فلم تذق بعد من الحياة شيئا !»

◆ وهطلت الامطار ، ورغم المظلة المرفوعة فوق رأسه فقد اختلطت قطرات المطر بالدموع على خدى الشاعر المكلوم . كان تأنيب الضمير يأكل الآن قلبه ، لأول مرة ! .. انه لا يشك أنه كان من حقه أن يخون الزوجة الغادرة التى خانتها مع أعز صديق له ، لكنه لم يكن يملك الحق فى أن يهمل أولاده الابرياء ، الذين طالما ضاحكهم ولاعبهم ! .. وان رغبة ليوبولدين الباكرة فى الزواج قد كان مبعثها ولاريب ذلك الجو المقبض

الكثير الذى اكتنف البيت ، فانها كانت فتاة مرهفة الاحساس ، وقد أغرق مسلك أمها الشائن ، ثم مسلك أبيها المماثل ، سفينة البيت الذى نشأت فيه !.. !

يستعذب الوحدة !.. !

♦ ووقفت العربية فى احدى المحطات لتغير جيادها ، وكان المطر قد توقف ، ورفع رجال المحطة المصابيح يضيئون بها المكان ، فعرض على هوجو مقعد فى داخل العربية أخلاه راكبه توا ، لكنه رفض .. مؤثرا أن يواجه فجيعة وحيدا فى الليلة العاصفة ، القارسة البرد ، ففى ساعات الاحزان يصبح سماع أصوات الآخرين السعداء ، بل سماع الشخص لصوته هو نفسه ، عذابا لا يحتمل !.. آه لو استطاع أن ينام ويستيقظ فيجد الامر كله حلما لم يحدث !

♦ وأطبقت ظلمة الليل على الكون تماما ، وانتشر الجليد على أغصان الشجر ، فأغفى هوجو فى جلسته .. نام قليلا .. وحين أفاق كانت أنوار «لاروشيل» قد بدأت تظهر فى الافق .. وأحس بجوع قاس ، فلم يكده يستقر فى الحانة الصغيرة التى وجد بها مكانا حتى جرع وعاءين من الحساء وأكل قطعة سميكة من الخبز ثم تمدد فوق الكنبه ، وانتظر الفجر .. لعله يخلصه من أفكاره القاتمة !.. فلما لاح كان رطبا أغبر كالامسية الفاتئة !.. وظل هوجو راقدا على الكنبه بلا حراك ، النهار بطوله ، لا يجيب بكلمة على أسئلة صاحب الحانة أو الخدم !.. حتى حان موعد قيام العربية التى ستقطع به المرحلة الأخيرة من الرحلة فتحمله كالجثمان الهامد الى أسرته المفجوعة ..

وسرعان ما انقضت اللحظة التى أشفق منها ، لحظة اللقاء بينه وبين زوجته ، أدبى التى لم يعد يحبها أو تحبه ! وقد ألفاها مستلقية على فراشها ، فلم يتعانقا ، ولم ينبس أحدهما بكلمة .. كان كلاهما كالحاقد على الآخر !.. وكان أولادهما

الثلاثة يكون أختهم الكبرى ، فأخذهم هوجو الى أحضانـه
وقلبه ينتحب ويتفطر ..

لوحة العشيقة !..

◆ وفي هاوية يأسه ذاك ، تلقى رسالة عزاء من جوليت
- التي هرعت بدورها عائدة من روشـفور - وكان تاريخ
الرسالة الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٨٤٣ ، في الساعة
الرابعة والنصف بعد الظهر :

« أين أنت يا حبيبي المسكين ، وماذا أنت فاعل ؟ في أية
حالة وجدت زوجتك وأطفالك ، وفي أية حال أنت نفسك ؟
فليرفق الله بنا جميعا في مصابنا !.. منذ تركتني وأفكارى
تحوم حول وصولك الى بيتك . أستطيع أن أتصور الامر
كله : بكاء الصغار المفجع وفيض يأسك أنت الذى قمعته
طويلا ، بكل قسوة .. كل ذلك يفطر قلبى ، بحيث لم أعد
أحتمله .. ولست أدري ماذا يحل بى اذا لم تعد الى سريعا .
انه لرهيب أن لا أستطيع الاطمئنان بنفسى على حالك !..

« أيا حبيبي فيكتور ، أيا كان حزنك ويأسك فحزنى
أعظم !.. ان حينا لوثق الصلة بالامر كله ، وهذا ما يضاعف
تعاستى ألف مرة ، فوق كل طاقة بشرية . انى لأملك أن
أتصور الفتاة الحبيبة الا ملاكا ينعم الآن فى الفردوس .. وانى
لاسألها ان تشفع لى كيما يدوم حبك لى .. وسوف أناشدها
ساعة موتى عسى أن يأخذنى الله مع كليكما الى ملكوته !

« حبيبي فيكتور ، الساعة قد جاوزت الخامسة الآن ،
ولم تأت أنت بعد .. ماذا أفعل ؟ كيف أبدد قلقي ومخاوفي ؟
قبل أن تستسلم تماما لحزنك فكر فى حزنى أنا ، فانى أحبك
أكثر من حياتى .. »

« جوليت »

وخز الضمير !..

◆ لكن هذا الخطاب وصل الى هوجو وهو فى حالة بلبلـة

تامة ، فلم يكن له عليه أدنى تأثير فى البداية . . بل ان توسلات جوليت الحارة قد زادت ادراكا لاهماله أمر أسرته ، وضاعفت من مرارة تبكيت ضميره له . . ولكى يفر من أفكاره الكئيبة لاذ بمخدعه فأغلق بابه عليه ، وحاول أن ينام . . لكن جرس الباب لم يكف عن الرنين . . أقبل الناس كأسراب الطير يستفسرون عن أنباء الفاجعة ! . . والانسمان فى ساعات حزنه العميق لا يطيق تقبل العزاء من الفضوليين وغير المباليين ! . . والذين جاءوا ليشهدوا على يد هوجو ويلثموا يد زوجته كانوا يعرفون قصة الخلاف بين الزوجين ، فبالغوا فى اظهار عطفهم وورثاتهم . . وكانت أكثريتهم من أهل الفن والوسط المسرحى الذين ألفوا الاسراف فى تعبيرهم وحركاتهم ! . .

أما سانت بوف ، الذى لم يكن يحذق التصرف فى مثل هذه المناسبة ، فقد قنع - بناء على نصيحة أديل - ببضع كلمات لاكها لسانه دون أن يحس بها قلبه . . انه لم يأت الا نزولا على مقتضيات التقاليد . ومنذ ذلك اليوم أبغض كلا الرجلين صاحبه من صميم قلبه !

أما زوجته ، التى انزوت وراء جدران حزنها ، وفى عينيها تأنيب صامت ، فقد أبغضها هوجو بغضا صريحا . . وان بقى لها ملجأ آخر تسكن اليه فى أشخاص أطفالها الثلاثة : شارل وفرانسوا وأديل الصغيرة ، الذين ترك فقدهم لعزيتهم «ديدين» الى الابد فراغا مروعا فى حياتهم ، سيما وان خلاف والديهم كان قد جعل منها الملاذ الوحيد الذى يفضون اليه بمتاعبهم !

عندما ينفس الشاعر عن حزنه . .

◆ وفجأة بدأ هوجو يشعر بالوحدة القاسية الرهيبة ! . . فأطلق لشعره عنان التنفيس عن ألمه المكبوت فى عدة قصائد سامية المعانى تنضح أبياتها بالحب الابوى والاخلاص العميق . . لكنه لم ينشرها الا بعد أن خفت حدة حزنه وأساؤه . . وبين

الحين والاخر كان يمضى الى غابات «ميودون» كى ينفرد بنفسه حيث لا يسمع أحد نحيبه ، وحيث يستطيع أن يستعيد فى خياله ذكرى الايام السعيدة التى كان فيها مؤمنا بطهارة زوجته، لا تعذبه الشكوك بصدد أبوته لطفلته الصغرى « أديل »! ..

وعاش ثلاثة أشهر يعانى نوبات متضاربة متعاقبة تأرجح فيها قلبه بين الندم ووخز الضمير ، من ناحية .. وبين الحنين الى المرأة التى أنقذته من محنة خيانة زوجته ، وبددت من ذهنه كل تفكير فى الانتحار ، من الناحية الاخرى ! .. لكنه برغم نحيب قلبه المتواصل لم يرفع عينيه الى السماء ، بحرارة واخلاص ، ليبتهل الى الله أن يمدّه بمعونته ويقويه على احتمال فجيئته ..

وخلال هذه الفترة ، فحص هوجو نفسه وواجه ضميره دون موارد .. فانتهى به الامر الى تبرئة نفسه ، واطلاق سراحها ! .. وكان قد فكر يوما فى أن ينشد معونة الدين فيعترف بالوزر الذى يثقل ضميره ، لكنه خشى العقاب والمذلة فعدل عن الفكرة .. فماذا لوأصر القسيس على مطالبته بهجر جوليت ؟ .. وهكذا حرم نفسه من الراحة العميقة التى تغدقها الصلاة والابتهاال على النفس المعذبة ..

العودة ..!

◆ وهكذا عاد هوجو الى جوليت ! ..

وكانت عودته ، أوبالاحرى انتصارها ، تكتنفه الرقة ، والاسى ، والمواساة .. فاستبعدت من علاقتهما ، فى البداية ، كل صلة جنسية .. وارتوت نفس الشاعر من نهر الاحاديث المتبادلة والرسائل والخلجات الروحية .. لكنه لم يلبث أن ارتد بعد حين الى سيرته الاولى ، خضع لرد الفعل الطبيعى للجمال الانثوى ! .. ولكن كانت تمر به اوقات يرقد فيها بلا حراك مستكينا بين ذراعى جوليت ، وعيناه مفتوحتان ، مغرورقتان بالدموع .. فترمقه هى بنظرات حانية مفعمة

بالرقة ، وقد وقر في نفسها أن تبدد شكوكة التي تهيبء له
أن صلته الشائنة بها هي المسئولة عن الكارثة التي نزلت به ..
فتهمس له .. « ان الله لا يعاقب الحب الصادق يا حبيبي ، وهل
شهدت الدنيا يوما حبا أصدق من حبنا ؟ .. كلا لست أستطيع
أن أتصور كيف يمكن أن يعتبرنا الله آثمين ! .. »

— أنت على حق ، لكنى مع ذلك تعذبت كثيرا فى البداية
من تأنيب الضمير ..

— ينبغي أن تعترف أنك كرهتني وهجرتني لانك اعتبرتنى
المسئولة عن المأساة التي أورثتك الالم والشقاء ، فى حين أنى
— وقد جربت الامومة — قاسيت مثلما قاسيت أنت ! ..

أشعار باكية ..

♦ وتتابع الشهور والاعوام ، وشبح ديدن يلوح لابيها
المفجوع فى فترات منتظمة ... لكنه كثيرا ما كان يهاجمه أيضا
فى غيرها دون انذار ، فتتهطل الدموع من عينيه ! .. كان يكفى
أن يقع بصره على ريشة أو كتاب ، أو أثر تافه من مخلفات
ابنته ، كى يغيب عن الوجود ويشرد بذهنه الى أودية التأملات ،
فتفيض عواطفه على الورق أشعارا باكية رقيقة النغم .. كهذه
الآبيات التى نظمها فى الذكرى الثالثة. للفاجعة :

« ألفت فى صباحها أن تأتى الى غرفتى كل صباح ،
فأنتظرها كما يترقب الانسان شعاع النهار .. وحين تدخل
تبتدرنى محيية : « سعدت صباحا يا أبى العزيز ! .. » ثم
تأخذ ريشتى وتفتح كتبى وتجلس على فراشى ، وتعبث بأوراقى
وتضحك .. ثم تمضى عنى فجأة كعصفور يطير .. »

♦ وكان هوجو بطبعه غزير الاحساس بالمشاعر العائلية ..
كان مثاليا فى عواطفه نحو أفراد أسرته : كآب ، أو جد ،
أو أخ ، أو ابن ، أو زوج ! .. وقد صور فى شعره هذه
المشاعر جميعها فى سمو أغدق عليه شهرة عالمية طبقت
الخافقين .. فكان النشاز الوحيد فى هذا اللحن حبه المحرم

لجولييت ، التي صار بالنسبة لها بمثابة العشيق ، والصديق ،
والزوج ، فى آن معا ! . . . والتي فرضها فى البداية على زوجته
ثم على أطفـاله ، ثم على المجتمع الباريسى عقب الحرب
السبعينية ! . . . وخلال ذلك كله ترك مكانا متفاوتا لنزواته
الآخري . . . **صارت تتخلل حياته بين الحين والآخر مغامرات**
عابرة مع نساء المجتمع المترفات ، وفتيات الطبقة الوسطى
المثيرات ، وساقيات الحانات ، وخادومات البيت . . . الخ . . .
فى كل مكان وكل بيئة كانت له مغامرات وغراميات ، جريئة ،
متهورة ! . . . وقد خلفت كلها آثارها فى قصائد من الشعر
الخالد تتغنى بها فرنسا والعالم أجمع على مر العصور ! . . .

♦ أما فى بيته . . . فكانت تباعد بينه وبين زوجته أميال من
الجفاء وفقدان الثقة ، والصمت المسمم ! . . . وحين أصيـبا
بفجيعتهما المشتركة فى ابنتهما ، نزفت جراحهما فى مجريين
منفصلين . . . وثقلت على قلب كليهما وجبات الطعام القاتمة ،
الكثيـبة ، التى يجلسان فيها ومن حولهما أطفالهما الثلاثة
المبتئسين ، وقد خيم على المائدة طائر الوجوم الخانق ! . . .
وأحيانا كان ذكر الفقيدة يخفق على لسان أديل فيظلم جبين
هوجو بالآلم الصامت . . . أو يرد عـقـوا فى ثنايا كلام الولدين
شارل ، أوفرانسوا . . . فيترك المائدة وقد غص حلقهما
بالدموع ! . . .

ولكن شيئا فشيئا ، بدأ روتين الحياة اليومى يعود سيرته
الاولى ، بمشاغله ، وحاجياته ، والتزاماته . . . مثل آلة قديمة
تعاود دورانها بالتدريج !

ودائما كانت صلوات الاطفال الثلاثة الليلية تتضمن اسم
أختهم الكبرى . . . وذات يوم سألت اديل الصغيرة أخويها :
كم كفت «ماما» عن البكاء ؟ . . .

اقرأ الجزء التالى من الكتاب فى كتابى القادم

بريد كتابي

(بقية المنشور على الصفحة الخامسة)

.. وفيما يلي مايسمح المقام بنشره من تلك الرسائل الكريمة ، حسب تاريخ ورودها :

♦ « قرات العدد الاول من (كتابي) الذي ارجو ان يشغل في المكتبة العربية ركناً محترماً غنيا بالمعرفة حافلاً بباقات من الادب الرفيع .. واني اذ اشد على يدك مهناً اتمنى لمشروعك هذا كل نجاح هو جدير به ، وحبذا هذا النوع من الانتاج والتعريب بعد ان سئمنا قراءة الفت من الادب الاباحى او القصص الرخيص حتى يخيل الى الان ان ذوق القراء كاد يصيبه التلف والبوار .. »
دكتور أحمد عبد اللطيف

♦ « .. انكم في الحقيقة تستحقون ان ارسل لكم تهنئتي الخاصة وتقديرى، فلقد اصبتم الهدف في اختياركم هذا الحجم وهذا الغلاف وهذا الطبع الانيق والاختصار في العرض وحسن الترجمة وفوق كل شيء الذوق السليم في الاخراج .. فاكرر تهنئتي .. »

اسكندر مكارىوس - صاحب « اللطائف المصورة »

« (كتابي) : وصلتني هذه الرسالة الكريمة من فريد الصحافة الكبير في اليوم التالى لصدور « كتابي » الاول .. دون ان يعرفنى او اعرفه من قبل .. وكم يحز في نفسى ان ارد له اليوم تحيته وقد صار ذكرى ، فى ذمة التاريخ !

♦ « .. قرات (كتابي) واعدت قراءته فاذا هو حدث جديد فى الثقافة جمع بين براعة الاختيار ودقة التضمين وروعة الاسلوب وجمال الاخراج .. فالى الامام .. »
صاغ - السعيد فرج

♦ « .. كنا ثمانية من القضاة فى قنا نزور زميلا لنا ، ووصل بائع الصحف فطلبت منه نسخة من كتابي ، وطلب اثنان نسختين اخريين .. ولم يكذ الزملاء يتصفحون الكتاب حتى طلب كل منهم نسخة ، ولم يكن مع البائع سوى ثلاث نسخ فنزل كالبرق وعاد بالنسخ المطلوبة .. وكنت فى قطار الديزل المسافر من مصر للاسكندرية ، بعد وصواى من قنا ، وكان الى جوارى راكب يحمل كتابي ، وبعد ان انتهى من قراءة القصة الاولى سألته : هل اعجبك الكتاب ؟ فكان رده انه غاية فى الابداع .. ! »

فهى صليب - القاضى بمحكمة قنا الكلية

♦ « .. لقد بعثت اليها بتحفة حقا ، مجلوة مزهوة ، أنيقة رشيقة ، فشكرا ثم شكرا .. ومزيذا مزيذا من بعثاتك الفريدة الغالية .. فامض يا سيدى فى طريقك والله معك ، وقاوبنا وعقولنا دائما فى انتظار بعثاتك .. »
السيد عبد القادر شماليه المحامى - بلقاس

♦ « .. اعجبني فى كتابي اتساق التبويب وحسن الصياغة وجزالتها ، فالقصة التى صدرتم بها الكتاب كانت مليئة بالمعاني والمشاغل الانسانية ، عبرت عنها وافرغتها فى أسلوب شيق اخاذ يدل على نظر متزن نافذ وتقدير سليم للامور . كما حالفت التوفيق فى القصص المترجمة ، فلم يخل الاجاز بقوتها وحيويتها واحتفظت لكل قصة بطابعها وطابع مؤلفها .. »

دكتور فريد مشرقى - المدرس بكلية التجارة جامعة ابراهيم

♦ « .. ام اقرأ بين الكتب العربية كتابا مثل (كتابي) ، فى تبويبه واختيار موضوعاته .. فهو كتاب قيم فعلا ، له الى جانب قصصه ذات الاسلوب الشيق ، الفكرة والمعنى ذات القيمة التربوية ، وكذلك الاتجاهات الاجتماعية السليمة .. فلتثق يا سيدى انى أقدر الجهود الجبار الذى بذلته فيه ، فاشكرك كقارىء ، وانى فى انتظار الكتب التالية .. »

ك . ك . ابراهيم - بكالوريوس علوم - دبلوم تربية

♦ « .. وجدت نفسى أقارن بين «كتابي» وبين كثير من الكتب والمجلات التى يكتظ بها سوق الصحافة دون ان يجنى منها القارىء اية فائدة .. فخرجت من المقارنة بنتيجة لاشك فيها ، هى ان (كتابي) يعتبر الاصل ، وما عداه فهو التقليد .. ومن عجب ان يسبق التقليد الاصل فى الظهور ! .. فشكرا على ما قدمتم من مجهود يحسه كل قارىء دون حاجة الى اعلان ، لان الشئ العظيم يعلن عن نفسه بنفسه دائما .. والى الامام والله يرعاكم .. »
لطفي ابراهيم اسماعيل - كلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول

♦ « .. اول مارس ١٩٥٢ : اول اعياد الفكر التى ينبغى ان تخلد على مر الزمان .. ففى هذا اليوم الخالد طلعت علينا شمس «كتابي» ، هذا المشروع المنقطع القرين ، ذى الاثر والنفع البالغين .. سدد الله خطاكم ، واعانكم فى جهادكم العنيف الشاق بروح من عنده ... »

طه حسين سليمان - الادارة العامة للصحة المدرسية

♦ « .. عندما قرأنا (كتابي) - وأقصد ارتويننا من ذلك المنهل العذب - قدرنا ذلك المجهود الذى بذل ، وتصورنا ذلك العرق الذى تصبب وتلك التكاليف التى أنفقت .. فطأى بركة الله ، ولا يفوتنى أن أذكر ان كل صفحة من كتابي تساوى ثمنه كله .. ان هذا الكتاب كان ينقص المكتبة العربية .. وكان الاولى بكم ان تسموه «كنزى» بدلا من «كتابي» ، لانه كنز لا يفنى .. »
فاضل قطبى - كلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول

♦ « .. لقد أخطأت في قولك اننا لن نقدر مدى الجهد والاعصاب التي بذلتها في اعداد (كتابي) ، فلقد قدرت كل ذلك فاشتريته .. واحتفظت به .. أنا الذي لا احتفظ بشيء غير ما يبقى بعقلي .. فسر في طريقك ، وتقدم نحو هدفك ، والله ينير لك السبيل ونحن من حولك نحيط بك .. »
محمد حافظ رجب - محطة الرمل - الاسكندرية

♦ « .. أقسم بالله تعالى ان هذا أول كتاب اقرأه من الغلاف للغلاف مرتين ، وربما بعد ارسال خطابي هذا سأقرأه أكثر من عشر مرات .. انه الكتاب الوحيد والاول في مجلات مصر والشرق العربي .. »
مدحت قنديل - مساعد بلوك محطة شرين

♦ « .. اكتب اليك وقد خرج ((كتابي)) الى النور ، فاذا هو رائع في الاخراج ، رائع في الشكل والموضوع والفكرة جميعا .. »
أحمد عبد الحميد يوسف - ليسانسيه في الآداب

♦ « .. لقد حملتني قراءة كتابي الاول على اقتناء هذه السلسلة الثقافية التي بذلت وتبدلون في سبيلها المجهود الفكري الرائع الذي يظهر في موادها الثقافية المفذية ، فاتمنى لكم التوفيق في اتمام هذه الرسالة السامية .. »
توفيق حرب - أوتيل أمبسادور ، بحدون المحطة - لبنان

♦ « بدأت في قراءة (كتابي) .. أقول .. «بدايات» .. ومع ذلك ، ومن شدة اعجابي به امسكت القلم لاكتب لك .. فاني لم اكن اتوقع ان اجد (كتابي) بمثل هذه الروعة والاتقن ، وان يحوز مثل هذا النجاح .. واني لفي انتظار الكتب التالية بشوق .. ولن اترك كتابي ! »
نادية .. القارئة بالقاهرة

♦ « .. لقد شرعت في تصفح كتابي على اساس ان اقرأ منه قصة او اثنتين على الاكثر .. فاذا به يفرقني في طوفان من النشوة لم اشعر معه الا وقد اتيت على الكتاب حتى آخره ! »

المعجب بكتابي : عبد الحميد محمد عبد الفتاح طالب بجامعة فاروق

♦ « .. لقد أصبتم باصدار هذه السلسلة التي تسد فراغا في المكتبة والتي تضم شتى المواضيع الادبية والعلمية والاجتماعية .. »

عبد الرحيم صالح الناصر - حلب (سوريا)

« كتابي » : ونعتذر للقراء الاعزاء الذين يضيق نطاق هذا العدد عن نشر رسالتهم .. وموعدنا معهم العدد القادم بمشيئة الله

اجابات خاصة

فهيم محمد لبيب ابو الجدايل - السويس
يؤسفني ان أعجز عن ارسال نسخة من العدد الاول اليك ، فقد نفذت
نسخه عن آخرها .. وسأرد لك ثمن النسخة بالبريد .

محمد عبد العزيز الفوال - العباسية
لو علمت ان نفقات النسخة من (كتابي) تفوق الثمن الذي تباع به ،
لما اعترضت على نشر الاعلانات التجارية في الكتاب .. فالاعلانات هي
عصب الصحافة الاول بلا مرأ .

أنسة (ن) - شبرا مصر
اقتراحك الاشتراك في كتابي لمدة ستة اشهر فقط مقبول ، وقيمه
٤٥ قرشا

عبد الكريم عبد العزيز خراشي - شارع الجودرية - مكة المكرمة
يعجز قلبي عن شكرك على حرارة تحمسك لكتابي !
محمد فؤاد الشال - مهندس مناجم بشركة الفوسفات بالقصير (البحر الاحمر)
وصلتني رسالتكم واشكركم من أعماق القلب
فايز عبد الشهيد - مهندس مناجم بشركة الفوسفات بالقصير (البحر الاحمر)
اشكركم على شعورك النبيل .

١ . ل . بالفنون الجميلة
غلاف كتابي مطبوع بثلاثة ألوان وليس بلونين . اما اقتراحاتكم الاخرى فهي
موضع النظر ..

عبد الحميد محمد حنفي - موظف بهندسة السكة الحديد بالمنصورة
يؤسفني أن لا أستطيع اجابتكم الى طلبكم ، لانه لا يتفق مع اهداف كتابي ،
كما ترى من تصفحه .

عبد المنعم ابراهيم علي - بمخازن الاستيداع - جمرات الاسكندرية
شكرا على تحيتك .. اما طلبك بشأن تلخيص (قصة مدينتين) لديكنز
فسوف يجاب باذن الله ، ولكن في فرصة أخرى .

منير كامل موسى - مدرس ، سبك الضحك ، منوفية
اقتراحاتك بشأن اضافة ابواب : روائع الشعر ، النوتة الموسيقية ، نحن
في خدمتك ، اسألنا فنجيب .. متعذرة التحقيق في الوقت الحاضر
ايليا اسحق زكي - البنك الاهلي المصري - القاهرة
ملاحظاتك بشأن ترتيب اعجابك بموضوعات كتابي مقبولة .. واقتراحك
موضع النظر .

عبد الرؤوف السيد - ديرب نجم
اشكر لك شعورك النبيل ، اما اقتراحك الخاص بتقسيم كتابي الى قسمين ،
فانه متعذر التحقيق في الوقت الحاضر .
ميشيل سمعان - المنصورة
وصلتني رسالتك مع الشكر .

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	بريد كتابي
٧	الهاربة من الجنة : قصة مصرية للمحرر
١٦	عندما ترفع الستار : روائع المسرح العالمي
١٧	نزاهة الحكم : كوميديا تمثيلية كبرى لجوجول
٣٦	الخالدون : عظماء ٠٠ في غير السياسة
٣٧	لويس باستير : قصة كفاحه ضد المرض والجهل
٥٦	كتب الاولون : من كنوز الكتب القديمة
٥٧	اللياذة : هوميروس
٨٤	خوافز الحياة : النفس والجنس والمجتمع
٨٥	مركب النقص والعقد النفسية : لماكبرايد
١١٦	رياضة الذهن : من قصص الجاسوسية العالمية
١١٧	غرام قاتل : لسومرست موم
١٣٠	الجريمة والعقاب : من قصص المحاكمات الكبرى
١٣١	جثث للبيع : مونتيجمري هايد
١٤٦	الحياة قصة : روائع القصص العالمي
١٤٧	مرتفعات وذرنج : اميلي برونتي
١٦٦	خلف النوافذ المغلقة : من قصص عباقرة الانسانية
١٦٧	مأساة قلب : فيكتور هوجو في حياته الخاصة
١٨٦	بقية بريد كتابي

إذا أردت أن يقرأ إعلاتك ..
كل قارئ وقارئة .. في كل بلد ..
وكل طبقة .. وكل مجتمع

اعلم عن بضاعتك
على صفحات

« كتابي »

الكتاب الشهري

الذي يدخل كل بيت .. وتنداوله
عشرات الألوف من الأيدي والعيون
عشرات المرات .. طوال أيام الشهر ..

ستوديو مصر ينتج أعظم الأفلام المصرية وأقواها
وقد أنتج لحسابه الخاص ثلاثة أفلام

الزهور الفاتنة

إخراج: جمال مدكور

بطولته

تحية كاريوكا . فائق صمامة
مسين رياض . محمود المايحي
فريد سوقي



قطار الليل

إخراج: عز الدين ذو الفقار

بطولته

عماد محمدي . سامية جمال
استفان ريتي . سراج منير



لحن الخلود

إخراج: بركات

بطولته

فريد الأطرش . فائق صمامة
سديحة يسري . ماهرة



قريبا بسينما ستوديو مصر

بنك مصر

قرارات الجمعية العمومية العادية لمساهمي بنك مصر

المنعقدة بدار البنك في يوم السبت ٢٩ مارس سنة ١٩٥٢
قررت الجمعية العمومية بالاجماع ما يأتي :
اولا - التصديق على تقرير مجلس الادارة وعلى الميزانية والحسابات
للسنة المنتهية في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ وأخلاء طرف أعضاء
مجلس الادارة من كل ما يتعلق بإدارتهم في السنة المذكورة .
ثانيا - الموافقة على توزيع الارباح كاقترح مجلس الادارة وصرف مبلغ
خمسة وثمانين قرشا عن كل سهم - بدون استقطاع ضرائب -
مقابل تقديم الكوبون رقم ٢٩ مصحوبا بالسهم الى بنك مصر
او أحد فروعها ابتداء من يوم السبت ٥ أبريل سنة ١٩٥١
ثالثا - اعتماد تعيين حضرتي صاحبى العزة محمد امين شهاب بك
ومحمد لطفى محمود بك عضوين بمجلس الادارة
رابعا - اعادة اختيار حضرات أعضاء مجلس الادارة الذين انتهت مدة
عضويتهم وهم حضرات أصحاب العزة :
محمد محمود خليل بك . محمود شكرى باشا . على امين
يحيى باشا
خامسا - تعيين الاستاذ فؤاد احمد الصواف ومستتر ف. ر. و وودز
مراقبين للحسابات لسنة ١٩٥٢ وتفويض مجلس الادارة في
تحديد أتعابهما .

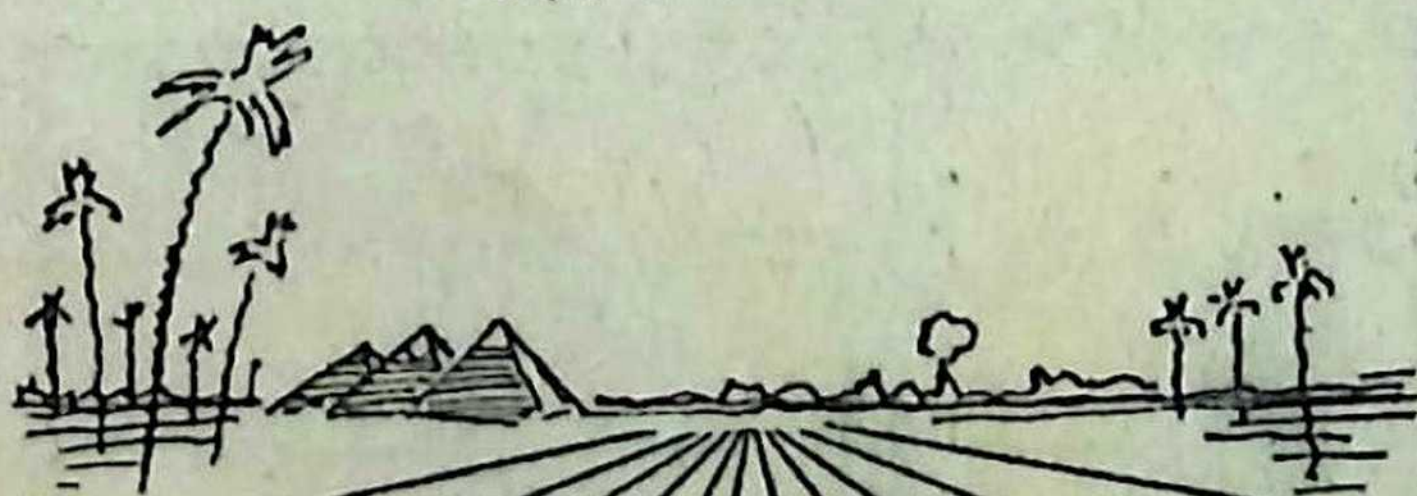
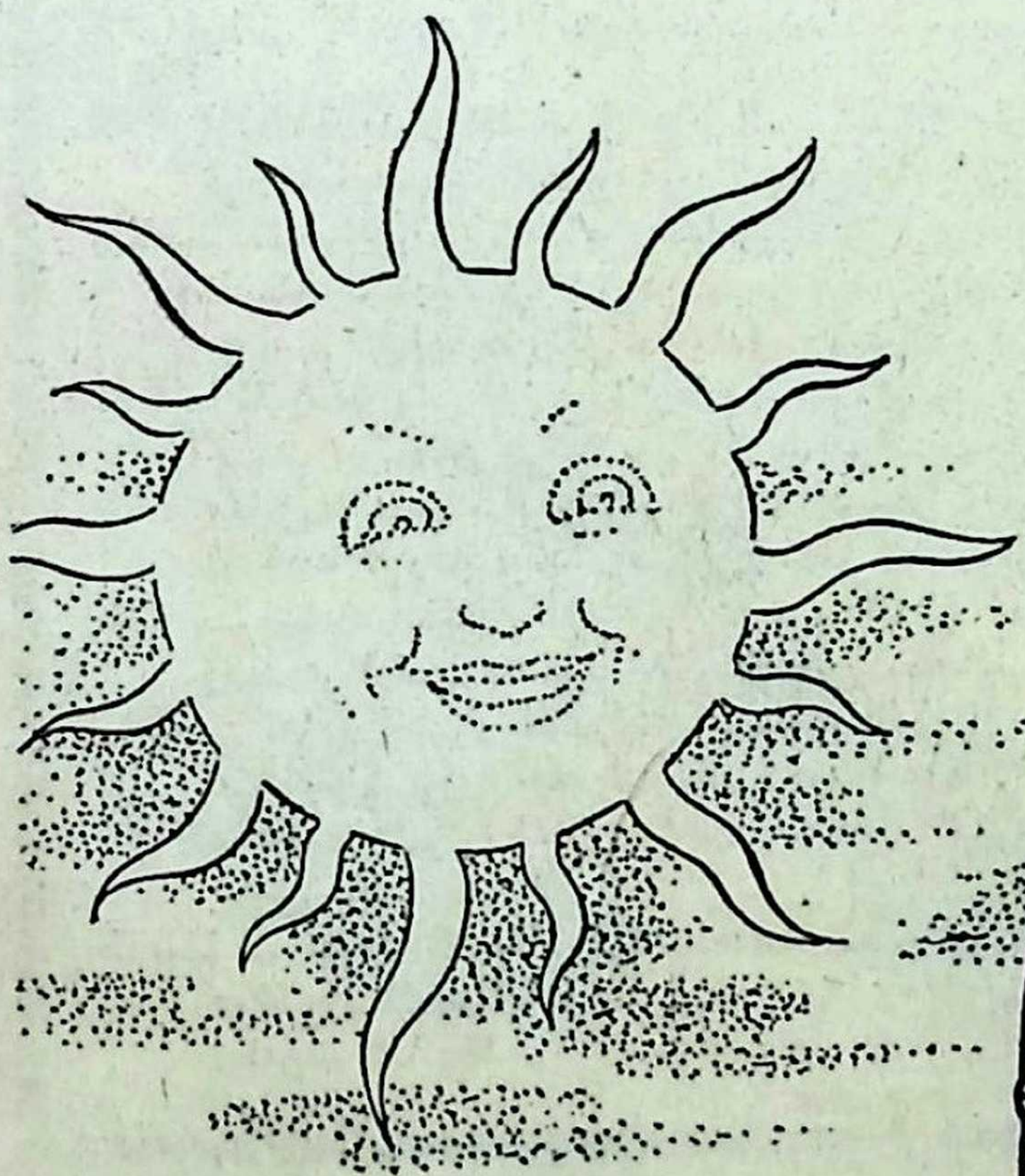
جهاز فهجر

المسجل دوليا لتدليك الحويصلات المنوية
والبروستاته المتضخمة لمعالجة العقم والارتخاء
والامراض الاخرى وقد اعترف معهد الابحاث
بفائدته كما وان نقابة اطباء صرحت بالنشر عنه
لمخترعه الدكتور فهمى جرس فهجر

٦٦ شارع ابراهيم باشا بمصر

تليفون ٥٦٢٠٤

أهلاً... !



معبأة بالمشروبات الوطنية المصرية لتقنية الرغفان من م.م.م

S.P.M.O

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

كنايات

الثالث

محتويات الكتاب

البرابرة من الجنة : قصة مصيرية للصهر • نزاهة الحكم :
كوميديا من روائع المسرح العالمي ، للأديب الروسي الكبير
"مخومول" • لويس باستير : قصة حياته وكفاحه ضد المرض
والجراثيم - من قصص حياة أعلام الإنسانية • صقعات
وذرنيج : من روائع القصص العالمي ، للروائية اميلي برونتي
• الألياذة : الملحمة الأغريقية القالة للحب والحرب ، لهوميروس
• من كنوز الكتب القديمة • غرام قاتل : قصة واقعية من
روائع قصص الجاسوسية العالمية ، لسوريت موم • مركب
النقص والعقد النفسية ، أساليبها وعلاجهما وأمثلتهما عند
العلماء : للعالم النفسي و.ج. ملك رايد • جهنم
للبيع : من مآسي المحاكمات الكبرى ، للمحقق الإنجليزي
مونتجيري هايد • مأاة قلب : من قصص العباقرة
في حياتهم الخاصة .